

زمن معاویة

د. نبیل فیاض



زمن معاوية
Muawiya Era

د. نبيل فياض

الطبعة الأولى: بيروت - لبنان، 2017

First Edition: Beirut - Lebanon, 2017

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق

All rights reserved, is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book, or part thereof, or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording, or storage and retrieval, without written permission from the rights holders



لبنان - بيروت / الحمراء

تلفون: +961 1 751055 / +961 1 541980

daralrafidain@yahoo.com

info@daralrafidain.com

www.daralrafidain.com

dar alrafidain

Dar.alrafidain1

DARALRAFIDAIN@maassourati

نويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعتبر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978-1-77322-073-4

زمن معاوية

د. نبيل فياض



www.daralifta.com

زمن معاوية - مقدمة:

العقائد تحدّد التفكير!!

قد يختلف معنا كثيرون في أن العقيدة، مطلق عقيدة، تحدّد التفكير، لا بل قد تعيقه. إن الغالبية الساحقة من العقائد التي وثّنها الناس على مر العصور وما يزالون يتعبدون في مزاراتها ويقدمون الضحايا البرينة على مذابحها، ليست أكثر من ميثاث ساهمت بدائية الوعي البشري، وبُعد الميثة - خاصة زمنياً - عن حقبة «المعتقدين بها»، في إضفاء الطابع القدسي عليها - دون أن ننسى طبعاً الدور البارز للعنصر المصلحي، وتحديدًا «لرجال العقائد»، في منع الاقتراب النقدي من سياج مطلق عقيدة.

بالانتقال إلى الواقع العملي - التطبيقي، هل يمكننا طرح السؤال الهام حول جدوى ما نقوم به من أبحاث مضمّنية سواء تلك المتعلقة بتاريخ النص القرآني أو بتاريخ الصراعات الإسلامية الداخلية، التي عادت لتطفو على السطح بعد وفاة النبي - المؤسس مباشرة، والتي تجلّت في سقيفة بني ساعدة حيث اضطرع ثلاثة أحزاب: حزب عُمرى واجهته أبو بكر؛ حزب طالبي حمل رايته علي وزوجته ابنة النبي؛ وحزب خجول من أهل المدينة، انتهى بموت زعيمه علي يد خالد بن الوليد!

لم تبدأ «محاولات» جمع وترتيب الحديث النبوي إلا في منتصف القرن الثاني الهجري على يد الربيع بن صبيح ثم سعيد بن أبي عروبة، تلاها ما جمعه ابن ربيع في مكة، ومالك في موطأه في المدينة، والأوزاعي في الشام، وسفيان الثوري في الكوفة، وحمام بن سلمة في البصرة ومعمر بن راشد الصنعاني في اليمن والليث بن سعد في مصر بما تيسر لهم من أحاديث. وقد صنف هؤلاء ما جمعوه ورتّبوه وبوّّوه بحسب الأبواب والمواضيع الفقهية، وضمّوا إليها بعض أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

بالمقابل، فإنّ الحجاج بن يوسف الثقفي، وهو الذي هدم الكعبة وقتل بعضاً من أهم الصحابة والتابعين، هو من قام «بالتحرير» الأخير للقرآن، وهو الذي كان يلاحق بحرص شديد المصاحف غير العثمانية، خاصة مصحف عبد الله بن مسعود، من أجل تكريس المصحف العثماني - الأموي كنص معياري أوحد تجتمع حوله الأمة.

من ناحية أخرى، يعتبر ابن إسحاق، الذي ولد في المدينة سنة 85 هـ، أول مؤرخ عربي كتب سيرة النبي محمد بن عبد الله وأطلق تسمية «سيرة رسول الله» على كتابه. قضى ابن إسحاق معظم حياته في المدينة وبدأ بجمع الروايات المختلفة من مختلف المصادر الشفهية التي كانت متوفرة آنذاك ولم يكن اهتمامه الرئيسي منصباً على تدقيق صحة الروايات وإنما كان غرضه جمع كل ما يمكن جمعه من معلومات عن الرسول محمد. وفي عام 115 هـ، بدأ بالتنقل من المدينة إلى الإسكندرية ثم إلى الكوفة والحيرة ليستقر في بغداد حيث وفر له الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور كل الدعم الممكن لأن يكتب عن تاريخ الرسول محمد.

يرى بعض المستشرقين إن مدى صحة الحقائق التاريخية في كتابه قد

يكون مشكوكاً فيها لانتقضاء ما يقارب 120 سنة بين وفاة الرسول محمد وبداية جمعه للروايات الشفهية، وأيضاً يشكك البعض في حيادية بعض المواضيع التي قد تكون غير منصفة لبني أمية لأن الكتاب كتب في عهد الخلفاء العباسيين والذين كان لهم علاقات مع من سبقهم من الأمويين. وبما أن الكتاب - على ما يبدو لنا - أقدم ما كتب عن سيرة محمد فقد استند عليه كتاب السيرة الذين أتوا بعده مثل ابن هشام والطبري بالرغم من تحفظهم على بعض الروايات، علماً إن ابن إسحاق نفسه ذكر في مقدمة كتابه أن «الله وحده عليم أي الروايات صحيحة».

إذن، ثمة عاملان بارزان يلعبان دوراً محورياً في هذه الرفضية الشكوكية المعنودة، خاصة في الحقبة الأخيرة، من قبل عالم البحثية الغربي، لكل النصوص التراثية الإسلامية، سواء تلك التي تنتمي إلى الحديث النبوي، أم تلك المصنفة تحت عنوان، تاريخ: الفجوة التاريخية بين زمن النص أو الحدث من ناحية، وزمن تدوينه من ناحية أخرى؛ والصراعات السياسية التي كانت الهوية الملاصقة للتاريخ الإسلامي على مرّ العصور، ودور الأهواء والغايات في وضع حديث أو رواية. دون أن نتناسى مسألة ضعف الذاكرة البشرية في مسألة النقل الشفوي، والطعن الذي وجه لكبار المحدثين على اعتبار أنهم وضاعون كان همهم إرضاء الحاكم عبر اختلاق أحاديث وروايات تدعم سلطته لأسباب مادية - معنوية؛ ويضربون مثلاً على ذلك أبا هريرة، الذي طعن في صدقيته منذ عمر وعائشة، حتى محمود أبو رية.

منذ البداية الأولى برز الصراع الأموي الطالبي بقوة في صدر الصورة الإسلامية تاريخياً؛ وكان كلّ طرف في هذا الصراع السلطوي - السياسي

بحاجة ماسة إلى دعم لاهوتي في صيرورة حرب السلطة هذه. وبدأت عملية الوضع على أعلى مستوى. ومن ثم، ومع تضعف الخلافة الأموية وظهور الطرف العباسي كعنصر أساسي في الصراع السياسي على السلطة، وصلت عملية الوضع إلى سوية غير مسبوقة يحددها الانتماء السياسي لهذا الوضع أو ذاك.

إذن، لماذا نعمل على هذه النصوص التي يعتبرها الباحثون الحقيقيون موضوعاً وتنضع بالكاذب؟ كيف يمكن أن نركن إلى نصوص تتناقض داخلياً، مع إيراد الراوية ذاته لخبرين متناقضين في النص الواحد، وتتناقض خارجياً، مع تناقض الراوية في نصوصه مع راوية آخر يتناقض مع الراوية الأولى سياسياً على نحو أساسي؟ باختصاره، لأننا، في عملنا على «الحسم المعرفي» مع قوى الإسلام المسيس، لا نمتلك غير تلك النصوص التي هي ذاتها الأساس الذي يعتمد عليه الإسلام المسيس في صيرورة اجتياحه لعقول العوام. - دون أن نغفل الإشارة إلى استحالة تطبيق منهجية باتريشيا كرونه في الهاجريون على عملنا البحثي الحالي. لقد استخدمت باتريشيا كرونه منهجية التقاطع الداخلي، أي النصوص العربية - الإسلامية، الخارجي، أي النصوص التي ظهرت في الغرب زمن بدايات الإسلام وتحذت عن الإسلام عموماً، من أجل تكوين رأي هو الأقرب إلى الواقع. لكن هذه المنهجية قابلة للتطبيق فقط على الحوادث المحورية التي يمكن اعتبارها نقطة تحوّل في التاريخ العالمي القديم، مثل احتلال العرب - المسلمين للدول المجاورة، أو الحقيقة التاريخية لأهم رموز الإسلام، من النبي المؤسس إلى آخر الخلفاء؛ لكن هذه المنهجية غير قابلة للتطبيق على الإطلاق على حوادث فرعية يبدو من غير المحتمل،

في ظل القطيعة المعرفية التي سادت العالم القديم، أن تعرف بها الأقوام الأخرى غير العربية - الإسلامية.

العقيدة... والتفكير:

كل عقيدة لا بدّ أنها تعيق التفكير مهما اختلفت درجات تلك الإعاقة. العقيدة، بلغة فلاسفة الكينونة، هي أسر الآن واللحظة القادمة في أصفاد الأسر؛ وكلما كان ذلك الأسر بعيداً، كلما صدأت الأصفاد وثقلت على أصابع العقل واستعصت على الكسر. يزداد الطين بلة مع إيهام تجار الميثاق المقدسة لعوامهم أنه كلما أوغلنا في القدم، كلما ارتفعت صدقية العقيدة، التي، أي الصدقية، تصل إلى حدّها الأعلى مع وصولنا إلى المؤسس، صاحب النسخة الأصلية للميثاق [غالباً ما يكون مكشوفاً في وقته ولم تكن ميثقه قد وصلت إلى طور القداسة بعد]، الذي قد يكون مختلفاً عنّا في الزمان والمكان والبيئة والمجتمع حتى تخوم التناقض. هذا التناقض، برأينا، هو السبب الأهم في ظهور ظاهرة الإرهاب الذي يلبس عباءة الدين: التناقض الذي لا يُحلّ بين ما يحمله واحدنا في داخله من أفكار وعقائد ماضوية، والظروف والقواعد والأحكام الآتية - المستقبلية بوصل بنا إلى شرخ داخلي يمكن أن يكون الإرهاب [رفض الواقع الفعلي المتناقض مع واقع متخيّل] تجلّيه الأهم.

رجل العلم... ورجل الدين:

في الأزمنة الكلاسيكية القديمة، وكانت إسرائيل محاطة بحضارات شامخة، مثل آشور وفينيقيا وآرام وبابل، وكانت إسرائيل مقتصرة في

نتاجها «الحضاري» على أدبيات حاخامية عفا عليها الزمن مدونة على ورق أصفر؛ توصل دهاة الحاخامية السياسية إلى آلية دفاع نفسية لحماية عوامهم من أن تجذبهم أنوار الحضارات المحيطة خارج ظلمة الغيتو؛ وكانت تلك الآلية، تقول: «إن الشعوب المحيطة متحضرة [مقارنة باليهود البدو آنذاك] لكنها منيم، أي، وفق القاموس الديني الإسلامي، كفر!!» - وهكذا، لم يكن لدى اليهودي البدوي ما يغطي به عورة دونيته الحضارية أمام الآخرين غير إيهامه لنفسه أنه بدوي مؤمن وغيره حضري كافر!! وطبعي أن أسوأ أنواع الكذب هو الكذب على الذات! وبرأينا غير المتواضع، والتواضع أو اصطناع التواضع خصلة حاخامية يهودية بامتياز، فإن الكذبة الحاخامية التي تمشي في دماء غيرهم، من أن غيري أفضل مني في كل شيء في هذه الحياة الدنيوية لكن الآخرة لي - الآخرة ميثة حاخامية أخرى تفسرها النفسي مختصر بعارة «من يفشل في الدنيا يبحث عن كذبة تعويض في الآخرة» - كوني مؤمناً وهو كافر، هي التي أعادت اندماج اليهود وتعيق اليوم اندماج غير اليهود ممن تبنا عقلية التكفير التلمودية⁽¹⁾ في مجتمعات الدول المتحضرة، التي أوصلها غباؤها وسوء حفظها إلى استيرادهم من غيتوهاتهم - بلدانهم الأصلية. وما دام واحدنا ينظر إلى الآخر عبر تلسكوب الإيمان والكفر، لن يكون بإمكاننا دخول بنيان الحضارة الشامخ، مهما أوهمنا ذاتنا بتفاهته.

إنّ معيارنا الأبرز للحقيقة هو الكهنوتي - الحاخام. الكهنوتي -

(1) منذ أكثر من ربع قرن، قمنا بترجمة الرسالة التلمودية، عبدة الأوثان [بالعبرية، العابدوا زارا]، التي يمكن اعتبارها بحق أول وثيقة تكفيرية تفصيلية في التاريخ البشري.

الحاخام، الذي يعيش أصلاً في عالم افتراضي لا علاقة له بالواقع لا شكلاً ولا مضموناً، هو الأوحـد الذي إذا عكست كلامه وصلت إلى الحقيقة. الكهنوتي - الحاخام، هو أفضل مسوّق للميثاث على أنها حقائق على مرّ العصور. وهنا لا يتناقض الكهنوتي - الحاخام مع ذاته لأن جوهر وجوده، علته الأولى *causa prima*، ميثة: وإن كانت بنظر العوام مقدّسة. لا يمكنك إلا أن ترثي لحال الكهنوتي - الحاخام التقليدي الذي يكذب على الآخرين - وعلى نفسه طبعاً - براءة صبيانية لا مثيل لها؛ لكنك بالمقابل لا تستطيع أن تحول بينك وبين احتقار كافة أصناف رجال الكهنوت الآخرين من غير الحاخامات، الذين يكذبون، ويعرفون بوعي أفعوي أنهم يكذبون، بل إنهم أدخلوا الكذب في صلب العقيدة، وأعطوه هالات قدسيّة تحميها سيوف الحشوية، عبر أسوأ المفاهيم الدينيّة وأشدها خبثاً وفتكاً بالإنسان والحضارة!

إنهم يكذبون: أليس كذلك!

رغم كلّ ما يقوله رجال الدين في المنطقة، فلو أنّ أية دولة في الغرب «الكافر» فتحت أبوابها لاستقبال المهاجرين، لفرغت الدول الإسلاميّة من سكانها، عدا الحكام والمشايخ والتجار ومن على شاكلتهم. بل إن شائعة سرت قبل أشهر في إحدى الدول المسمّاة عربيّة من أن واحدة من أغرب دول العالم الثالث وأكثرها احتواء للجريمة المنظمة، فنزويلا، ربما تسمح لمواطني تلك الدولة بالسفر إليها دون فيزا: ولكم أن تصوّروا حجم الهرولة إلى السفارة الفنـزويليّة من ذاك الشعب المتخـم بالقوميّة والتأسلم!!

إذن، رغم كلّ أكاذيب ديوك الله الروميّة، فإن الشعوب تبحث عن الحبر والحرية. فلماذا تفيض في أنهار الغرب الكافر مياه الخير والحرية، في حين لا تقع في صحراء الشرق المؤمن غير مضارب القمع والمقر والاضطهاد؟؟!! ببساطة شديدة، ودون تسطيح أو استعناء لمعقول، فإن السبب الأوحده لحضارة الغرب هو انفتاح الغربيين على المستقبل، والسبب الأوحده لتخلف الشرق هو انغلاق الشرقيين على الماضي. بكلام أوضح: الغرب متحضّر لأنه يُقاد من قبل العلماء والمفكرين والفلاسفة ورجال المعرفة، والشرق متخلف لأنه يسحب من أنفه من قبل ديوك الله الروميّة. لكن الغرب دفع عالياً ثمن خصي رجال الدين وإرغامهم مزاراتهم فحسب، والثورة على تلك الكائنات المعاقة ذهنياً لم تأت في يوم وليمة، بل استغرقت زمناً طويلاً، لم يبدأ بسينوزا ولم ينته بهربرت ماركيوزر. - لكن ما هو التفسير النفسي لرجة هؤلاء المعاقين ذهنياً العارمة في التسط على الناس، عبر الأكاذيب الدينيّة؟

المجتمع البشري يقسم منذ الأزل إلى نوعين من البشر لا ثالث لهما: نوع نادر للغاية، الفرصة الأندر في تاريخ أي ثقافة، يلعب دوراً بارزاً، إذا ساعدت الظروف الموضوعيّة في ذلك، في تغيير تاريخ ثقافة أو مجتمع أو جزء كبير من الكون، مثل الفلاسفة الأهم والعلماء الألمع والمسياسيين الذين يكونون نقطة تحول في تاريخ شعوبهم وأحياناً العالم كلّه. من هؤلاء نذكر، من مرحلة ما بعد العصور الوسطى: كارل ماركس، فرويد، آينشتاين، نيته، هتلر؛ النوع الثاني، وهو غير هؤلاء من نقيّة الناس، الذين يمكن أن ندعوهم بالعامة، رغم تباين مستوياتهم الذكائيّة، وخلفياتهم المعرفيّة. من الصنف الثاني يظهر باحثون ومفكرون

وسياسيون لامعون، لكن تأثيرهم يظل آتياً للغاية، محدوداً للغاية، لا يمكن مقارنتهم بالصنف الأول وتأثيره اللامحدود. وإلى هؤلاء ينتمي كل من كتب وفكر بالعربية، بمن فيهم ابن رشد، الذي يرى فيه بعضهم مفكراً من الدرجة الأولى، لكنه في نظرنا ليس أكثر من مفسر لمصوص قديمة هامة ضمن شعب حُجر على عقوله من قبل نصّ أنهى صيرورة المعرفة مرّة وإلى الأبد؛ وهكذا فالأغور بين العميان مصر. ابن رشد هام طبعاً؛ لكنه ليس سبيورا أو كانط أو هيغل أو نيتشه.

ليس من المخرج القول إن نقصاً بعينه في دواخل المرء يدفعه نحو إثبات الذات عن طريق الظهور أو الشهرة عبر سلوك طريق العدم أو الثقافة أو السياسة أو الفن أو... الدين. وباستثناء الدين، فإن كل الحقول التي يطمح المرء إلى البروز عبرها ثقافياً تحتاج إلى حدّ أدنى من الجهد العقلي والفائتة المعرفة، حتى يمكن للمرء إقناع الآخرين بأحقيته في أن يُشار إليه بأصابع اليد. مع ذلك، ثمة فرق سافر بين الدين، بالمعنى الأنفة لسوقية الروح، واللاهوت، بالمعنى العلمي للكلمة. - من هنا، فنحن لا نخجل من اعتبار شلاير ماخر وبولتمان وهانس كونغ وفيلهاوزن وغيرهم، أساتذة لنا في مهمة نبش كوامن العقل.

يبدو لنا أحياناً أن هؤلاء، الناطقين بالعربية، بسبب هرولتهم المنحدرة نرولاً في نفق التفكير مسدود النهاية، المحمي من المشايخ ورجال السلطة، منذ ألف وخمسمئة سنة، أضحوا مهددين بالفعل من خطر فقدان العقل: تحوله إلى عنصر أثري، تماماً كما هي الحال بالنسبة لحلمتي الشديس عند الذكر. - لا أدلّ على ذلك من تنامي صعوبة فهم أي طرح معرفي يتطلب درجة من تفعيل التفكير، مقابل انتشار أفضي كاسح للآراء

المسطحة للعقل: هل يمكن أن نتوقع الفرق بين توزيع كتاب يتطلب مستويات عقلية راقية، مثل الكينونة والزمان لهايدغر، وأي كتاب ليويسف القرصاوي أو متولّي شعراوي أو محمد سعيد البوطي، في معرض كتاب مكتبة الأسد بلعشق؟ إن هذا الانتشار المَرَضِي لكتب هؤلاء بين الساطقين بالعربية يعني بصريح العبارة أن المسلمين وصلوا الدرك الأسفل من الانهيار الثقافي المعرفي.

نعم! الغرب متقدّم لأنه يُقاد من قبل العلماء - بالمعنى الغربي للكلمة - والمفكرين ومراكز البحوث؛ والشرق متخلف لأنه يُقاد من قبل العلماء - بالمعنى الإسلامي للكلمة - والعوالم والحوزات وكتابات الدعوة. لكن ليس من الأفضل، في ظلّ هذا الغياب الممنهج للوعي، أن يفقد المجتمع رجال الدين - على الطريقة العراقية - من أن لا يكون فيه أي شكل للقادة؟ على الإطلاق: فالفوضى، التي يمكن أن تكون خلافة، أفضل من أن يفقد المجتمع، أي مجتمع، رجال الدين. رجل الدين، الذي يعيش «إلى وراء»؛ يفكر «إلى وراء»، لا بدّ أنه سيقود المجتمع كلّ حتماً إلى هاوية بلا قعر؛ في حين أنّ اختيار المرء لأن يفقد ذاته بذاته يمكن أن يجعل من السقوط في تلك الهاوية أمراً نسيئاً.

ثمة فرق أساسي آخر بين المجتمعات الغربية وتلك الإسلامية: مقارنة الشأن الديني. دون شك، فإن الدين، مطلق دين، لم يكن ليستمّر لو كان يفقد بالكامل لجرثومة «الحضارة». والحقيقة أن الدين، في صيرورة الزمن، يصل إلى شكل ثقافة خاص به، مهما اختلف كم التحضّر بين شكل ثقافة وآخر. في شكل الثقافة هذا يتناسب التحضّر عكساً مع التمسك بحرفيّة الدين، كما كان منذ البداية الأولى؛ بكلمات أخرى،

الأصولية والتحضر خطان متوازيان لا يلتقيان بأية حال. الأصولية هي شكل للأحادية السكونية المطلقة يقتل الروح والجسد؛ والتحضر عملية صبرورة معرفية تتفاعل أبداً مع الزمكانية النسبية لتتج على الدوام تحددية لا تعرف التعب. الأصولية، بلغة إسلامية، هي التمسك بحرفية شرع قادم من زمن انتهى منذ قرون، والتحضر هو الانفتاح اللامشروط على المستقبل بكل كمونياته المأمولة.

زمن معاوية: المنهج!

مما لا شك فيه أن زمن معاوية، كما توحى به التسمية، عمل همه الأرحد إلقاء بعض الضوء العقلاني - التشكيكي على التسليميات الإسلامية العوامية. قد يكون الباحثون هدفاً لهذا الكتاب، لكن الحقيقة أن صاحب هذا النص لا يأخذهم بعين اعتباره هدفاً؛ إن ما يهمنا هو عامة الشعب، لأنهم الخزان الحقيقي للتطرف ومن ثم الإرهاب.

في هذا العمل توخينا ملاحقة كل ما يمكن الوصول إليه من مراجع ومصادر بهدف إعطاء أعلى مدى من الصدقية لمشروعنا طويل الأمد هذا. في هذا البحث لم تناول شخصية معاوية من منظور بانورامي أو كرونولوجي؛ كل ما قمنا به هو تسليط الضوء على ممارساته الأسوأ بحق أهم رموز الإسلام وقتها عبر حشد ما أمكن - كما أشرنا - من شواهد ونصوص. وهكذا، فقد تنقلنا من جريمة إلى جريمة بحق رموز ذلك العصر من العرب - المسلمين؛ مع إضافات موثقة حول معاوية كشخص، ودور عبد الله بن جعفر الطيار في حياة هذا الخليفة - الملك على وجه التخصيص. قد تبدو النصوص متناقضة أحياناً، لكن ذلك التناقض هو جزء من الصراع السياسي الذي أشرنا إليه آنفاً.

المفصل الأول

معاوية بن أبي سفيان

«قال الحسن المصري: أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكنت موقفة. افتراؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحة وذوو الفضيلة، واستحلافه ابنه علي سكيراً حميراً يلبس الحرير ويضرب بالطباير، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلاه من حجر! ويا ويلاه من أصحاب حجر!!»^١

من هو معاوية؟^٢

إنه «معاوية بن أبي سفيان صحر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي العسيمي، يلتقي مع رسول الله ﷺ في جده عبد مناف بن قصي»^٣

- (١) ابن عري بردي، اسحوم الزاهرة في ملوك مصر و لماعرة، ٥7
- (٢) لا بد أن يذكر هنا هو أسا لا تندخل بأرائنا الشخصية في هذا النص والصوص التي تنبوه إلا لحد الأدنى، فكل ما فعله هو ربط العقرات لمختارة معنابة لواحده بالأحرى، تاركين لذلك انقاراً أن يستط بحرية.
- (٣) العصامي، سمط الحوم العواني في أساء الأوائل والتوالي، ٥47، الجحط، المحاسن والأصداد، ٥88، الخرافطي، هوائف الجنان، ١5، البري، اخوهرة في سب النبي وأصحابه العشرة، 34، ابن كثير، البداية و لنهاية، 2977، 2978

مع ذلك، ثمة آراء كثيرة في حقيقة سبه، مع اتفاق الجميع على أن أمه هي هند بنت عتبة!

قصص هند أم معاوية:

«كان الفاكه بن المغيرة المحرومي أحد فتيان قريش، وكان قد تروح هند بنت عتبة، وكان له بيت للضيافة يعشاه الناس فيه بلا إذن، فقام يوماً في ذلك البيت، وهدم معه، ثم خرج عنها وتركها نائمة، فحده بعض من كان يغشى البيت فلما وحد المرأة نائمة ولى عنها فاستقبله الفاكه بن المغيرة، فدخل على هند وأسهبها، وقال: من هذا الخرح من عندك؟ قالت. والله ما انتهت حتى أنهيتي، وما رأيت أحداً قط. قال الحقي نأيت. وحاض الناس في أمرهم. فقال لها أبوها. يا بنية. أبنيي شئت، فإن كان الرجل صادقاً دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار، وإن كان كاذباً حكمته إلى بعض كهان اليمس؛ قالت 'والله يا أبت إنه لكاذب فحرح عتة، فقد إنك رميت ابنتي بشيء عظيم، فإما أد تبيس ما قلت، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمس قاب. ذلك لك. فحرج الفاكه في جماعة من رجال قريش، وسوة من بني محروم، وخرج عتة في رجال وسوة من بني عبد مناف، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند، وكسف دله. فقال لها أبوها أي بنية، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا؟ قالت: يا أبت، والله ما ذلك لمكروه قبلي، ولكنكم تأتون شراً يحطى ويصيب، ولعله أن يسمني بسمة تبقى على ألسنة العرب فقال لها أبوها: صدقت، ولكي سأخبره لك. فصفر بعمره، فلما أدلى، عمد إلى حة بر فأدخلها في إحليله، ثم أوكى عليها وسار فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم.

فقال له عتبة. إنا أتيناك في أمر قد خبأنا لك خبيّة، فما هي؟ قال: ثمرة في كمره. قال: أريد أبين من هذا. قال: حبة بر في إحليل مهر. قال: صدقت فانتظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن، ويقول: قومي لشألك، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها، وقال قومي غير رسحاء ولا زانية، وستلدين ملكاً يسمّى معاوية. فلما خرجت أخذ الفاكه بيده فنترت يده من يدها، وقالت: والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك. فتزوجها أبو سفيان فولدت معاوية. وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها: يا أبت، إنك زوجتني من هذا الرجل ولم تؤامري في نفسي، فعرض لي معه ما عرض فلا تزوجني من أحد حتى تعرض علي أمره، وتبين لي خصاله. فخطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب⁽¹⁾.

القصة السابقة تبدو وكأنها قد وصفت بطلب من معاوية ذاته؛ يقول مرجع آخر أكثر موثوقية من تلك السابقة:

«وكان معاوية يعزي إلى أربعة: إلى مسامر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح مغن أسود كن لعمارة. قالوا: كان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً وسيماً، فدعته هند إلى نفسها. وقالوا أن عتبة ابن أبي سفيان من الصباح أيضاً، وأنها كرهت أن تضعه في منزلها، فخرجت إلى أحياد

(1) العقد المرید 92؛ أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 165؛ ابن حبيب، اسبق في أخبار قریش، 26؛ الآبي، ثمر الدر، 496؛ الخرائطي، هواتف الجنان، 15؛ لأشبهی، المستطرف في كل فن مستظرف، 318؛ الجاحظ، المحاسن والأضداد، 88؛ الأعادي، 963. من رأس غنمة الاشيلي، متاقل الدرر ومنتاب الزهر، 41؛ البري، الحوارة في سبب النبي وأصحابه العشرة، 34؛ السيرة الحلبية، 781.

فوصعته هناك»⁽¹⁾. ويكمل معتزلي آخر، هو ابن أبي الحديد، ما قبله الزمخشري، المعتزلي الشهير: «في هذا المعنى يقول حسان أيام المهاجة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله ﷺ قبل عام الفتح لمن الصبيّ بجانب البطحاء في التراب ملقى غير ذي مهد سجلت به بيضاء أنسة من عبد شمس صلته الخد»⁽²⁾ والقصيدة معروفة للغاية ضمن ما تبقى لنا من تراث حسان بن ثابت، شاعر الرسول.

يقول البلاذري: «كانت هند بنت عتبة قبل أبي سفيان عند حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ثم خلف عليها الفاكه بن المغيرة فقتلته بنو كنانة بالغميصاء في الجاهلية، ويقال: بل تزوجها الفاكه بن حفص ثم خطبها أبو سفيان وسهيل بن عمرو فأخبرها أبوها بذلك وقل: خطبك من قومك كفؤان كريمان، فقالت: صفهما لي، فقال: أحدهما سهيل بن عمرو وهو موسر سخي سيد مفوض يحكم في ماله، والآخر أبو سفيان بن حرب وهو شريف سيد حازم، قالت: الحازم أحبهما إلي، فتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية، وعتبة، وأم الحكم؛ ويقال إنه قال لها: قد خطبك رجلان، أما أحدهما فخضمت تخالين به غفلةً لئيه، ليس بالغضبة الغلقة ولا المغيار الترقق، وأما الآخر ففي الحبب الحبيب والرأي الأريب، شليل الغيرة سريع الطيرة، مكرم للكرامة حسن الصحة، وكيد العهد، فاخترته»⁽³⁾.

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار 363

(2) شرح النهج 95.

(3) البلاذري، أسباب الأشراف، 579؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 81.

وفي نص آخر، نقرأ: «وهند فيه في القائلة... فتزوجها أبو سفيان، فحدثت معاوية. قالت هند لأبيها: إني امرأة قد ملكت أمري، فلا تروجنني رجلاً حتى تعرضه علي، فقال لها: ذلك لك، ثم قال لها يوماً: إنه قد خطبك رجلاً من قومك، ولست مسمياً لك واحداً منهما حتى أصفه لك: أم الأول ففي الشرف الصميم، والحسب الكريم، تخالين به هوجاً من عفلته، وذلك سحاج من شيمته، حسن الصحابة، حسن الإجابة، إن تابعته تابعك، وإن ملت كان معك، تقضين عليه في ماله، وتكتفين برأيك في ضعفه. وأم الآخر ففي الحسب الحسيب، والرأي الأريب، بدار أرومته، وعز عشيرته، يؤدب أهله، ولا يؤدبونه، إن اتبعوه أسهل بهم، وإن جانبوه توعر بهم، شديد الغيرة، سريع الطيرة، شديد حجاب القبة، إن حاج فقير منزور، وإن نوزع فقير مقهور. قد بينت لك حالهما. قالت: إنا الأول فسيد مطيع لكريمته، ومات لها فيما عسى - إن لم تعصم - أن تلين بعد إياها، ويضع تحت جناحها. إن جاءت له بولد أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت، اطو ذكر هذا عي، فلا تسمه لي. وأما الآخر فبعل الحرمة الكريمة، إني لأخلاق هذا الوامقة، وإني له لموافقة، وإني لأخذه بأدب البعل مع لزومي قبتي، وقلة تلفتي، وإن السليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته، الذائد عن كتيبتها، المحامي عن حقيقتها، الرأس لأرومتها، غير مواكل ولا زميل عند صعصعة الحوادث، فمن هو؟ قال: أبو سفيان بن حرب، قالت: فروحه، ولا تلفني إليه إلقاء المتسلس السلس، ولا تسمه سمة المواطن الصرم، استخر الله في السماء يخر لك بعلمه في القضاء. زاد في حديث بمعناه، وسمى فيه الرجلين: سهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب»⁽¹⁾.

(1) ابن مسطور، مختصر تاريخ دمشق، 3672؛ الميمن، سمط اللاكي، 156، 212؛ طبقات

وفي نص مشابه، نقرأ: «وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها: يا أمت، إنك روجتني من هذا الرجل ولم تؤامرني في نفسي، فعرض لي معه ما عرض فلا تزوجني من أحد حتى تعرض علي أمره، وتيس لي حصاله. فخطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب»⁽¹⁾.

مسافر بن أبي عمرو هو أحد الذين نسبت المراجع معاوية إليه؛ يقول أحد النصوص: «مسافر بن أبي عمرو بن أمية... خطب هنداً بنت عتبة ولما تزوجت أبا سفيان مرض واعتل حتى مات: وله شعر ليس بالكثير. والأبيات التي فيها العناء يقولها في هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان يهواه. فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه بن المغيرة، فلم ترض ثروته وماله. فوفد على النعمان يستعينه على أمره ثم عاد، فكان أول ما لقيه أبو سفيان، فأعلمه بتزويجه من هند... أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء. قالوا: فعشق هنداً بنت عتبة بن ربيعة وعشفته، فاتهم بها وحملت منه... فلما بان حملها أو كاد قالت له: اخرج، فخرج حتى أتى الحيرة، فأتى عمرو بن هند فكان يناديه. وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقي مسافراً، فسأله عن حال فريش والناس، فأخبره وقال له فيما يقول: وتزوجت هنداً بنت عتبة. فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه... فدعا له عمرو بن هند الأطباء، فقالوا: لا دواء له إلا الكي. فقال له: ما ترى؟ قال افعل.

اس سعد 1481؛ 212؛ أنظر أيضاً: الحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومسح العوائد، 1724؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 64

(1) اس عبد ربه، العقد الفريد، 921؛ شرح النهج، 96؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 165؛ الأشمي، المستطرف، 318؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 288

ودعا له الذي يعالجه فأحمى مكابيه، فلما صارت كالنار قال: ادع أقواماً
يمسكونه. فقال لهم مسافر: لست أحتاج إلى ذلك. فجعل يضع المكابي
عليه فلما رأى صبره شرط الطيب... فخرج يريد مكة. فلم انتهى إلى
موضع يقال له هباله مات فدفن بها، ونعي إلى قريش⁽¹⁾.

يقول الميداني عن مسافر: «فرحل إلى الحيرة وافداً على النعمان
فبينما هو مقيم عنده إذ قدم عليه قادم من مكة فسأله عن خبر أهل مكة
بعده، فأخبره بأشياء وكان فيها أن أبا سفيان تزوج هنداً، فطعن مسافر من
الغم»⁽²⁾.

وقال عبد القاهر البغدادي عن مسافر: «قال النوفلي في خبره وحدثني
أبي: أنه إنما كان مسافر خرج إلى النعمان بن المنذر يتعرض لإصابة مال
ينكح به هنداً، فأكرمه النعمان واستظرفه ونادمه وضرب عليه قبة من آدم
حمرء. وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عرف قدره منه ومكانه عنده.
وقدم أبو سفيان بن حرب في بعض تجارته، فسأله مسافر عن حال الناس
بمكة، فذكر له أنه تزوج هنداً؛ فاضطرب مسافر حتى مات. وقال بعض
الناس: إنه استسقى بطنه فكوي فمات بهذا السبب. قال النوفلي: فهو أحد
من قتله العشق... [إن] مسافر بن أبي عمرو كان من فتيان قريش جمالاً
وسخاء وشعراً، عشق بنت عتبة بن ربيعة، فعشقه واتهم بها، فحملت منه،
فلما بان حملها أو كاد، قالت: اخرج. فخرج حتى أتى الحيرة. ثم إنه ألقى
أبا سفيان فسأله عن حال قريش والناس فأخبره، وقال فيما قاله: وتروحت
هند بنت عتبة. فدخله من ذلك ما أعله حتى استسقى بطنه. فخرج يريد

(1) الأغاني، 962، شرح النهج، 96.

(2) الميداني، مجمع الأمثال، 238.

مكة، فلما انتهى إلى موضع يقال له: هباله مات فدفن بها، ونعي إلى قريش... فمات بهذا السبب. ثم أورد صاحب الأغاني حكاية هند بنت عتبة، وطلاقها من زوجها الفاكه بن المغيرة، وتزوجها بأبي سفيان.. وكذا أورد الحكاية المفضل بن سلمة في كتاب الفاجر، قال: روى أبو الحسن الدمشقي أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، كان يهودي هنداً بنت عتبة، وكانت تهواه، فقالت له: إن أهلي لا يزوجونني منك لأنك معسر، فلو وفدت إلى بعض الملوك لعلك تصيب مالاً. فرحل إلى لحيرة وافداً إلى النعمان، فيينا هو مقيم عنده. إذ قدم عليه قادم من مكة، فسأله عن خبر أهل مكة بعده، فأخبره بأشياء كان فيها أن أبا سفيان تزوج هنداً. فطعن من الغم⁽¹⁾.

اعتناق أهله للإسلام:

كان أبو سفيان وزوجته هند بنت عتبة من أكثر القرشيين عداء لمحمد ورسالته. يروي أحد المراجع أنه بعد معركة أحد «وقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة، وقد جدعوا أنفه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه، وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها لتأكلها، فلم تلتصق في بطنها حتى رمت بها»⁽²⁾؛ ويضيف آخر أن «نذرت هند بنت عتبة لوحشي⁽³⁾

(1) عبد القدر البغدادي، خزانة الأدب، 1588.

(2) الواحدي، أسباب نزول القرآن، 102.

(3) راحل قد غلست عليه الحمر، فإن تجدها صاحياً تجداً وجللاً عربياً، وتجداً عنده بعض ما تريدان، وتصيبا عنده ما تشتهي من حديث تسألانه عنه، وإن تجدها وبه بعض ما يكون له، فانصرفا عنه ودعاه. السيرة 70 - 71؛ عمر بن الخطاب ما رالت لوحشي في عسي حتى أخذ قد شرب الخمر بالشام، فجلد الخلد، فحططت عطاءه إلى ثلاث مئة. وكان فرض عمر له في ألفين. مختصر ابن منظور 226:226.

بدوراً إن قتل حمزة بأبيها يوم أحد فلما قتله بقرت بطنه ولاكت كبده»⁽¹⁾، وكان السبب كما تقول هند ذاتها: «أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبةً، وقد بلغني أنك تعاضمين العرب بمصيبتك، قيم تعاضمينهم؟ فقلت الخساء معمرو بن الشريد، وصخر ومعاوية ابني عمرو، وبم تعاضمينهم أنت؟ قالت: بأبي عتبة بن ربيعة، وعمي شيبة بن ربيعة»⁽²⁾؛ وقد قتلهم محمد يوم بدر. يروي الزركلي أن «هند بنت عتبة [كانت] تقول الشعر الجيد. وأكثر ما عرف من شعرها مراثيها لقتلى بدر من مشركي قريش، قبل أن تسلم. ووقفت بعد وقعة بدر في وقعة أخذ ومعها بعض النسوة، يمثلن بقتلى المسلمين، ويجدعن آذانهم وأنوفهم، وتجعلها هند قلائد وخلاخيل، وترتجز في تحريض المشركين، والنساء من حولها يضربن الدفوف... ثم كانت ممن أهدر النبي ﷺ دماءهم، يوم فتح مكة، وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة... وكان لها صنم في بيتها تعبده، فلما أسلمت عادت إليه وجعلت تضربه بالقدم حتى فلذته»⁽³⁾.

«فجاءته [محمد] مع بعض النسوة في الأبطح، فأعلنت إسلامها، ورحب بها. وأخذ البيعة عليهن، ومن شروطها ألا يسرفن ولا يزينن [1]، فقلت: هل ترابي الحرة أو تسرق يا رسول الله؟ قال: ولا يقتلن أولادهن، فقلت: وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر؟ وفي رواية: ربياهم صغاراً وقتلتهم أنت بيدركباراً، وهي تقول: كنا منك في غرور! ومن كلامها: المرأة غل لا بد للعتق منه، فانظر من تضعه في عقق!

(1) ماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، 32

(2) الأعاني، 416

(3) الأعلام، 1298.

ورؤى معها ابنها معاوية، فقيل لها: إن عاش ساد قومه، فقلت: ثكتته إن لم يسد قومه! وكانت لها تجارة في خلافة عمر. وشهدت اليرموك وحرضت على قتال الروم⁽¹⁾.

من مواقعها الشهيرة من النبي ما روته مراجع عديدة؛ قبل: «أقل أبو سفيان من الشام ومعه هند ومعاوية على حمار، فلما دنوا من مكة لقيهم رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان لمعاوية: انزل يركب محمد، فقلت هند: أينزل ابني لهذا الصابي؟!»⁽²⁾.

يبدو أن هنداً أجبرت على اعتناق الإسلام؛ يقال إنه بعد أن دخل محمد مكة «خرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل من كداء وهو يقول: من أغلق بابه فهو آمن! حتى انتهى إلى هند بنت عتبة، فأخذت برأسه فقلت: ما وراءك؟ قال: هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد، وقد جعل لي: من دخل داري فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن». قالت: قبحك الله رسول قوم. قال: وجعل يصرخ بمكة: يا معشر قريش، ويحكم! إنه قد جاء ما لا قبل لكم به! هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد، فأسلموا! قالوا: قبحك الله وافد قوم! وجعلت هند تقول: اقتلوا وافدكم هذا، قبحك الله وافد قوم. قال: يقول أبو سفيان: ويلكم، لا تغرنكم هذه من أنفسكم! رأيت ما لم تروا! رأيت الرجال والكراع والسلاح، فلا لأحد بهذا طاقة!»⁽³⁾. وفي نص آخر، «قالت هند

(1) الزركلي، الأعلام، 1298.

(2) اللادري، أنساب الأشراف، 579؛ ابن حبيب، المنق في أحبار قريش، 96؛ ابن حبيب، المحبر، 118؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 81؛ ابن هذون، التذكرة لعماد الدين، 930، لحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنع الفوائد، 1724.

(3) الرازي، المغازي، 333.

بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب لما رجع مسلماً من عند النبي ﷺ إلى مكة في ليلة الفتح، فصاح: يا معشر قريش، ألا إني قد أسلمت فأسلموا، فإن محمداً قد أتاكم بما لا قبل لكم به فأخذت هند برأسه، وقالت: بش طليعة القوم أنت والله ما خدشت خدشاً، يا أهل مكة، عليكم الحميت الدسم فاقتلوه⁽¹⁾.

مع ذلك، أسلمت هند؛ يقول بعض المؤرخين إنه بعد فتح مكة، «لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة... متفعبة متنكرة خوفاً من رسول الله ﷺ! فلما دنين من رسول الله ﷺ قال لهن: بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن؛ أي: وذلك إسقاط الأجنة! زاد في لفظ: ولا تلحقن بأزواجكن غير أولادهم، أي: ولا تقعدن مع الرجال في خلاء أي لا تجتمع امرأة مع رجل في خلوة؛ ولا تأتين ببهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن... وجاء أن هنداً قالت له ﷺ: إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال؛ أي لان الرجل كان ﷺ يبايعهم على الإسلام وعلى الجهاد فقط؛ وإنها قالت لما قال ﷺ ولا تسرقن: والله إني كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان وكان حاضراً: أما ما أصت فيما مضى فأنت منه في حل! عفا الله عنك.. فضحك النبي ﷺ وعرفها فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟ قلت: نعم؛ فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله! وأنها قالت لما قال ﷺ ولا تربس أو تزني الحرة يا رسول الله؟ ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت: ربناهم صغاراً وقتلتهم كباراً؛ وفي لفظ: هل تركت لنا ولدأ إلا قتلته يوم

(1) لمرد، الكامل في اللغة والأدب، 65؛ أنظر أيضاً: ربيع الأبرار 364.

بدر؟ وفي لفظ: أنت قتلت آباءهم يوم بدر وتوصينا بأولادهم! وفي لفظ: ريساهم صغاراً وقتلتهم كباراً! فضحك عمر رضي الله تعالى عنه حتى استلقى وتسم عليه السلام؛ وفي لفظ: فضحك عليه السلام ولما قال عليه السلام ولا تأتير بيهتان تمترية والله إن آتيان البهتان لقبيح زاد في لفظ: وما تأمرن إلا بالرشد ومكارم الأخلاق؛ ولما قال عليه السلام ولا تعصيني في معروف؛ قالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في معروف؛ وفي لفظ: أنها آتته منتقبة بالأبطح وقالت: إني امرأة مؤمنة أشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله؛ ثم كشفت عن نقابها وقالت: أنا هند بن بنت عتبة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مرحبا بك؛ قال بعضهم: وفي إسلام أبي سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها أي لأنها أسلمت بعده ليلة واحدة⁽¹⁾.

يبدو أن مسألة طلب النبي الشخصي من هند أن لا تزني، كان إشارة إلى الأقوال التي أحاطت بها التي أشرنا إليها لاحقاً، وكذلك قوله لها، «ولا تلحقن بأزواجكن غير أولادهم»⁽²⁾.

«أسلم معاوية عام الفتح [مكة]، ورؤي عنه أنه قال: أسلمت يوم القضية»⁽³⁾.

من هو معاوية؟

«أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية:

(1) السيرة الحلبية، 782؛ ابن راس غنمة الاشيلي، مناقب الدرر ومناقب الزهر، 42؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2977.

(2) أنظر طقات ابن سعد، 1482؛ الكامل في التاريخ، 332؛ الكشاف، 1250؛ تفسير القرطبي، 3384؛ الشافعي، الرسالة، 63.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 2078؛ سعد الله الدجاني، سبط الملح، 85 - 86.

مؤسس الدولة الأموية بالشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، حكم الشام حكماً مستمراً، دام ما يزيد على الأربعين سنة، قضى بعضها (18 - 35) أميراً، وقضى الباقي متغلباً، ولاه على الشام الخليفة عمر، ولما ولي عثمان جمع له الديار الشامية كلها، ولما ولي علي عرله، فخرج علي علي بحجة المطالبة بدم عثمان⁽¹⁾، «حتى إذا قتل علي، وتمكن من السيطرة ترك المطالبة بدم عثمان»⁽²⁾. «وهو أول من لعن المسلمين على المنابر»⁽³⁾؛ «وأول من حبس النساء بجرائر الرجال، إذ طلب عمرو بن الحمق الخزاعي، لمولاته علياً، وحبس امرأته بدمشق، حتى إذا قطع عنقه، بعث بالرأس إلى امرأته وهي في السجن، وأمر الحرس أن يطرح الرأس في حجرها»⁽⁴⁾. «وكان يفرض على الناس لعن علي والبراءة منه، ومن أبي، قتله، أو بعث به إلى عامله زياد ليدفنه حياً»⁽⁵⁾. «وهو أول من سخر الناس، واستصفى أموالهم، وأخذها لنفسه»⁽⁶⁾؛ «وهو أول من حبس على معارضيهم»⁽⁷⁾؛ «محتجاً بأن العطاء ينزل من خزائن الله، فقل له الأحنف: إنا لا نلومك على ما في خزائن الله، ولكن على ما أنزله الله من خزائنه، فجعلته في خزائنك، وحلت بيتنا وبينه»⁽⁸⁾.

«وقيل لشريك بن عبد الله، إن معاوية كان حليماً، فقال: كلا، لو كان

(1) الأعلام، 172

(2) لبصائر والذخائر، 586.

(3) العقد الفريد 4-366 و5-91.

(4) ملاعات النساء، 64؛ اليعقوبي، تاريخ، 2-232؛ الديارات 179 و180

(5) لعقد الفريد 3-234 و4-34؛ الأغاني 18-150، 17-153؛ ابن الأثير، 3-485

(6) اليعقوبي، تاريخ، 2-232.

(7) الصولي، أدب الكتاب، 2-224.

(8) البصائر والذخائر، م2 ق2 ص689.

حبيماً ما سعه الحق ولا قاتل علياً⁽¹⁾. «ولما قتل علي بن أبي طالب، وتغلب معاوية بن أبي سفيان على السلطة، تغير الأمر عما كان عليه في عهد الحلفاء الراشدين وأخذ معاوية يحاسب أصحاب علي، على تصرفاتهم السابقة، ويطالبهم بالبراءة من علي، فإن لم يראوا، جرد لهم السيف، وأعد لهم أكفانهم، وحفر لهم قبورهم، وقتلهم أمام قبورهم المحفورة، وأكفانهم المنشورة»⁽²⁾؛ «وكان زياد ابن أبيه يدفن الناس أحياء»⁽³⁾، «وتابعه في ذلك ولده عبيد الله»⁽⁴⁾؛ «وزاد عليه بأنه كان يرمي أسراه من شاطئ»⁽⁵⁾؛ «وكان يقتل الصبية، ويتلذذ بمشاهدة مقتلها»⁽⁶⁾.

«قال سعيد بن المسيب إن معاوية أول من غير قضاء رسول الله ﷺ، وأول من خطب قاعداً لأنه كان بطيئاً بادئاً، وأول من قدم الخطبة على الصلاة خشى أن يتفرق الناس عنه قبل أن يقول ما بدا له، وأول من نصب المحراب في المسجد؛ وتوفي وله من الأموال التي استصفاه من مال كسرى وقيصر خمسون ألف ألف درهم.

أخذ البيعة ليزيد بن معاوية ثم دعا الناس إلى بيعة يزيد فأول من بايع يزيد معاوية؛ وكتب إلى مروان بن الحكم بأخذ بيعة أهل المدينة ليزيد عليه اللعنة فغضب مروان إذ لم يجعل إليه الأمر فصار إلى الشام

(1) جعفر، كتاب الآداب، 22، 23؛ العدادي، خزانة الأدب، 2. 518 و519؛ القاسبي لتوخي، الفرج بعد الشدة، 214.

(2) اعقد العريد، 3: 234.

(3) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 27؛ الأغاني، 17: 153.

(4) المحاسن والمساوي، 2: 165.

(5) ابن الأثير 4-36، 35.

(6) القاسبي لتوخي، الفرج بعد الشدة، 252.

فكلمه وجعله ولي عهد يزيد بعده ورده إلى المدينة؛ فامتنع أهل المدينة من بيعته فحاء معاوية حاجاً في ألف فارس إلى المدينة وتلقاه الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير فسلموا عليه فلم يرد جواب سلامهم وأغلط بهم في القول وعنف وذلك حيلة منه، فتوجه القوم إلى مكة لما رأوا من جفائه؛ ودخل معاوية المدينة ولم يبق بها أحد لم يبايعه وأخذ بيعة أهلها ليزيد وفرّق فيهم أموالاً عظيمة؛ ثم خرج إلى مكة فتلقاه الحسين بن علي فلما وقع بصره عليه؛ قال: مرحباً بابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة! دابة لأبي عبد الله! ثم طلع عليه عبد الله بن الزبير؛ فقال: مرحباً بابن حوارى رسول الله وابن عمته! دابة لأبي خبيب! ثم كذلك كلما طلع عليه طالع حياه وأمر له بدابة وصلة ثم دخل مكة وهدايا وجوائزه يروح عليهم ويغدو حتى أنماهم الأموال؛ ثم أمر برواحله فعلقت بباب المسجد وجمع الناس وأمر بصاحب حرسه أن يقيم على رأس كل رجل من الأشراف رجلاً بالسيف؛ وقال: إن ذهب واحد منهم إلى أن يراجعني في كلامي فاضربوا عنقه! ثم صعد المنبر وخطب، فقال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ولا يبتز أمر دونهم ولا يقضى أمر عن غير مشورتهم وقد بايعوا يزيد فبايعوه بسم الله! فأما الأشراف فلم يكن يمكنهم تكذيبه ومراجعته وأما سائر الناس فلا جرأة لهم على الكلام ولا علم لهم بشيء مما يقول؛ فأخذ البيعة وركب رواحله وضرب إلى الشام، وكان يقول: نولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي! وفيه يقول بعضهم:

فإن تأتوا برملة أو بهند نبايعها أميرة مؤمنينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى بنوه بعده متناسقينا
خشينا الغيظ حتى لو سقينا دماء بني أمية ما شفيانا

... ومات معاوية بدمشق سنة ستين وهو ابن ثمانين سنة، وكان رجلاً طوالاً جسيماً بادناً أبيض جميل الوجه إذا ضحك انقلبت شفته العليا وبيع أهل الشام يزيد من معاوية على الوفاء بما أخذ له معاوية من بيعتهم⁽¹⁾.

من هنا، فقد نُسب للنبي عدد من الأحاديث تحط من شأن معاوية، ولا نعتقد إلا أنها موضوعة نتيجة للحرب السياسية التي كانت قائمة وقتئذٍ، والتي حاول أطرافها استخدام كل ما تحت أيديهم من ترسانات لاهوتية؛ يقال «إن رسول الله ﷺ دعا معاوية ليكتب بين يديه، فدافع بأمره واعتل بطعامه؟ فقال ﷺ: «لا أشبع الله بطنه». فبقي لا يشبع وهو يقول: والله ما أترك الطعام شعباً، ولكن إعياء! ومنها أن رسول الله ﷺ قال: «يطع من هذا الفح رجل من أمتي يحشر على غير ملتي»، فطلع معاوية. ومنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»، ومنها الحديث المشهور المرفوع أنه ﷺ قال: «إن معاوية في نابوت من نار، في أسفل درك من جهنم، ينادي: يا حنان يا منان. فيقال له: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين».

«ومنها أثرؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً... علي بن أبي طالب... وقد قال [النبي] لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية»، «تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»⁽²⁾ - ومعروف أن معاوية هو من قتل عمار بن ياسر.

(1) انظر من طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 330؛ أنظر: أحمد زكي صعوت، جهرة رسائل العرب في عصور العربية، 557.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1613.

معاوية والنساء والخمر:

معروف أنَّ معاوية تزوج من ميسون بنت بحدل الكلبيّة، التي أُعجبت له انه يزيدُ يروي الدميمري: «لما أتصلت ميسون بنت بحدل الكلبيّة أم يريد بن معاوية بمعاوية، وكانت ذات جمال باهر، وحس عامر، أعجب بها معاوية ﷺ، وهياً لها قصرأ مشرفاً على الغوطة، وزينه بأنواع الزخارف، ووضع فيه من أواني الفضة والذهب ما يضاهاه، ونقل إليه من الديباج الرومي الملون والموشى ما هو لائق به، ثم أسكنه، مع وصائف لها، كأمثال الحور العين .. [لكن ميسون لم ترض باستبدال حياة البداوة بحياة المدينة وقالت في ذلك شعراً لا يخلو من نقد لمعاوية]، فلما دخل معاوية، عرفته الحفظة بما قالت، وقيل: إنه سمعها، وهي تنشد ذلك، فقال: ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنوفاً، هي طالق ثلاثاً، مروها فلتأخذ جميع ما في القصر، فهو لها ثم سيرها إلى أهلها بنجد. وكانت حاملاً بيزيد فولدته بالبادية، وأرضعته سنتين ثم أخذه معاوية ﷺ منها بعد ذلك»⁽¹⁾.

يروى أيضاً: «حدثني حديج خصي لمعاوية، قال: اشترى لمعاوية جارية بيضاء جميلة، فأدخلها عليه مجردة ويده قضيب، فجعل يهوي به إلى متاعها ويقول: هذا المتاع لو كان له متاع! اذهب بها إلى يزيد بن معاوية. ثم قال: لا، ادع لي ربيعة بن عمرو الجرشي وكان فقيهاً، فلما دخل عليه قال: إن هذه أتيت بها مجردة فرأيت منها ذلك وذلك، وإني أردت أن أعت بها إلى يزيد. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنها لا تصلح له. قال: نعم ما رأيته. ثم قال: ادع لي عبد الله بن مسعدة الغزاري، فدعوته

(1) الدميمري، حياه الحيوان الكرى، 608.

- وكان آدم شديد الأدمة - فقال: دونك هذه يَبِضُّ بها ولدك وهو عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن بدر⁽¹⁾.

ويروي أيضاً: «خلا معاوية بجارية له خراسانية، فما همَّ بها نظر إلى وصيفة في الدار، فترك الخراسانية وخلا بالوصيفة ثم خرج فقال لخراسانية: ما اسم الأسد بالفارسية؟ قال: كفتار، فخرج وهو يقول: ما الكفتار؟ ف قيل له: الكفتار الضبع، فقال: ما لها قاتلها الله، أدركت بثأرها والفُرسُ إذا استفسحت وجه الإنسان قالت: رُوي كفتار، أي وجه الضبع⁽²⁾».

من المهم أن نلاحظ، من منظور موضوعي - حيادي، هو أنَّ معاوية بن أبي سفيان، مقارنة بمن جاء بعده من خلفاء أمويين وعباسيين، ربما باستثناء عمر الثاني، كان الأقل تهتكاً وخلاعة في مسألة العلاقات النسائية؛ بل حتى في النصوص التي تحكي عن تماس له بالنساء فإنَّ العنصر لجنسي الواضح مفتقد على نحو شبه دائم؛ وهذا مرده، برأيي، أحد أسباب ثلاثة:

- إمَّا أن معاوية كان ما يزال متأثراً بالجو البيوريتاني جنسياً للخلفاء الراشدين، فأثر أن يكون أكثر التزاماً في علاقاته الخاصة من غيره من الخلفاء.
- أو أنه كان حريصاً على إبعاد حياته الخاصة عن أعين الرواة والبقاد والعداء، مع ملاحظة أن هكذا مسألة كانت أقل من عادية في ذلك الزمن.

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 852.

(2) الحافظ، الحيوان، 591.

- أو أن الطعنة التي تلقاها في محاولة اغتياله الفاضلة التي قال له الطبيب بعدها إنه سيفقد قدرته على الإنجاب، كما ذكرت مراجع كثيرة، أفقدته قدرته الجنسية بالكامل؛ والدليل توقفه بعدها عن إنجاب الأطفال.

من النصوص النادرة التي تناقش علاقات معاوية النسائية، الرواية التالية: «حكى أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي في كتابه المترجم بدم الهوى بسند رفعه إلى هشام بن عروة، قال: أذن معاوية بن أبي سفيان يوماً للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عذرة. فلما أخذ الناس مجالسهم، قام الفتى العذري بين السماطين فأنشأ يقول:

معاوي، يا ذا الفضل والحلم والعقل	ودا البهز والإحسان والجود والبذل
أنتك لنا صاقي في الأرض مسكبي	والكرب مما قد أصيب به عظمي

فقال معاوية: ادن بارك الله عليك! ما خطبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين! إنني رجل من بني عذرة، تزوجت ابنة عم لي. وكانت صرمة من الإبل وشويهات فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابني نائبة لي الزمان وحادثات الدهر، رغبت عني أبوها. وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرهت مخالفة أبيها. فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستصرخاً به راجياً لنصرته. فذكرت له قصتي، فأحضر أباهما وسأله عن قضيتي وكان قد بلعه جمالها، فدفع لآبيها عشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لك، وزوجني بها وأنا أضمن خلاصها من هذا الأعرابي! فرغب أبوها في البذل فصدر الأمير لي خصماً وعلي منكر! فانتهرني وأمر بي إلى السجن وأرسل إلي أن أطلقها فلم أفعل. فحبسني وضيق عليّ وعذبني بأنواع العذاب،

فلما أصابني من الحديد وألم العذاب ولم أجد بداً عن ذلك، طلقتهما فما استكملت عدتها حتى تزوج بها. فلما دخل بها أرسل إليّ فأطلقني. وقد أتيت يا أمير المؤمنين مستجيراً بك، وأنت غياث المكروب، وسند المسلوب. فهل من فرج؟ وبكى

.. فرق له معاوية وكتب إلى ابن الحكم كتاباً غليظاً... ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الكميث ونصر بن ذبيان وقال: اذهبا به إليه! فبما ورد كتاب معاوية على ابن الحكم وقرأه تنفس الصعداء، وقال: وددت أن أمير المؤمنين خلّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف! وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر. فلما أزعجه الوفد طلقها وأسلمها إليهما. فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما اشتملت عليه من الجمال المفرط، قالوا: لا تصلح هذه إلا لأمر المؤمنين! وكتب ابن الحكم كتاباً لأمر المؤمنين معاوية، ودفعه إليهما مع الجارية. فلما ورد الكتاب على معاوية وقرأه، قال: لقد أحسن في الطاعة، ولكن أظن في ذكر الجارية! ولئن كانت أعطيت حسن الثَّغمة مع هذا الوصف الحسن فهي أكمل البرية! فأمر بإحضارها، فلما مثلت بين يديه، استنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاماً وأكملهم شكلاً ودلالاً. فقال: يا أعرابي، هذه سعدي! ولكن هل لك عنها من سلوة بأفضل الرغبة؟ قال نعم، إذا فرقت بين رأسي وحسدي! فقال: أعوزك عنها يا أعرابي بثلاث جوارٍ ومع كل واحدة ألف دينار وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك في كل سنة ويعينك على صحبتهم. فشهو شهقة ظن معاوية أنه مات. فقال له: ما بالك يا أعرابي؟ قال أشرُّ مال وأسوأ حال، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فعد من أستجير من جورك؟ قال: فغضب معاوية غضباً شديداً، ثم قال: يا

أعرابي، أنت مقرّ بأنك طلقته! ومروان مقرّ بأنه طلقها، ونحن نخيرها فإن احتارتك أعدناها إليك بعقد حديد، وإن اختارت سواك زوجناه بها ثم التفت إليها أمير المؤمنين وقال: ما تقولين، يا سعدى؟ أيما أحب إليك، أمير المؤمنين في عزه وشرفه وسلطانه وما تصيرين إليه عنده، أو مروان بن الحكم في عسفه وجوره، أو هذا الأعرابي في فقره وسوء حاله؟... قالت، والله يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الأيام! وإن لي معه صحبة لا تنسى ومحبة لا تبلى! والله إنني لأحق من صبر معه الضراء كما تنعمت معه السراء! فعجب كل من كان حاضراً، فأمر له بها ثم أعادها له بعقد جديد، وأمر لهما بألف دينار⁽¹⁾.

مقاطع نادرة تلك التي حكّت عن دور الحمور في حياة معاوية، منها ما يقوله الراغب الأصبهاني: «كانت الخلفاء من بني أمية لا يظهرون للندماء والمغنين، وكان بينهم وبين ندمائهم ستارة؟ وكان بنو العباس يظهرون ثم احتجبوا، ولم ير أبو جعفر قط يشرب إلا الماء، وكان المهدي في أول أمره يحتجب متشبهاً بمن قبله، ثم ظهر لهم؛ وقال: اللذة في مشاهدة السرور والدنو من الأحباب»⁽²⁾.

«أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة. وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة، إذا طرب للمعنى والتّدّه حتى ينقلب ويمشي ويحرك كتفيه ويرقص ويتجرّد من ثيابه حيث لا يراه إلا خواص جواريه.

(1) التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 173.

(2) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والخطباء، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بأربعاب الأصبهاني المتوفي عام 502 هـ: 331.

إلا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة صوت أو نكير طرب أو رقص أو حركة بزمير تجاوز المقدار، قال لصاحب الستارة: حسبك يا حارية! كفى! انتهى! أقصري! يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجواري.

أما القانون من بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتحرّدوا، عراة بحضرة الندماء والمغنين. وعلى ذلك، لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المجور والرفث بحضرة الندماء والتجرد، لا يباليان ما صنعاه⁽¹⁾.

معاوية ووصيته وخلافة يزيد:

يروى خليفة في تاريخه: «سمعت أشياحاً من أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيداً؛ فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوها فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنه رجل قد عرفنا نصيحته»⁽²⁾؛ وفي نص مشابه، نقرأ: «أن معاوية لما حضره الموت؛ قال ليزيد بن معاوية: قد وطأت لك البلاد وفرشت لك الناس ولست أخاف عليكم إلا أهل الحجاز، فإن رابك منهم ريب فوجه إليهم مسلم بن عقبة المري، فإنني قد جربته غير مرة، فلم أجد مثلاً لطاعته ونصيحته»⁽³⁾.

يروى أيضاً: «قال معاوية ليزيد: إذا دلتني في قبري فأدخل عمرو بن العاص القبر، ووله أن يسويني في قري وأخرج أنت من الحفرة عمراً

(1) الجاحظ، التاج، 32.

(2) (تاريخ خليفه 1: 238؛ راجع: البداية والنهاية 3048؛ أنساب الأشراف 697؛ العقد

العريد 638؛ تاريخ الطبري 3: 359؛ سبط العوالى في أنباء الأوائل والتوالي 591

(3) الحافظ، المشي، مجمع الزوائد ومنع الفوائد، 1296؛ راجع أيضاً: ابن الصقفي، الفحري في الأداب السلطانية، 43.

واسل سيفك وأمر عمر أن يبايع، فإن فعل وإلا دفنته قبلي؛ ففعل يريد ما أمره به معاوية، فلما نظر عمرو إلى السيف بايعه، وقال: يا يزيدا هذا عمل صاحب الحفرة وم هو من كيسك⁽¹⁾.

لعن معاوية:

هذا كله دفع بأحد خلفاء بني العتاس إلى محاولة لعن معاوية على المبار، أسوة بما فعله مؤسس الخلافة الأموية علي بن أبي طالب. «قال ابن جرير الطبري. وفيها [السنة] عزم المعتضد على لعن معاوية على المبار، فحوفه عبيد الله الوزير اضطراب العامة فدم يلمت... واجتمع الدس يوم الجمعة ساء على أن الخطيب يقرأه، فم قرأه، وكان من إنشاء الوزير عبيد الله، وفيه «وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة من شبهه قد دخلتهم في أديانهم، على غير معرفة ولا روية، حالوا السس، وقدموا فيها أئمة الضلالة، ومالوا إلى الأهواء، وقد قال الله تعالى «ومن أصل ممن اتع هواه بغير هدى من الله» حروجا عن الجماعة، ومسارة إلى الفتنة، وإطهار لموالة من قطع الله عنه الموالة. وثر منه العصمة، وأخرجه من الملة قال الله تعالى: «والشجرة الملعونة في القرآن» وإنما أراد سي أمية الملعونين على لسان بيه. وهو كانوا أشد عداوة من جميع الكفار. ولم يرفع الكفار راية يوم بدر وأحد والحدق إلا وأنو سفيد وأشياعه أصحابها وقد دته» ثم ذكر أحاديث واهية وموصوعة في دم أبي سفيان وبني أمية، وحديث: «لا أشع الله نطه»، عن معاوية وأنه نازع علياً حقه، وقد قال (عليه السلام) لعمار «تقتلك الفئة الباغية». وأن

(1) أبو جند التوحيدي، الصائر والدحائر، 341

معاوية سفك الدماء، وسبى الحريم، وانتهب الأموال المحرمة، وقتل حجراً، وعمرو بن الحمق، وادعى زياد بن أبيه جرأة على الله، والله يقول: «أدعوهم لأثائمهم» والنبى ﷺ يقول: «الولد للفراش». ثم دعى إلى بيعه ابنة يريد، وقد علم فسقه، ففعل بالحسين وآله ما فعل؛ ويوم الحرة، وحرق البيت الحرام. وهو كتاب طويل فيه مصائب. فلما كتبه الوزير قال للفصيح يوسف بن يعقوب: كلم المعتضد فيه هذا. قال له: يا أمير المؤمنين، أخاف الفتنة عند سماعه. فقال: إن تحركت العامة وضعت السيف فيها. قل: فما نصنع بالعلويين الذين هم في كل ناحية قد خرجوا عليك؟ وإذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت كانوا إليهم أميل وصاروا أبسط السنة. فأمسك المعتضد⁽¹⁾.

مع ذلك، يبدو أن مسألة لعن معاوية أكثر قدماً من زمن المعتضد؛ نقرأ: «وتحدث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر، فلما صلى الناس بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ. فذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية، فأخرج له من الديوان، فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب، وذكر أنها نسخة الكتاب الذي أنشأ للمعتضد بالله⁽²⁾. ورد في الكتاب بحسب الطبري: «قال الله عز وجل: «بسم الله الرحمن الرحيم» ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين «صدق الله العظيم» خروجاً عن الجماعة، ومسارة إلى الفتنة وإيثاراً للفرقة، وتشتيماً للكلمة وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة.

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 2161.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2514.

ونتر منه العصمة، وأخرجه من الملة، وأوجب عليه اللعنة، وتعطيماً لمس
صعر الله حقه، وأوهن أمره، وأضعف ركنه، من بني أمية الشجرة الملعونة،
ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة، وأسبغ عليهم به النعمة؛ من أهل
بيت البركة والرحمة⁽¹⁾. «وأشدّهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة،
وأولهم في كل حرب ومناصب، لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها
وقائدها ورئيسها، في كل مواطن الحرب، من بدر وأحد والخندق والفتح
أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية، الملعونين في كتاب الله، ثم
المبعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن، وعدة مواضع، لما مضى
علم الله فيهم وفي أمرهم، ونفاقهم وكفر أحلامهم؛ فحارب مجاهداً، ودفع
مكبداً، وأقام منابذاً حتى قهره السيف، وعلا أمر الله وهم كارهون؛ فتقول
الإسلام غير منطو عليه، وأسر الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول
الله ﷺ والمسلمون، وميز لهم المؤلفة قلوبهم، فقبله وولده على علم منه؛
فمما لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ، وأنزل به كتاباً قوله: «بسم الله الرحمن
الرحيم» والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً
«صدق الله العظيم». ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية. ومنه قول
الرسول ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به:
لعن الله القائد والراكب والسائق. ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد
مناف تلقفوها تلقف الكرة، فما هناك جنة ولا نار. وهذا كفر صراح يلحقه
به اللعنة من الله كما لحقت «بسم الله الرحمن الرحيم» الذين كفروا من بني
إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
«صدق الله العظيم». ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب

(1) السابق، 2515.

بصره، وقوله لقائده: ها هنا ذبيتنا محمداً وأصحابه... ومنه أن رسول الله ﷺ دعا معاوية ليكتب بأمره بين يديه، فدافع بأمره، واعتل بطعامه، فقال النبي: «لا أشبع الله بطنه»، فبقي لا يشبع، ويقول: والله ما أترك الطعام شبعاً، ولكن إعياء. ومنه أن رسول الله ﷺ قال: «يطلع من هذا الفح رجل من أمتي يحشر على غير ملتي»، فطلع معاوية. ومنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه». ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال: «إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي: يا حنان يا منان، الآن وقد عصيت قبل وكنت كن المفسدين. ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً، وأقدمهم إليه سبياً، وأحسبهم فيه أثراً وذكرأ؛ علي بن أبي طالب، ينازعه حقه بباطله، ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هو أبوه يحاولانه، من إطفاء نور الله وجحود دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون. يستهوى أهل الغباوة، ويمون على أهل الجهالة بمكره وبغيه، الذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنهما، فقال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»، مؤثراً للعاجلة، كافراً بالآجلة، خارجاً من ربة الإسلام، مستحلاً للدم الحرام، حتى سفك في فنته، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه، مجاهداً لله، مجتهداً في أن يعصي الله فلا يطاع، وتطفل أحكامه فلا تقام، ويخالف دينه فلا يدان⁽¹⁾. ثم أوجب الله له به اللعنة، قتل من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة؛ مثل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي، فيمن قتل من أمثالهم، هي أن تكون له العرة والملك والغلبة، والله العزة والملك والقدرة، والله عز وجل يقول:

(1) السابق، ص 2516.

«بسم الله الرحمن الرحيم» ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً «صدق الله العظيم» ومما استحو به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سمية، جرأه على الله؛ والله يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» ادعوه لآبائهم هو أقسط عند الله «صدق الله العظيم». ورسول الله ﷺ، يقول: «ملعون من ادعى إلى غير أبيه، أو اتهم إلى غير مولية»، ويقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ جهاراً، وجعل الولد لغير الفراش، والعاهر لا يضره عهره، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي ﷺ وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله، وأثبت بها قربي قد بعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله، مما لم يدخل على الإسلام خلل منه، ولم ينل الدين تبديل شبهه. ومنه إثارة بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير، صاحب الديوك والفهود والقروء، وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرغبة، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره⁽¹⁾.

«اللهم إني أبا سفيان بن حرب، ومعاوية ابنه، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وولده؛ اللهم إني أئمة الكفر، وقادة الضلالة، وأعداء الدين، ومحاهدي الرسول، ومفيري الأحكام، ومبدلي الكتاب وسفكي الدماء الحرام.

اللهم إنا نتبرأ إليك من موالة أعدائك، ومن الإغماض لأهل معصيتك»⁽²⁾.

(1) السابق، 2517.

(2) السابق، 2518.

الفصل الثاني

بسر بن أرطاة

من هو بسر بن أرطاة، مكانته من معاوية، وماذا فعل؟

«نُسِرَ بن أرطاة (00 - 86 هـ / 00 - 705 م) (أو اس أبي أرطاة^١)، العامري

(1) سر بن أرطاة أو بن أرطاة قال ابن حبان من قال اس أبي أرطاة فقد وهم. واسم أبي أرطاة عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن رزار بن معيص بن عمرو بن لؤي القرشي العامري يكنى أبا عبد الرحمن. مختلف في صحته فقال أهل الشام: سمع من النبي ﷺ وهو صغير. وفي سنن أبي داود بإسناد مصري قوي عن حنادة بن أبي أمية قال: كنا مع سر بن أبي أرطاة في البحر فأتى سارق فقتل. سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تقطع الأيدي في «السفر» وروى ابن حبان في صحيحه من طريق أبيوب بن ميسرة بن حليس سمعت سر بن أبي أرطاة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم حسن عاقبتنا في الأمور كلها الحديث وأما الواقدي فقال: وقد قتل لسبي ﷺ يستين وقال يحيى بن معين: مات السبي ﷺ وهو صغير وقال الدارقطني: له صحة وقال ابن يونس: كان من أصحاب رسول الله ﷺ شهد فتح مصر واحتط بها وكان من شيعة معاوية وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين وأمره أن ينظر من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل ذلك. وقد ولي البحر لمعاوية ووسوس في آخر أيامه قال ابن السكيت: مات وهو حريف. وقال ابن حبان: كان يبي معاوية لأعمال وكان إذا دعا ربه استجيب له وله أخبار شهيرة في الفتى لا يسعى التشاغل بها وقيل: مات أيام معاوية قاله ابن السكيت وقيل: بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان وهو قول خديعة وبه حرم بن حبان وقيل: مات في خلافة الوليد سنة ست وثلاثين حكاه المسعودي. (س) حجر العسقلاني، الإصالة في معرفة الصحابة، (98)

القرشي، أبو عبد الرحمن: قائد قتال من الحباريين ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً، وروى عن النبي ﷺ حديثين «هي مسند أحمد» ثم كان من رجال معاوية بن أبي سفيان؛ وشهد فتح مصر؛ ووجهه معاوية سنة 39هـ في ثلاثة آلاف إلى المدينة فأخضعها وإلى مكة واحتلها، وإلى اليمن فدخلها، وكان معاوية قد أمره بأن يوقع بمن يراه من أصحاب علي، فقتل منهم جمعاً وعاد إلى الشام، فولاه معاوية على البصرة سنة 41هـ بعد مقتل علي وصلح الحسن، فمكث يسيراً وعاد إلى الشام؛ فولاه البحر، فغزو الروم سنة 50هـ، فبلغ القسطنطينية وأصيب بعد ذلك في عقله، فلم يرل معاوية مقرباً له، مدنياً مرسته، وهو على تلك الحال، إلى أن مات.

(1) من النصوص التي تحكي عن مكة سر عند معاوية، بقراً سر س أبي أ طة القرشي أبو عبد الرحمن كان يلي معاوية الأعمال ويعمل فيها بالعجائب مات في ولاية عبد الملك بن مروان (ان حبان، مشاهير عتباء الأمصار، 18)، ودع معاوية يريد من أسد، وسر س أرطاة، وعمرو بن سفيان، ونخارق بن الخديت، وحمزة بن مالك، وحاسن بن سعد الطائي - وهؤلاء رؤوس قحطان وايمس، وكانوا ثقات معاوية وحاصته وبني عم شرحبيل بن السمط - فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أب علناً قتل عثمان (بن أبي الحديد، شرح صحيح البلاء، 127)؛ معاوية جعل على ساقته سر س أرطاة العامري (بن أبي الحديد، شرح صحيح البلاء، 297)، وأما معاوية وعلى رحالة أهل دمشق سر س أبي أرطاة العامري (بن أبي الحديد، شرح صحيح البلاء، 350)، كتب معاوية إلى شرحبيل يسأله المقدم عليه وهياً له رجلاً يجره أن علماً قتل عثمان، منهم يريد بن أسد الحجلي وسر س أرطاة وأبو الأعور السلمي (ان منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3757)؛ قال نصر وحديث عمر بن سعد، قال عقد معاوية يوماً من أيام صيف الرياسة على اليمن من قرش، قصد بذلك إكرامهم ورفع منازلتهم منهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد وعنته ابن أبي سفيان، وسر س أبي أرطاة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وذلك في الوقعة الأولى من صيف، فعم ذلك أهل اليمن، وأردوا ألا يتأمر عليهم أحد، لا منهم (بن أبي الحديد، شرح صحيح البلاء 818)

في دمشق، وقيل في المدسنة، عن نحو تسعين عاماً⁽¹⁾ فولد عويمر بن عمران. أرطاة، واسمه عمير⁽²⁾؛ وعويمراً، أمهما: عاتكة بنت وهبان بن جابر بن وهب بن ضباب. فولد أبو أرطاة بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سير بن نزار بن معيص بن عامر: بسر بن أبي أرطاة، وبسر الذي قتل بني عبد الله بن عباس باليمن، وكان معاوية بن أبي سفيان وجهه يتبع شيعة علي بن أبي طالب⁽³⁾.

في نص آخر نقراً: «بسر بن أبي أرطاة - عمير - بن عويم بن عمران بن نزار - ويقال: بسر بن أرطاة - أبو عبد الرحمن العامري، القرشي: نزيل دمشق، روى عن النبي ﷺ، وقال الواقدي، وأحمد، وابن معين إنه لم يسمع منه⁽⁴⁾، لأنه ﷺ توفي وهو صغير، قال الواقدي: كان ابن سنتين... قل ابن يونس: كان صحابياً، شهد فتح مصر، وله بها دار وحمام، وكان من شيعة معاوية، وولي الحجاز واليمن، ففعل أفعالاً قبيحة، ووسوس

(1) الزركلي، الأعلام، 183

(2) بسر بن أبي أرطاة واسم أبي أرطاة عمير وله صحبة القرشي الشامي ويكنى أبا عبد الرحمن روى عنه حنيفة بن أبي أمية وأيوب بن ميمرة بن حلس الجلفاني سمعت أبي يقول ذلك حدثنا عبد الرحمن سمعت أبا زرعة يقول سمعت نكار بن عبد الله الدمشقي من ولد سر بن أبي أرطاة يقول اسم أبي أرطاة عمير وكنيته سر أبو عبد الرحمن وهو من قريش من بني عامر بن لؤي. حدثنا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين قال بسر بن أبي أرطاة رحل سوء. (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي التميمي، الجرح والتعديل، 259).

(3) مصعب الزبيري، نسب قريش، 145

(4) سر بن أبي أرطاة. له صحبة فيما قيل. وقيل: لا، وأورده ابن عدي في الكامل وقال الواقدي قضى النبي ﷺ وبسر صغير لم يسمع منه. وقال ابن معين كان رحل سوء، أهل المدينة يتكفرون أن يكون له صحبة. (الذهبي، ميزان الاعتدال، 106).

في أحر أيامه، وقال غيره، كان أميراً سرياً، بطلاً شجاعاً فائقاً، حرح إلى اليمن في ألف فارس يطلب بدم عثمان، ساق ابن عساكر في تاريخه أحاربه، وكان قد سكن الشام، ويروى عن الشعبي: أنه هدم بالمدينة دوراً كثيراً، وصعد المنبر وصاح: يا دينار، يا زريق، شيخ شمش، عهدته هنا بالأمس ما فعل؟ - يعني: عثمان - بأهل المدينة، لولا عهد أمير المؤمنين ما تركت بها أحداً إلا قتلته، ثم مضى إلى اليمن، وكان إذا دعا ربما يجاب، مات في إمارة عبد الملك بن مروان بالمدينة، وقيل بالشام، وهو أيضاً في التهذيب، لرواية أبي داود، والترمذي، والنسائي له حديث واحد، وفي الإصابة وغيرهما⁽¹⁾.

نجد ذكراً له ضمن قوات خالد بن الوليد التي أرسلها أبو بكر إلى الشام: «فوجه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين بالشام، ضمهم إليه؛ فشخص خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة - ويقال في خمسمائة - واستخلف على عمله المثنى بن حارثة، فلقبه عدو بصندوداء، فظفر بهم، وخلف بها ابن حرام الأنصار؛ ولقى جمعاً بالمصيخ والحصيد، عليهم ربيعة بن بجير التغلبي، فهزمهم وسبى وغنم، وسار ففوز من قراقر إلى سوى؛ فأغار على أهل سوى؛ واكتسح أموالهم، وقتل حرقوص ابن النعمان البهراني، ثم أتى أرك فصالحوه، وأتى تدمر فتحصنوا، ثم صالحوه؛ ثم أتى القرينين، فقاتلهم فظفر بهم وغنم، وأتى حوارين؛ فقاتلهم فهزمهم وقتل وسبى، وأتى قصم فصالحه بنو مشجعة من قضاة، وأتى مرج داهط، فأغار على غسان في يوم فصحمهم فقتل وسبى، ووجه بسر بن أبي أرطاة وحبيب بن

(1) السحاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، 142.

مسلمة إلى الغوطة، فأتوا كنيسة فسبوا الرجال والنساء، وساقوا العيال إلى خالد⁽¹⁾.

عن حياته نقرأ أيضاً: «قال الواقدي: ولد قبل وفاة النبي ﷺ بستين، وقال يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل وغيرهما: قبض رسول الله ﷺ وهو صغير، وقال أهل الشام: سمع من رسول الله ﷺ وهو أحد من بعثه عمر بن الخطاب⁽²⁾ مدداً لعمر بن العاص لفتح مصر، على اختلاف فيه أيضاً فمن ذكره فيهم قال: كانوا أربعة: الزبير، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة، وبسر بن أرطاة⁽³⁾، والأكثر يقولون: الزبير والمقداد، وعمير،

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 710.

(2) «بسر - بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها راء - ابن أرطاة ابن أبي أرطاة عمير. وقيل عويمر القرشي العامري، أبو عبد الرحمن؛ يقال إنه لم يسمع من النبي ﷺ لأنه قبض وهو صغير، هذا قول الواقدي وابن معين وأحمد وغيرهم، وقالوا: خرف في آخر عمره. وهو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب مدداً إلى عمرو بن العاص لفتح مصر، على اختلاف فيه قبل كانوا أربعة: الزبير وعمير بن وهب وخارجة بن حذافة وبسر بن أرطاة، والأكثر على أنهم: الزبير والمقداد وعمير وخارجة. وبسر بن أرطاة حديثان، أحدهما لا تقطع الأيدي في المغازي والثاني: أن رسول الله ﷺ كان يقول اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجربنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. وكان ابن معين يقول: لا تصح له صحبة؛ وكان يقول فيه: رحل سره. (الصنعدي، الوافي بالوفيات، 1372).

(3) وكذا سر من الأبطال الطغاة، وشهد مع معاوية صفين. وهو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب مدداً إلى عمرو بن العاص لفتح مصر على اختلاف في ذلك فمن ذكره فيهم فقال: كانوا أربعة: الزبير وعمير بن وهب وخارجة بن حذافة وبسر بن أرطاة ومنهم من يجعل بدل بسر المقداد، وعليه أكثر الرواة، وهو أول بالصواب إن شاء الله. ولم يتخلوا أن المقداد شهد فتح مصر. وكان بسر سفاكاً للدماء، حريث على المحظور قال أبو الحسن الدارقطني: بسر بن أرطاة له صحبة، ولم تكن له استقامة بعد أسير النبي ﷺ. وكان يحيى بن... يقول: لا تصح له صحبة. وكان يقول فيه: رحل سوء (البري، الجوهرية في نسب النبي وأصحابه العشرة، 202).

وخارجة. قال أبو عمر: وهو أولى بالصواب، قال: ولهم يختلفوا أن المقداد شهد فتح مصر. عن جنادة بن أبي أمية قال: كنا مع بسر بن أبي أرطاة في البحر، فأتى بسارق يقال له: مصدر، قد سرق، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقطع الأيدي في السفر». وشهد صفين مع معاوية، وكان شديداً على علي⁽²⁾ وأصحابه⁽³⁾.

اتفق كثيرون أن ليس له صحبة: «توفي أبو مسلم الخولاني بأرض الروم في حملة بسر في خلافة معاوية. فقال لبسر بن أرطاة - وكان رجلاً سوء - يزعم كثير من أهل الشام له صحبة وهو باطل»⁽⁴⁾.

وقيل عنه أيضاً: «مختلف في صحبته. روى عن النبي ﷺ حديثين أحدهما: «لا تقطع الأيدي في الغزو». [روى له أبو داود حديثاً واحداً عن جنادة بن أبي أمية عن بسر بن أرطاة عن النبي ﷺ]: «لا تقطع الأيدي في السفر»⁽⁵⁾.] والآخر «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة».

(1) لا يعقل منطقياً أن يكون حفظ أحاديث عن النبي وهو في الثانية من عمره كما قال الواقدي.

(2) وكان علي بن أبي طالب يقاتل في صلاة الفجر وفي صلاة المغرب، ويلعن معاوية، وعمره، ولغيره، ولوليد بن عتبة، وأبا الأعور، والضحاك بن قيس، وسر بن أرطاة، وحبيب بن مسلمة، وأبا موسى الأشعري، ومروان بن الحكم، وكان هؤلاء يقتلون عليه ويلعنونه (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 370)؛ ولما قتلت علي بن أبي طالب عليه السلام ولعنهم وهم: معاوية، وعمرو بن العاص، وأبو الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، وسر بن أرطاة، قتلت معاوية على خمسة، وهم: علي، والحسن، والحسين - عليهما السلام - وعبد الله بن العباس، والأشتر، ولعنهم. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1587)

(3) ابن الأثير، المؤرخ، أسد الغابة، 112.

(4) القسوي، المعرفة والتاريخ، 292.

(5) إيري، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 3663.

قال أبو القاسم: سكن دمشق وشهد صفين مع معاوية وكان على رجالة أهل دمشق وداره بدمشق بالشعارين؛ وولاه معاوية اليمن وكانت له بها آثار غير محمودة وقيل: إنه خرف قبل موته. وذكره محمد بن سعد في الطبقة الحامسة قال: وأمه بست الأبرص بن الحليس بن سيار؛ قال: فولد بسر الوليد لأم ولد. قال محمد بن عمر: قبض رسول الله ﷺ وبسر صغير ولم يسمع من رسول الله ﷺ شيئاً في روايته؛ قال: وفي غير رواية محمد بن عمر: أنه سمع من النبي ﷺ وأدركه وروى عنه.

وقال أبو سعيد بن يونس: بسر بن أبي أرطاة يكنى أبا عبد الرحمن من أصحاب رسول الله ﷺ شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية بن أبي سفيان وشهد مع معاوية صفين وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين وأمره أن يتفرق من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل بمكة والمدينة واليمن أفعالاً قبيحة. وقد ولي البحر لمعاوية وكان قد وسوس في آخر أيامه فكان إذا لقي إنساناً قال: أين شيخي؟ أين عثمان؟ ويسيل سيفه فلما رأوا ذلك جعلوا له في جفنه سيفاً من خشب وكان إذا ضرب به لم يضر. حدث عنه أهل مصر. وأهل الشام. وتوفي بالشام في آخر أيام معاوية وله عقب ببغداد والشام. وقال الدارقطني: له صحبة ولم تكن له استقامة بعد النبي ﷺ. وقال أبو أحمد بن عدي: مشكوك في صحبته النبي ﷺ ولا أعرف له إلا هذين الحديثين وأسانيده من أسانيد الشام ومصر لا أرى بإسناده هذين بأساً. (1)

«عن يزيد بن أبي يزيد عن بسر بن أبي أرطاة، أنه كان يدعو اللهم

أحس عاقبتنا في الأمور كلها أجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة؛ فقبل له. يا أبا عبد الرحمن ما تزال تردّد هذه الدّعاوات! فقال. إبي سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهنّ، فلن أدعهنّ حتى أموت. وروى عن يونس بن حليس، بسنده عن أبي حوالة، قال: قال النّبي ﷺ: «عليك بالشام»⁽¹⁾.

«روى عن النبي ﷺ حديثين. روي عن بسر بن أرطاة: أنه كان يدعو كلما ارتحل: اللهم إنا نستعينك على أمرنا كله، فأحسن عونك، ونسألك خير المحيا وخير الممات. فقال له عبيدة المليكي: أمن النّبي ﷺ سمعتها؟ قال بسر: نعم، كان النّبي ﷺ يدعو بها. وكان بسر كلما ارتحل يقول: إنا مرتحلون وربنا محمود»⁽²⁾.

«قال الحافظ: هذا إسنادٌ غريب، ومثّن غير محفوظ، والمحمفوظ عن بسر بن أرطاة، أنه سمع النّبي ﷺ يدعو: «اللهم أحسن عاقبتني في الأمور كلها، وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة».

وعن جنادة بن أبي أمية: أنه قال على المنبر برودس حين جلد الرجلين اللذين سرقا غنائم الناس فقال: إنه لم يمنعني من قطعهما إلا أن بسر بن أبي أرطاة وجد رجلاً سرق في الغزو يقال له مصدر، فجلده ولم يقطع يده وقال: نهانا رسول الله ﷺ عن القطع في الغزو.

وحدث بسر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تقطع الأيدي في الغزو»⁽³⁾.

يُقال بالمقابل إن يزيد بن أبي يزيد مولى بسر بن أبي أرطاة؛ حدث عن

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 472.

(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 675.

(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 676.

بسر، عن النبي ﷺ: أنه كان يدعو: اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجربنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة⁽¹⁾.

حول حربه في صفين بجانب معاوية، يقال: «وشهد صفين مع معاوية من الصحابة: عمرو بن العاص السهمي، وابنه عبد الله، وفضالة بن عبيد الأنصاري، ومسلمة بن مخلد، والنعمان بن بشير، ومعاوية بن حذيف، الكندي، وأبو عادية الجهني قاتل عمار، وحبيب ابن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطاة العامري»⁽²⁾.

«وقال الكلبي: لم يمت حتى جن فكان يأخذ قضيباً، ويضرب به الوسادة توضع له بين يديه، وكان يسكن الشام وقد كان من غزاة أرض المغرب مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وله هناك ذكر ومواضع تنسب إليه، وروي عنه أنه كان يقول إذا رأى الموالي: قاتلكم الله غلب الرقب، السنن العرب وأحلام فارس»⁽³⁾.

«قال ابن عساكر سكن دمشق وشهد صفين مع معاوية، وكان على الرجاله ولأه معاوية اليمن وكانت له بها آثار غير محمودة... وقال ابن يونس: بسر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز في أول سنة وأمره أن يتقرى من كان في طاعة علي⁽⁴⁾ فيوقع بهم

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3757.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، 467.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 1462.

(4) وصلت الحرب اللاهوتية بين علي ومعاوية إلى درجة أن مرجعاً موسوعياً يحرنا أن عدناً له من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك فقد كان قادراً على أن يقنع عصمة

ف فعل بمكة والمدينة واليمن أفعالاً قبيحة وقد ولي البحر لمعاوية وكان قد وسوس في آخر أيامه؛ وقال البخاري في التاريخ الصغير: بعث معاوية بسر بن أرطاة سنة «39». فقدم المدينة فبايع ثم انطلق إلى مكة واليمن فقتل عبد الرحمن وقتل ابني عبيد الله بن عباس؛ وقال الدوري عن ابن معين: أهل المدينة ينكرون أن يكون بسر سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الشام يروون عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال وسمعت يحيى يقول: كان بسر بن أرطاة رجل سوء وقال خليفة: مات في ولاية عبد الملك بن مروان وقد خرف⁽¹⁾.

بسر في المدينة:

«وجه معاوية بسر بن أبي أرطاة، وقيل ابن أرطاة العامري، من بني عامر ابن لؤي، في ثلاثة آلاف رجل⁽²⁾، فقال له: سر حتى تمر بالمدينة،

أم حبيبة، ويبيع نكاحها الرجال عقوبة لها وللمعاوية أحبها، فإنها كانت تغض علياً كما يفضضه أخوها، ولو فعل ذلك لانتهمس لحمه، وهذا قول الإمامية، وقد رووا عن رجالهم أنه «ﷺ تهدد عائشة بضرب من ذلك، وأمانحن فلا يصدق هذا الخبر، ونفسر كلامه عن معنى آخر، وهو أنه قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من رسول الله ﷺ يلعن معاوية بعد إسلامه، ويقول: إنه منافق كافر، وإنه من أهل النار، والأخبار في ذلك مشهورة... فيقول لعمر بن العاص وحبيب بن مسleme وبسر بن أبي أرطاة وأبي الأعور وأمثالهم: ارووا أنتم عن النبي ﷺ أن علياً «ﷺ منافق من أهل النار، ثم يجعل ذلك إلى أهل العراق، فلهذا السبب أبغى عليه». (ابن أبي الحديد، شرح معجم البلاغة، 1896).

(1) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 145

(2) أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، بعد تحكيم الحكمين، وعلي من أبي طالب «ﷺ يومئذ حي، وبعث معه جيشاً، ووجهه من حل من عامد صم إليه جيشاً آخر. ووجه الضحاك بن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب «ﷺ وأصحابه،

وطرد أهلها، وأخف من مررت به، وأنهب مال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا، وأوهم أهل المدينة⁽¹⁾ أنك تريد أنفسهم، وأنه لا راءة لهم عندك، ولا عذر، وسر حتى تدخل مكة، ولا تعرض فيها لأحد،

وأن يغبروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان. فعصى بسر لذلك على وجهه، حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب عبيد بني أمية، وأهل هواة، وهدم بها دوراً من دور القوم. (أبو الفرج الأصبهاني، الأعاني، 1835)؛ وقد كان معاوية في سنة أربعين بعث بسر بن أرطاة في ثلاث آلاف حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري فتخفى، وجاء نسر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل، فأجابوه إلىبيعة معاوية، مروج الذهب المسعودي، الصفحة: 357؛ قد وكان معاوية بعث بسر بم أرطاة، أحد بني عامر بن لوئي بعد تحكيم الحكيمين، ووجه رجلاً من عامر، وضم إليه جيشاً آخر، ووجه الصحاح بن قيس بجيش ثالث، وأمرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوا من شيعة علي وأصحابه، فمضوا على وجوههم يشنون الغارات، ولا يكفون أيديهم عن النساء والصبيان، فأنهى بسر إلى المدينة. (ابن سعد الخبر، القروط على الكامل، 194).

- (1) ولأبن زبالة عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ أشرف على المدينة فرفع يديه حتى رأى غفرة يبطه، ثم قال: اللهم من أرادي وأهل بلدي بسوء فجعزل هلاكه؛ وفي الأوسط للطبراني برجال الصحيح حديث: اللهم من ظلم أهل المدينة وأخذهم فأخضعه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل؛ وفي رواية لغيره: من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وغضب عليه ولم يقبل منه صرف ولا عدل؛ وللنسائي: من أخاف أهل المدينة ظالماً لهم أخافه الله وكانت عليه لعنة الله؛ ولأبن حبان نحوه. ولا أحد برجال الصحيح عن حابر أن أميراً من أمراء الفتن قدم المدينة وكان قد ذهب بصر جابر، فقبل الحابر لو تحببت عنه؟ فخرج يمشي بين أمية فتكف فقال: تس من أخاف رسول الله ﷺ! فقال أساء أو أحدهم يا أبت وكيف أخاف رسول الله؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنتي؛ قلت: ولعل هذا الأمير بسرين أرطاة كما رواه ابن عبد البر من إرسال معاوية ﷺ له إلى المدينة في جيش بعد تحكيم الحكيمين وإيه أرسل إلى بني سلمة: ما لكم عندي أمان ولا بيعة حتى تأتون بجابر، وروى أن أهل المدينة فرزوا يومئذ حتى دخلوا حرة بين سليم. (المسعودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، 12).

وأرهب الناس فيما بين مكة والمدينة، واجعلهم شرادات، ثم امض حتى تأتي صنعاء، فإن لنا بها شيعة، وقد جاءني كتابهم، فخرج بسر، ففعل لا يمر بحي من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية، حتى قدم المدينة، وعليها أبو أيوب الأنصاري، فتنحى عن المدينة، ودخل بسر، فصعد المنبر ثم قال: يا أهل المدينة! مثل السوء لكم، قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا المثل وجعلكم أهله، شامت الوجوه، ثم ما زال يشتمهم حتى نزل. قال: فانطلق جابر بن عبد الله الأنصاري إلى أم سلمة زوج النبي، فقال: إني قد خشيت أن أقتل، وهذه بيعة ضلال، قالت: إذا فبايع، فإن النقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم، وهدم بسر دوراً بالمدينة⁽¹⁾.

حول الأسباب المباشرة لحملة بسر على الحجاز واليمن، نقرأ: «كان عبيد الله بن العباس⁽²⁾ بن عبد المطلب - عامل علي على اليمن - أشد

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 186

(2) كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله، وكثيراً ما سبي العباس، ثم يقول: من سقى إلي فله كذا. فيستبقون إليه، فيقعون على ظهوره وصدرة، فيقبلهم ويلزمهم وكان عظيم الكرم والجود، يضرب به المثل في السخاء. واستعمله علي بن أبي طالب على اليمن، وأمره على الموسم، فحج بالناس سنة ست وثلاثين، وسنة سبع وثلاثين فلما كان سنة ثمان وثلاثين بعثه علي على الموسم، وبعث معاوية «يزيد بن شجرة الرهوي» ليقوم الحج، فاجتمعا فاصطلحا على أن يصلي بالناس «شعبة بن عثمان» وقين. كان هذا مع قثم بن العباس. ولم يزل على اليمن حتى قتل علي، رحمه الله، لكنه فارق اليمن لما صار «بسر بن أرطاة» إلى اليمن لقتل شيعة علي. فلما رجع بسر إلى الشام عاد «عبيد الله» إلى اليمن، وفي هذه الدفعة قتل «بسر» ولدي «عبيد الله». (اس الأثير

على أهل صنعاء فيما يجب عليهم، وطرد قوماً من شيعة عثمان عنها، وكان سعيد بن نمران الهمداني على الجند، فصنع مثل ذلك، فتجمعت العثمانية وادعت أن الأمر قد أقضى إلى معاوية واجتمع الناس عليه، فكتبنا بذلك إلى علي فوجه إليهما جبر بن نوف أبا الوداك بكتاب يسهما فيه إلى العجز والوهن، فأرجف عبيد الله وسعيد بن نمران بأن يزيد بن قيس الأرحبي قد فصل من عند علي في جيش عظيم يريدكم، وسألا أبا الوداك أن يحدث بذلك ويشيعه ففعل فكتبوا إلى معاوية:

معاوي إلا تسرع السير نحونا نبايح علياً أو يزيد اليماني وإن كان فيما عندنا لك حاجة فأرسل أميراً لا يكن متوانياً⁽¹⁾ ردة عني بكتاب يقول: «من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء. أما بعد، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا يعقب له حكم، ولا يرد له قضاء، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين.

وقد بلغني تجرؤكم وشقاقكم وإعراضكم عن دينكم، بعد الطاعة وإعطاء البيعة، فسألت أهل الدين الخالص، والورع الصادق، واللب الراجح، عن بدء محرركم، وما نويتم به، وما أحششكم له؛ فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيء منه عنراً مبيناً، ولا مقالاً جميلاً، ولا حجة طاهرة، فإذا أناكم رسولي فتفرقوا وانصرفوا إلى رجالكم أعف عنكم، وأصفح عن جاهلكم، وأحفظ قاصيكم، وأعمل فيكم بحكم الكتاب،

المؤرخ، أسد العابة، 726؛ وفيها توفي عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بالمدينة وله صحة. ورواية. وكان أحد الأجواد. (الذهبي، العبر في خبر من غر، 11)

(1) البلاذري، أسباب الأشراف، 365.

فإن لم تفعلوا، فاستعدوا لقدم جيش جم الفرسان، عظيم الأركب، يقصد لمن طغى وعصى، فتطحنوا كطحن الرحا، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ريك بظلام للعبيد.

ووجه الكتاب مع رجل من همدان، فقدم عليهم بالكتاب فلم يجيبوه إلى خير، فقال لهم: إني تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي في جيش كثيف، فلم يمنعه إلا انتظار جوائكم، فقالوا: نحن سامعون مطيعون، إن عزل عنا هذين الرجلين: عبيد الله وسعيداً، فرجع الهمداني من عندهم إلى علي عليه السلام فأخبره خبر القوم.

قالوا: وكتبت تلك العصابة حين جاءها كتاب علي عليه السلام إلى معاوية يخبرونه، وكتبوا في كتابهم:

معاوي ألا أسرع السير نحونا نباع علياً أو يزيد اليماني فلما قدم كتابهم، دعا بسر بن أبي أرطاة - وكان قاسي القلب فظاً سفاكاً للدماء، لا رافة عنده ولا رحمة - فأمره أن يأخذ طريق الحجاز وللمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تزل على بلد أهله على طاعة علي، إلا بسطت عليهم لسانك؛ حتى يروا أنهم لا مجاء لهم، وأنت محيط بهم. ثم أكف عنهم، وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا⁽¹⁾.

وحول أسباب تلك الحملة نقرأ أيضاً: «فأما خبر بسر بن أرطاة العامري. - وبعث معاوية له ليغير على أعمال أمير المؤمنين عليه السلام، وما عمله من سفك الدماء وأخذ الأموال فقد ذكر أرباب أن الذي هاج معاوية

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 101.

على تسيير سر بن أرطاة - ويقال ابن أبي أرطاة - إلى الحجاز واليمن، أن قوماً بصعاء كانوا من شيعة عثمان، يعظمون قتله، لم يكن لهم نظام ولا رأس، فباعوا لعلي عليه السلام ما في أنفسهم؛ وعامل علي عليه السلام على صنعاء يومئذ عبيد الله بن عباس وعامله على الجند سعيد بن نمران⁽¹⁾.

تقول الجماعة التي جاءت إلى معاوية: «فخرجنا من عنده ونحن نعرف الفضل فيما ذكر، فجلسنا ناحية، وبعث معاوية عند خروجنا من عنده إلى بسر بن أبي أرطاة، فبعثه في ثلاثة آلاف⁽²⁾، وقال: سر حتى تمر بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف من مررت به، وانهب أموال كل من أصبت له مالاً؛ ممن لم يكن دخل في طاعتنا؛ فإذا دخلت المدينة، فأرهم أنك تريد أنفسهم، وأخبرهم أنه لا براءة لهم عندك ولا عذر، حتى إذا ظنوا أنك موقع بهم فاكفف عنهم، ثم سر حتى تدخل مكة، ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة، واجعلها شرداً، حتى تأتي صنعاء والجند، فإن لنا بهما شيعة، وقد جاءني كتابهم.

فخرج بسر⁽³⁾ في ذلك البعث، حتى أتى دير مروان، فعرضهم فسقط

(1) «من أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 100.

(2) ثم دخلت سنة أربعين ذكر ما كان فيها من الأحداث؛ ما كان فيها من ذلك توحيه معاوية سر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز. (الطبري، تاريخ لرسول والملوك، 1144).

(3) وكان معاوية يبعث الغارات فيقتلون من كان في طاعة علي، ومن أعان على قتل عثمان؛ فبعث سر بن أرطاة العامري إلى المدينة واليمن ومكة يستعرض الناس، فقتل سليمان عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن عباس (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3330)، وقال البخاري في التاريخ الصغير: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد عن زياد عن سرجسحاق قال: بعث معاوية سر بن أبي أرطاة سنة تسع وثلاثين فقدم المدينة فباع ثم انطلق إلى مكة واليمن فقتل عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن عباس (المري، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 304).

منهم أربعمائة، فمضى في ألفين وستمائة، فقال الوليد بن عقبة: أشربا عسى معاوية رأيانا أن يسير إلى الكوفة، فبعث الجيش إلى المدينة، فمثلا ومثله، كما قال الأول: أريها السها وتريني القمر.

فبلغ ذلك معاوية، فغضب وقال: والله لقد هممت بمساءة هذا الأحمق الذي لا يحسن التدبير، ولا يدري سياسة الأمور. ثم كف عنه.

قلت: الوليد كان لشدة بغضه علياً عليه السلام القديم التالد، لا يرى الأناة في حربه، ولا يستصلح الغارات على أطراف بلاده، ولا يشفي غيظه ولا يبرد حزازات قلبه، إلا باستئصاله نفسه بالجيش، وتسييرها إلى دار ملكه، وسرير خلافته، وهي الكوفة، وأن يكون معاوية بنفسه هو الذي يسير بالجيش إليه، ليكون ذلك أبلغ في هلاك علي عليه السلام، واجتثاث أصل سلطانه. ومعاوية كان يرى غير هذا الرأي، ويعلم أن السير بالجيش للقاء علي عليه السلام خطر عظيم؛ فاقتضت المصلحة عنده وما يغلب على ظنه من حسن التدبير، أن يثبت بمركزه بالشام في جمهور جيشه، ويسرب الغارات على أعمال علي عليه السلام وبلاده، فتجوس خلال الديار وتضعفها؛ فإذا أضعفتها بيضة ملك علي عليه السلام؛ لأن ضعف الأطراف يوجب ضعف البيضة، وإذا أضعفت البيضة كان على بلوغ إرادته، والمسير حيثئذ - إن استصوب المسير - أقلر.

ولا يلام الوليد على ما في نفسه؛ فإن علياً عليه السلام قتل أباه عقبة بن أبي معيط صبراً يوم بدر وسعي الفاسق بعد ذلك في القرآن، لزاع وقع بينه وبينه، ثم حلده الحد في خلافة عثمان، وعزله عن الكوفة، وكان عاملها وبعض هذا عند العرب أرباب الدين والتقوى تستحل المحارم، وتستباح الدماء، ولا تقى مراقبة في شفاء الغيظ لدين ولا لعقاب ولا لثواب،

وكيف الوليد المشتعل على الفسوق والفجور، مجاهراً بذلك! وكان المؤلفة قلوبهم، مطعوناً في نسبه، مرمياً بالإلحاد والزندقة.

[ثم] أن يسراً لما أسقط من أسقط من جيشه، سار بمن تحلف معه، وكانوا إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها، وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر، فيردون تلك الإبل، ويركبون إبل هؤلاء، فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب إلى المدينة.

قال: وقد روى أن قضاة استقبلتهم؛ ينحرون لهم الجزر، حتى دخلوا المدينة قال: فدخلوها، وعامل علي عليه السلام عليها أبو أيوب الأنصاري، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج عنها هارباً، ودخل بسر المدينة، فخطب الناس وشتهم وتهدهم يومئذ وتوعدهم، وقال: شأهت الوجوه! إن الله تعالى قال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهِمْ...﴾ الآية، وقد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله؛ كان بلدكم مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده؛ فلم تشكروا نعمة ربكم، ولم ترعوا حق نبيكم، وقتل خليفة الله بين أظهركم، فكنتم بين قاتل وخاذل، ومتربص وشامت، إن كانت للمؤمنين، قلت: ألم نكن معكم! وإن كان للكافرين نصب، قلت: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين! ثم شتم الأنصار، فقال: يا معشر اليهود وأبناء العبيد: بني زريق، وبني النجار، وبني سليمة، وبني عبد الأشهل، أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفي غليل صدور المؤمنين وآل عثمان؛ أما والله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة⁽¹⁾.

ويصيف نص آخر: «فتهدهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم، فمزعوا

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 102.

إلى حويطب بن عبد العزى - ويقال إنه زوج أمه - فصعد إليه المسر،
 هاشده، وقال: عترتك وأنصار رسول الله، وليسوا بقتلة عثمان؛ فلم يزل
 به حتى سكن، ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه. ونزل فأحرق دوراً
 كثيرة، منها دار زرارة بن حرون، أحد بني عمرو بن عوف، ودار رفاعة بن
 رافع الزرقني، ودار أبي أيوب الأنصاري. وتفقّد جابر بن عبد الله، فقد:
 ما لي لا أرى جابراً يا بني سلمة! لا أمان لكم عندي، أو تأتوني بجابر؛
 فعاد جابر بأم سلمة رضي الله عنها، فأرسلت إلى بسر بن أرطاة، فقال: لا أؤمنه حتى
 يبايع، فقالت له أم سلمة: اذهب فبايع، وقالت لابنها عمر: اذهب فبايع،
 فذهبا فبايعاه.

عن وهب بن كيسان، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول:
 لما خفت بسرأ وتواريت عنه، قال لقومي: لا أمان لكم عندي حتى يحضر
 جابر، فأتوني وقالوا: ننشدك الله لما انطلقت معنا فبايعت، فحققت
 دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتليننا، وسبيت ذرارينا،
 فاستنظرتهم الليل، فلما أمست دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر،
 فقالت: يا بني، انطلق فبايع، احقن دمك ودماء قومك؛ فإني قد أمرت ابن
 أخي أن يذهب فبايع، وإني لأعلم أنها بيعة ضلالة.

قال إبراهيم: فأقام بسر بالمدينة أياماً ثم قال لهم: إني قد عفوت
 عنكم، وإن لم تكونوا لذلك بأهل؛ ما قوم قتل إمامهم بين طهرانيهم بأهل
 أن يكف عنهم العذاب؛ ولئن نالكم العفو مني في الدنيا؛ إني لأرحو ألا
 تنالكم رحمة الله عز وجل في الآخرة، وقد استخلفت عليكم أنا هريرة،
 فإياكم وخلاقه. ثم خرج إلى مكة.

وروى الوليد بن هشام، قال: أقبل بسر، فدخل المدينة، فصعد مسر

الرسول ﷺ ثم قال: يا أهل المدينة، خصبتم لحاكم، وقتلتم عثمان مخصوباً، والله لا أدع في المسجد مخصوباً إلا قتلته، ثم قال لأصحابه: حدوا بأبواب المسجد - وهو يريد أن يستعرضهم - فقام إليه عبد الله بن الزبير وأبو قيس أحد بني عامر بن لؤي، فطلبوا إليه حتى كف عنهم - وخرج إلى مكة، فلم يقرب منها هرب قثم بن العباس - وكان عامل علي عليه السلام - ودخلها بسر، فشتم أهل مكة وأنبهم. ثم خرج عنها، واستعمل عليها شيعة بن عثمان⁽¹⁾.

نص مشابه يقول: «عن الشعبي أن معاوية بن أبي سفيان أرسل بسر بن أبي أرطاة القرشي ثم العامري في جيش من الشام، فسار حتى قدم المدينة وعليها يومئذ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري صاحب النبي ﷺ فهرب منه أبو أيوب إلى علي بالكوفة، فصعد بسر منبر المدينة⁽²⁾ ولم يقاظه بها أحد، فجعل ينادي: يا دينار! يا رزيق! يا نجار! شيخ سمح عهدته هاهنا بالأمس - يعني عثمان رضي الله تعالى عنه - وجعل يقول: يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلي أمير المؤمنين ما تركت بها محتلماً إلا قتلته. وبايع أهل المدينة لمعاوية وأرسل إلى بني سلمة فقال: لا والله ما لكم عندي من

(1) ابن أبي حنيد، شرح نهج البلاغة، 103.

(2) ودخل بسر المدينة؛ قال: فصعد منبرها ولم يقاظه بها أحد، فمادى على منبر. يا دينار، يا رزيق، يا نجار، يا رزيق، شيخني شيخني! عهدتي به بالأمس، فأين هو! يعني عثمان، ثم قال: يا أهل المدينة، والله لولا ما عهد إلي معاوية ما تركت بها محتلماً إلا قتلته. ثم بايع أهل المدينة، وأرسل إلى بني سلمة، فقال: والله ما لكم عندي من أمان ولا مائة حتى تأتونني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقال لها: ما تريد؟ إني قد خشيت أن أقتل، وهذه بيعة ضلالة، قالت: أرى أن تابع، فبني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع، وأمرت ختني عبد الله بن زمعة - وكانت استه زبينة أم سلمة عند عبد الله بن زمعة - فأناه جابراً قايعة، وهدم سر دوراً بالمدينة (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1145).

أمان ولا مبيعة حتى تأتونني بجابر بن عبد الله صاحب النبي ﷺ فخرج جابر بن عبد الله حتى دخل على أم سلمة خفياً فقال لها: يا أمه إني قد حشيت على ديني وهذه بيعة ضلالة فقالت له: أرى أن يبايع فقد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع؛ فخرج جابر بن عبد الله وبايع بسر بن أبي أرطاة لمعاوية وهدم بسر دوراً كثيرة بالمدينة⁽¹⁾.

حول بيعة جابر، نقراً أيضاً: «وعن جابر بن عبد الله قال: لما قدم بسر بن أرطاة المدينة أخذ الناس بالبيعة، قال: فجاءت بنو سلمة وتغيب جابر فقال: لا أبايعكم حتى يجيء جابر، قال: فانطلق جابر إلى أم سلمة فسألها، فقالت: هذه بيعة لا أرضاها، إذ ذهب فبايع تحقن بها دمك»⁽²⁾.

ويقول نص غيره: «عن عطاء بن أبي مروان، قال: أقام بسر بن أبي أرطاة بالمدينة شهراً يستعرض الناس، ليس أحد ممن يقال هذا أعان على عثمان إلا قتله. وقال عطاء بن أبي مروان: أخبرني حنظلة بن علي الأسلمي، قال: وجد قوماً من بني كعب وغلمانهم على بئر لهم فآلقاهم في البئر»⁽³⁾.

في نص نقراً معلومة غير دقيقة، سنعرف لاحقاً أن مسرح حدثها كان اليمن لا المدينة: «وسار بسر حتى أتى المدينة، فقتل ابني عبيد الله بن العباس، وفر أهل المدينة ودخلوا الحرة حرة بني سليم»⁽⁴⁾.

(1) المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 305؛ الص ذاتة حرعياً تقرياً في اس مطور، مختصر تاريخ دمشق، 677؛ راجع أيضاً: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 50؛ البري، الجوهر في نسب النبي وأصحابه العشرة، 203؛ اس نعري ردي، السجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 49.

(2) اس مطور، مختصر تاريخ دمشق، 750؛ أنظر: المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 305.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1161.

(4) أبو لمرح الأصبهاني، الأغاني، 487.

وفي نص أن معاوية قال لبسر: «يا بسر إن مصر قد فتحت فعرز ولينا ودل عدونا، فسر على اسم الله، فمر بالمدينة فأخف أهلها وأذعرهم وهول عليهم حتى يروا أنك قاتلهم، ثم كف عنهم وصر إلى مكة فلا تعرض فيها لأحد، ثم امصر إلى صنعاء فإن لنا بها شيعة فانصرهم واستعن بهم على عمال علي وأصحابه فقد أتاني كتابهم، واقتل كل من كان في طاعة علي إذا امتنع من بيعتنا، وخذ ما وجدت لهم من مال.

فدما دخل بسر المدينة أخاف أهلها وقال: إن بلدكم كان مهاجر نبيكم ومحل أزواجه والخلفاء الراشدين بعده، فكهرتم نعمة الله عليكم ولم تحفظوا حق أئمتكم حتى قتل عثمان بينكم، فكنتم بين خاذل له ومعين عليه، ولم يزل يرهبهم حتى ظنوا أنه موقع بهم، ثم دعا الناس إلى بيعه معاوية فبايعه قوم وهرب منه قوم فهدم منازلهم. وكان عامل علي على المدينة يومئذ أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري فتواري فأمر بسر أب هريرة أن يصلي بالناس»⁽¹⁾.

ويقال: «بعث معاوية بسر بن أبي أرطاة... في ثلاثة آلاف، فسر حتى قدم المدينة، وبها أبو أيوب الأنصاري عامل علي عليها، فهرب أبو أيوب فأثني علياً بالكوفة، ودخل بسر إلى المدينة ولم يقاتله أحد، فصعد منبرها فنادى عليه: يا دينار يا نجار يا زريق!⁽²⁾ وهذه بطون من الأنصار، شيخي! شيخي! عهدته ها هنا بالأمس فأين هو؟ يعني عثمان. ثم قال. والله لولا

(1) اللادري، أنساب الأشراف، 366.

(2) ودخل سر المدينة ولم يقاتله أحد، فصعد منبرها فنادى على المنبر: يا دينار، وما حجار،

وب زريق شيخي شيخي عهدي به ها هنا بالأمس فأين هو؟ - يعني: عثمان بن عفان (اس كثير، البداية والنهاية، 2867، أنظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، 2868؛

السوري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2378، 2393، 2394

ما عهد إلي معاوية ما تركت بها محتلماً إلا قتلته. فأرسل إلى سي سلمة فقال: والله ما لكم عندي أمان حتى تأتونني بجابر بن عبد الله! فاصلق حابر إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال لها: ماذا ترين؟ إن هذه بيعة ضلالة وقد حشيت أن أقتل. قالت: أرى أن تنابع فإني قد أمرت اني عمر وحتي ابن رمعة أن يبايعا، وكانت ابنتها زينب تحت ابن رمعة، فأتاه حابر فبايعه. وهدم بالمدينة دوراً ثم سار إلى مكة⁽¹⁾.

«عن عمرو بن دينار، قال: بعث معاوية بسر بن أرطاة إلى المدينة وأمره أن يستشير رجلاً من بني أسد واسمه الأسود بن فلال فلما دخل المسجد سد الأبواب وأراد قتلهم حتى نهاء ذلك الرجل؛ وكان معاوية قد أمره أن ينتهي إلى أمره... وكان الناس قد اصطلحوا عليه أيام عبي ومعاوية ﷺ ما»⁽²⁾.

يقول أحد المراجع: «لما وجه معاوية بن أبي سفيان بسر بن أرطاة الفهري لقتل شيعة علي، قام إليه معن أو عمرو بن يزيد بن الأخنس السلمي وزيد بن الأشهب الجعدي فقالا: «يا أمير المؤمنين نسألك بالله والرحم ألا تجعل لبسر على قيس سلطاناً، فيقتل قيساً بما قتلت بنو سليم من بني فهر وكأنه يوم دخل رسول الله ﷺ مكة». فقال له معاوية: يا بسر، لا أمر لك على قيس. فسار حتى أتى المدينة فقتل ابني عبيد الله بن عباس، وفر أهل المدينة ودخلوا الحرة: حرة بني سليم»⁽³⁾.

(1) اس الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 600؛ أنظر. ابن الحوزي، المنتظم، 628.
(2) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 29؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 1256؛ أنظر أيضاً. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 22؛ ابن لأثير المؤرخ، أمد الغاية، 51.

(3) اللويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2395؛ راجع أيضاً: البري، الجوهر في سب

ممن هدم بسر داره في المدينة زرارة بن جروول: «جروول ويقال جرووس مالك بن عمرو بن عويمر بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري. ذكره ابن الكلبي وأن بسر بن أبي أرطاة هدم دار ولده زرارة بن جروول بالمدينة لما غزاها من قبل معاوية في أواخر خلافة علي عليه السلام لأنه كان ممن أعان علي عثمان عليه السلام»⁽¹⁾.

ممن قتل بسر نذكر: «عمرو بن عميس بن مسعود: كان من عمال علي فقتله بسر بن أرطاة لما أرسله معاوية للغارة على عمال علي فقتل كثيراً من عماله من أهل الحجاز واليمن؛ ذكره المفيد بن النعمان الرافضي في كتابه مناقب علي وقصة بسر في الأصل مشهورة عند غيره»⁽²⁾.

من القصص التي حفظتها لما المراجع حول ممارسات بسر في المدينة، ما قيل: «قدمت المدينة فأتيت منزل زينب بنت فاطمة بنت علي لأسلم عليها، فدخلت عليها الدار، فإذا عندها جماعة عظيمة، وإذا هي جالسة مسفرة، وإذا امرأة ليست بالجليلة، ولم تطعن في السن؛ فاحتملني الحمية والغضب لها فقلت: مبحان الله! قدرك قدرك، وموضعك موضعك وأنت تجلسين للناس كما أرى مسفرة؟! فقالت: إن لي قصة، قال: قلت: وما تلك القصة؟ قالت: لما كان أيام الحرّة، وفد أهل الشام المدينة، وفعلوا فيها ما فعلوا، وكان لي يومئذ ابن قد ناهز الاحتلام.

لسي وأصحابه العشرة، 203: أبو الفرج الأصبهاني، الأعاني، 1835، أنظر ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 49: الري، الجوهرية في نسب النبي وأصحابه العشرة، 48.

(1) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 155؛ راجع: ابن ركي، الأعلام، 621؛ ابن دريد، الاشتقاق، 137؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 139؛ السحوي، لنحمة الطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، 240.

(2) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 801.

قالت: فلم أشعر به يوماً وأنا جالسة في منزلي إلا وهو يسعى ويسر من أرطاة يسعى خلفه حتى دخل علي فألقى نفسه علي وهو يبكي، يكاد البكاء أن يفلق كبده، فقال لي بسر: ادفعيه إلي: فأنا خير له.

قالت: فقلت له: اذهب مع عمك، قالت: فقال: لا والله لا أذهب معه يا أمة، هو والله قاتلي.

قالت فقلت: أترى عمك يقتلك؟! لا، اذهب معه.

قالت فقال: لا والله يا أمة لا أذهب معه هو والله قاتلي.

قالت: وهو يبكي يكاد البكاء أن يفلق كبده، قالت: فلم أزل أرفق به وأسكته حتى سكن.

قالت: ثم قال لي بسر: ادفعيه إلي فأنا خير له؛ قال فقلت: اذهب مع عمك، قالت: فقام فذهب معه، قالت: فلما خرج من باب الدار قال للغلام: امش بين يدي، قالت: وإذا بسر قد اشتعل على السيف فيما بينه وبين ثيابه؛ فلما ظهر إلى السكة، رفع بسر ثيابه وشهر السيف عليه من خلفه ثم علاه به، فلم يزل يضربه حتى برد.

قالت: فجاءتني الصبيحة: أدركي ابنك قد قطع.

قالت: فقممت أنعثر في ثيابي، ما معي عقلي.

قالت: فإذا جماعة قد أطافوا به، وإذا هو قتيل قد قطع، قالت: فألقيت نفسي عليه، وأمرت به يحمل.

قالت: فجعلت على نفسي من يومئذ لله أن لا أمتن من أحد، لأن بسرًا هو أول من هتك ستري وأخرجني للناس، فإله حسيه⁽¹⁾.

(1) ابن مطور، مختصر تاريخ دمشق، 678.

امراً أخرى تذكرها النصوص؛ قيل: «استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه قالت: إنك أصبحت للناس سيذاً ولأمرهم متقلداً والله سائلك من أمراً وما افترض عليك من حقنا؛ ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسطانك فيحصدنا حصد السنبيل ويدوسنا دوس البقر ويوسمنا الخسيسة ويسلنا الجنبيلة - هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلك فقتل رجالي وأخذ مالي؛ يقول لي فوهي بما استعصم الله منه وألجأ إليه فيه ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فأما عزله عنا فشكرناك وأما لا فعرفناك؛ فقال لها معاوية لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطياً ما نفطمون، ثم قال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها؛ قالت: إليّ خاص أم لقومي عام؟ قال: ما أنت وقومك؟ قالت: هي والله أذن الفحشاء واللوم إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلا فأنا كسائر قومي؛ قال: اكتبوا لها ولقومها»⁽¹⁾.

بسر في مكة واليمن:

«ثم انطلق حتى أتى مكة وبها أبو موسى الأشعري، فخافه أبو موسى على نفسه أن يقتله، فهرب فقبل ذلك لبسر؛ فقال: ما كنت لأقتله وقد خلعت علياً ولم يطلبه. وكتب أبو موسى إلى اليمن إن خيلاً مبعوثه من عند معاوية تقتل الناس من أبي أن يقر بالحكومة. ثم مضى بسر إلى اليمن وعامل اليمن لعلي عليه السلام عبيد الله بن العباس⁽²⁾، فلما بلغه أمر بسر فر إلى الكوفة

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء، 14؛ أنظر أيضاً: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 40، لصحاري، الأنساب، 137.

(2) هوجه معاوية بسر بن أرطاة فتحنى عبيد الله وأقام سر. فبعث علي جارية بن قدمة هربت سر ورجع عبيد الله. (خليفة بن خباط، تاريخ خليفة، 47)؛ فكان يعث

حتى أتى علياً⁽¹⁾ واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد الممدان الحارثي⁽²⁾.

الغارات فيقتنون من كان في طاعة علي أو من أعان على قتل عثمان وبعث سر أسير أرطاة إلى الحجاز واليمن يستعرض الناس فقتل باليمن عبد الرحمن وقتل ولدي عبد الله بن عباس ثم استشهد علي في رمضان سنة أربعين. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 294)؛ وبعث معاوية سر أسير أرطاة على اليمن، فهرب عبيد الله منه فأصاب له ولدين صغيرين فذبحهما ثم وقد بعد معاوية وقد هلك سر فذكرهما لمعاوية، فقال ما عزلته إلا لقتلها وكان عبيد الله ينحر كل يوم جزوراً. (الصفدي، الوافي بالوفيات، 2810)

(1) عن أبي ودك، قال: كنت عند علي عليه السلام لما قدم عليه سعيد بن نمران الكوفي، فعنب عليه وعلى عبيد الله ألا يكونا قاتلاً بسراً، فقال سعيد. قد والله قاتلت، ولكن ابن عباس خذلي وأبى أن يقاتل، ولقد خلوت به حين دنا منا بسراً، فقلت: إن ابن عمك لا يرضى مني ومنك بدون الجدل في قتالهم، قال. لا والله ما لنا بهم طاقة ولا يدان، فقممت في الناس، فحمدت الله ثم قلت. يا أهل اليمن، من كان في طاعتنا وعي بيعة أمير المؤمنين عليه السلام فإلي فاجأبي منهم عصاة، فاستقدمت بهم، فقاتلت قتلاً صاعداً، ونفرت الناس عني وانصرفت. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 105).

(2) عبد الله بن عبد الممدان، واسم عبد الممدان عمرو بن الديان، واسم الديان يزيد بن قطن بن زيد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عتبة بن جلد الحارثي. وقد على النبي صلى الله عليه وآله، قاله الطبري، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما اسمك؟» قال: عبد الحجر. فقال. «أنت عبد الله» قتله سر من أبي أرطاة لما سيرة معاوية إلى الحجاز، واليمن ليقتل شيعة علي، وكان عبيد الله بن العباس أمير لمعي على اليمن، وهو روج ابنه عبد الله، فقتله. أخرجه أبو عمر. (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 635)، عبد الله بن عبد الممدان: واسمه عمرو بن الديان واسمه يزيد بن قطن بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث الحارثي. قال ابن حبان له صحة وقد أسس سعد الطبري. وقد على النبي صلى الله عليه وآله. وقال ابن الكلبي. كان اسمه عبد الحجر فغيره النبي صلى الله عليه وآله. وذكر وثبة أنه قام في قومه بعد النبي صلى الله عليه وآله مهاجراً عن الردة ويقال به عاش إلى خلافة علي فقتله سر بن أبي أرطاة لما غزا اليمن من قبل معاوية وذكره المرزبادي وقال: كان هو وابنه مالك بن عبد الله صديقين لعبيد الله بن جهمر وكان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب لما صاهر عبد الله على ابنته واستعدته على اليمن لما أمره علي عليها ولما بلغه مسير سر بن أبي أرطاة من قبل معاوية إلى اليمن حرج عنها عبيد الله واستخلف صهره هذا فقدم سر فقتل عبد الله وابنه مالكا وولدي

فأتى بسر فقتله وقتل ابنه، ولقي ثقل عبيد الله بن العباس وفيه أسان صغيران لعبيد الله بن العباس فقتلهما ورجع إلى الشام⁽¹⁾.

يفصل نص آخر بالقول: «فيه ابنان صغيران لعبيد الله بن العباس⁽²⁾ فقتلهما، وهما عبد الرحمن وقثم. وقيل: إنها كانا عند رجل من بني

عبد الله ابن العباس ابن أخت مالك فلما بلغ ذلك عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال يرثيهم من أبيات... وكذا ذكر ابن الكلبي أن بسرا قتل مالكا وأباه عبد الله. عبد الله بن عبد المدان. أخو الذي قبله وكان الأكبر. (ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 648)؛ مالك بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي تقدم ذكر والده وأنه كان اسمه عبد الحاجر فغيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأما ابنه فذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب النواشر أنه كان في الجاهلية متازع عمرو بن معد يكرب وذكر أيضا أن بسر بن أبي أرطاة قتله لما بعث معاوية إلى اليمن ليتسمع شيعة على وقتل بني عبيد الله بن العباس وغيرهم والقصة مشهورة وهرب عبد الرحمن من مالك هذ من بسر إلى البصرة فأقام بها وتزوج فاطمة بنت أبي صبرة أخت المهلب في قصة طويلة. (ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 1041)؛ فمن رجالهم، الربيع بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان، قتله بسر ابن أبي أرطاة لما بعث معاوية إلى اليمن؛ وله حديث. (ابن دريد، الاشتقاق، 125)؛ عبد الله بن عبد المدان الحارثي. صحابي من سادات العرب في اليمن. ولده علي بن أبي طالب على الديار اليمنية، فأغار عليه بسر بن أبي أرطاة، زاحفا من الشام بجيش معاوية، وقتله، فقتل عند الله الذبيح (81 هـ - 53 هـ - 544 - 571 م) (الزركلي، الأعلام، 547).

(1) ابن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 50.

(2) وكان عبيد الله كرميا حبيلا وسيما يشبه أباه في الحال، وربما أن رسول الله ﷺ كان يصف عبد الله وعبيد الله وكثيرا صفا ويقول: (من سبق إلي فله كذا) مستقون إليه فيقومون على ظهوره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم. وقد استتابه علي بن أبي طالب في أيام خلافة علي اليمن. وحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين، فلم كان سنة ثمان وثلاثين اختلف هو ويريد بن سمرة الرهاوي الذي قدم على الخج من حبه معدية. ثم اصطلحا على شيعة بن عثمان الحنفي، فأقام للناس الحج عامئذ، ثم لما صارت المشوك لمعاوية تسلط على عبيد الله بسر بن أبي أرطاة فقتل له ولدين، وحررت أمور باليمن قد ذكرنا بعضها (ابن كثير، البداية والنهاية، 2960)

كدنة¹ بالادية، فلما أرادا قتلها قال له الكناني: «لم تقتل هذين ولا دب لهما؟ فإن كنت قاتلتهما فاقتلني معهما!»، فقتله، وقتلها بعده.

وقيل: إن الكناني أخذ سيفه وقاتل على الغلامين... فقاتل حتى قتل وأخذ سر العلامين فذبحهما⁽²⁾، فخرج نسوة من بني كنانة، فقلت امرأة منهن: «ما هذا؟ قتل الرجال فعلام تقتل الولدان؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام! والله إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الضرع الصغير والشيخ الكبير ويرفع الرحمة وعقوق الأرحام لسلطان سوء!» فقال لها بسر: والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف. فقالت له: تالله إنها لأخت التي صنعت وما أن لها منك بأمنة! ثم قالت للنساء التي حولها: ويحك! تفرقن!.

وقتل بسر في مسيره جماعة من شيعة علي باليمن.

وبغ علياً الخبر، فأرسل جارية بن قدامة⁽³⁾ في ألفين، ووهب ابن

(1) وأنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية، فلي أراد قتلهم قال الكناني: علام تقتل هذين ولا ذنب لهما! فإن كنت قاتلتهما فاقتلني، قال: أعل، فبدأ بالكناني فقتله، ثم قتلها ثم رجع سر إلى الشام. وقد قيل: إن الكناني قتل عن الطفيل حتى قتل». (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1145).

(2) فعثر بولديه المدكورين فذبحهما بشفرة كانت معه. (زينب فوار، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، 37).

(3) جارية بن قدامة، التميمي السعدي، أبو أيوب، ويقال أبو يزيد له صحبة، وكان مطلاً شجاعاً شريفاً مطاعاً من كبار أمراء علي، شهد معه صفين، ثم وفد معه على معاوية مع ابن عمه الأحنف. وكان سفاكاً فاتكاً، ويدعى محرقة لأن معاوية وحده اس الحصرمي إلى البصرة بيعي عثمان وليستقرهم، فوجه علي جارية هذا، فتحصن معه اس الحصرمي كما ذكرنا، فأحرق عليه الدار، فأحرق فيها خلق. ويروى أن عبد الله ما صنع بسر بن أرطاة من السفك بالحجاز، فبعت جارية هذا، فجعل لا يجد أحداً حلق علياً إلا قتله وحرقه بالنار حتى انتهى إلى اليمن، فسمي محرقة. (الذهبي، تاريخ الإسلام، 496).

مسعود في ألفين، فسار جارية حتى أتى تجران، فقتل بها ناساً من شيعة عثمان، وهرب بسر منه، واتبعه جارية إلى مكة، فقال: بايعوا أمير المؤمنين. فقالوا: قد هلك فلنم نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب علي فبايعوا خوفاً منه.

ثم سار حتى أتى المدينة، وأبو هريرة يصلي بالناس، فهرب منه، فقال جارية: لو وجدت أبا سنور لقتلته. ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي، فبايعوا، وأقام يومه، ثم عاد إلى الكوفة، ورجع أبو هريرة يصلي بهم. وكانت أم ابني عبيد الله أم الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ، وقيل: عائشة بنت عبد الله بن عبد المطلب⁽¹⁾، فلما قتل ولداها ولدت عليها، فكانت لا تعقل ولا تصغي، ولا تزال تنشد هما في المواسم...

(1) وروى لعبيد الله بن العباس، وعبد الله، وجعفر، والعالية، أمهم عائشة بنت عبد الله بن عبد المطلب بن الديان الحارثي، والعالية هي أم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. وعبد الرحمن بن عبيد الله، وقثم بن عبيد الله، وأمهما أم حكيم بنت قارظ، وسمها جويرية، وهما اللذان ذبحهما بسر بن أبي أرطاة، وقد كتبنا خبرهما في الغارات بين علي ومعاوية. وميمونة تزوجها عبد الله بن علي من أبي طالب، وقتل مع مصعب بن الزبير، ثم خلف عليها أبو سعيد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المحزومي، ثم دافع عن حبيب بن مطعم. (البلاذري، أنساب الأشراف، 471)؛ وكانت عائشة بنت عبد الله بن عبد المطلب قد ولدت من عبيد الله غلامين.. ويقال: إن أم عبد الرحمن وقثم بن عبيد الله بن العباس جويرية بنت قارظ الكنانية وأل قارظ حمداً، لسي رهرة بن كلاب؛ قال هشام بن الكلبي: من قال: إن أمها عائشة بنت عبد الله بن عبد المطلب بن الديان فقد أخطأ لم تلد عائشة الحارثية إلا ابنة العباس وابنة العلية (المري، هديب الكمال في أسماء الرجال، 305)؛ راجع: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 677؛ وكانت عند عبيد الله بن العباس عائشة الحارثية فولدت له غلامين باليمن فوجه معاوية بسر بن أرطاة مكانه فهرب عبيد الله وأخذ بسر ابنه فقتلها (ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 26).

قال: فلما سمع علي يقتلها جزع جزعاً شديداً، ودعا على بسر فقال: اللهم اسلبه دينه وعقله. فأصابه ذلك، وفقد عقله، فكان يهذي بالسيف فيطلبه، فيؤتى سيف من خشب، ويجعل بين يديه زق متفوخ، فلا يزال يصربه، فلم يزل كذلك إلى أن مات. وقيل: إن مسير بسر إلى الحجار كان في ستة اشئين وأربعين، وإنه أقام بالمدينة شهراً يستعرض الناس، لا يقل له عن أحد «إنه شرك في دم عثمان» إنه قتله⁽¹⁾. ويقول نص إن بسر «أخذ الغلامين فدفنهما»⁽²⁾.

«حدث بكار بن بلال عن أبي عمرو الأنصاري أن علياً قتل لأهل العراق: إن بسر بن أبي أرتاة قد سعد إلى اليمن، ولا أحسب هؤلاء القوم إلا ظاهرين عليكم - يعني أهل الشام - وما ذلك أنهم أولى بالحق منكم، ولكن ذاك لاجتماعهم على أميرهم وافتراقكم، وإصلاحهم في بلادهم، وفسادكم في بلادكم، وأدائهم الأمانة وخيانتكم، والله لقد فلاناً فخاني، وفلاناً فخاني - يعدد - وفلاناً وليته، فجمع ما جمع من المال فانطلق به إلى معاوية؛ ولقد خيل لي أنني لو اتمنت أحدكم على قدح لسرق علاقته»⁽³⁾. ويضيف نص أنه «رجع عبيد الله بن عباس إليها [اليمن]، فلم يزل عليها حتى قتل علي»⁽⁴⁾.

ثمة تفاصيل نجدتها في أحد المراجع: «قال الكلبي وأبو مخنف: فندب علي عليه السلام أصحابه لبعث سرية في إثر بسر. فتأقلوا، وأجابه جارية بن قدامة

(1) التويري، هاية الأرب في فنون الأدب، 2394.

(2) س الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 600.

(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 696.

(4) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 751؛ راجع: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 310.

السعدي، فبعثه في ألفين، فشخص إلى البصرة، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن، وسأل عن سر فقيل: أخذ في بلاد بني تميم؛ فقال: أحد في ديار قوم يمنعون أنفسهم. وبلغ بسراً مسير جارية، فأنحدر إلى اليمامة، وأخذ حارية بن قدامة السير، ما يلتفت إلى مدينة مر بها ولا أهل حصص، ولا يعرج على شيء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الراد فيأمر أصحابه بمواساته، أو يسقط بعير رجل أو تحفى دانته، فيأمر أصحابه بأن يعقبوه، حتى انتهوا إلى أرض اليمن؛ فهربت شيعة عثمان حتى لحقوا بالجدال، واتبعهم شيعة علي عليه السلام، وتداعت عليهم من كل جانب، وأصابوا منهم، وصمد نحو بسر، وبسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى، حتى أخرجه من أعمال علي عليه السلام كلها.

فلما فعل به ذلك، أقام جارية بحرس نحواً من شهر، حتى استراح وأراح أصحابه، ووثب الناس بسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية، لسوء سيرته وفظاظته وظلمه وغشمه؛ وأصاب بنو تميم ثقلًا من ثقله في بلاده وصحبه إلى معاوية ليبياعه على الطاعة ابن مجاعة رئيس اليمامة، فلما وصل بسر إلى معاوية قال: يا أمير المؤمنين، هذا ابن مجاعة قد أتيتك به فاقتله، فقال معاوية: تركته لم تقتله، ثم جئتني به فقلت اقتله! لا لعمرى لا أقتله. ثم بايعه ووصله، وأعادته إلى قومه.

وقال بسر: أحمد الله يا أمير المؤمنين أنني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهباً جاثياً لم ينكب رجل منهم نكبة، فقال معاوية: الله قد فعل ذلك لا أنت.

وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً، وحرق قوماً بالنار⁽¹⁾.

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 105.

تفاصيل إضافية، تقول: «وصار جارية بن قدامة السعدي حتى أتى اليمس فحرق بها وقتل قوماً من شيعة عثمان، وطلب بسرّاً فهرب فاتبه إلى مكة، وطفّر يقوم من أصحابه فقتلهم. وقال جارية لأهل مكة: يا عباد الله بايعوا أمير المؤمنين عليّاً، فقالوا: إنه قد هلك. قال: فبايعوا لمن بايعه أصحاب علي، ففعلوا ذلك، ثم أتى المدينة وقد اصططح أهلها أن يصي بهم أبو هريرة، فقال لهم جارية: يا عباد الله بايعوا للحسن بن علي. فبايعوه ثم أقبل نحو الكوفة وتركهم فردوا أبا هريرة فصلّى بهم حتى اصططح الناس.

وأما وهب بن مسعود الخثعمي فسار فلم يلحق بسرّاً، ولم يظفر بأحد من أصحابه؛ ويقال: إن عليّاً رده من الطريق.

وحدثنا أبو مسعود الكوفي، عن عوانة، أن وائل بن حجر الحضرمي، كان عثمانياً فاستأذن عليّاً في إتيان اليمن ليصلح له ما هناك، ثم تعجل الرجوع فأذن له في ذلك، فما لا بسرّاً وأعانه على شيعة علي.

[ويقال] إن عليّاً لما بلغه خبر بسر بن أبي أرتاة، وتوجيه معاوية إياه صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال⁽¹⁾: أما بعد فإنني دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً، في الليل والنهار، والغدو والآصال، فما زادكم دعائي

(1) وبلغ عيباً آخر، فقام خطيباً فقال: أيها الناس! إن أول نقصكم دهاب أولي لمهي، والرأي منكم الذين يحدثون فيصدقون، ويقولون فيفعلون، وإني قد دعوتكم عوداً وبدءاً، وسراً وجهراً، وليلاً ونهاراً، فما يزيدكم دعائي إلا فراراً، ما يبعثكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة، أما والله إني لعالم بما يصلحكم، ولكن في ذلك مسادي، أمهلوني قليلاً، فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ويعبد الله بكم، إن من دل الإسلام وهلاك الدين إن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيحيون، وأدعوكم، وأنتم لا تصلحون، فتراعون، هذا بسر قد صار إلى اليمس وقبها إلى مكة والمدينة. (اليقوي، تاريخ اليعقوبي، 186).

إلا فراراً؛ وإدباراً، أما يتفعمكم العظة والدعاء إلى الهدى؟ وإني لعالم بما يصححكم ويقيم أودكم، ولكنني والله لا أرى إصلاحكم بنفسي، إن من ذل المسلمين وهلاك هذا الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الأشرار فيجاء وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون»⁽¹⁾

وفي نص مختصر، نقرأ: «فيها بعث معاوية إلى اليمن بسر بن أبي أرطاة القرشي العامري في جنود، فتنحى عنها عامل علي عبيد الله بن عباس، وبلغ علياً فجهرز إلى اليمن جارية بن قدامة السعدي فوثب بسر على ولدي عبيد الله بن عباس صبيين، فذبحهما بالسكين وهرب⁽²⁾، ثم رجع عبيد الله على اليمن»⁽³⁾.

يُقال بشأن الطفيلين: «فذكر [الأب] ولديه لمعاوية، فقال: ما عزلته إلا لقتلهما»⁽⁴⁾.

يُقال إن جارية قال لأهل مكة: «بايعوا! فقالوا: لمن نبايع وقد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟ فقال: بايعوا لمن بايع له أصحاب علي، فتناقلوا ثم بايعوا من خوف، ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا للحسن بن علي، فبايعوا وأقام عندهم ثم خرج مصرفاً إلى الكوفة، وعاد أبو هريرة يصلي بهم»⁽⁵⁾.

(1) اللادري، أنساب الأشراف، 471.

(2) ويعث معاوية سر بن أرطاة إلى اليمن، فقتل ابني عبيد الله بن العباس، وهم غلامان لم يبلغا الحلم، وقتل عبيد الله بن زياد يوم الطف تسعة من صلب علي عليه السلام، وسعة من صلب عقيل. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1637).

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، 479.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، 540.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، 2868.

«روى عروانة عن الكلبي أن بسراً لما خرج من المدينة إلى مكة قتل في طريقه رجلاً، وأخذ أموالاً، وبلغ أهل مكة خبره، فتنحى عنها عامة أهلها، وتراضى الناس بشيبة بن عثمان أميراً؛ لما خرج قثم بن العباس عنها، وخرج إلى بسر قوم من قريش، فتلقوه، فشتهم، ثم قال أم والله لو تركت ورأيي فيكم لترككم وما فيكم روح تمشي على الأرض.

فقالوا: نشدك الله في أهلك وعترتك! فسكت ثم دخل وطاف بالبيت، وصلى ركعتين، ثم خطبهم، فقال: الحمد لله الذي أعر دعوتنا، وجمع ألفتنا، وأذل عدونا بالقتل والتشريد، هذا ابن أبي طالب بناحية العراق في ضنك وضيق، قد ابتلاه الله بخطيئته، وأسلمه بجريته؛ فتفرق عنه أصحابه ناقلين عليه، وولي الأمر معاوية الطالب بدم عثمان؛ فبايعوا ولا تجعلوا على أنفسكم سيلاً. فبايعوا.

وتفقد سعيد بن العاص فطلبه فلم يجده، وأقام أياماً ثم خطبهم فقال: يا أهل مكة، إني قد صفحت عنكم، فإياكم والخلاف، فوالله إن فعلتم لأقصدن منكم إلى التي تبير الأصل، وتحرب المال، وتخرب الديار.

ثم خرج إلى الطائف، فكتب إليه المغيرة بن شعبة حين خرج من مكة إليها: أما بعد، فقد بلغني مسيرك إلى الحجاز، ونزولك مكة، وشدتك على المريب، وعفوك عن المسيء، وإكرامك لأولي النهي، فحمدت رأيك في ذلك. قدم على صالح ما كنت عليه، فإن الله عز وجل لن يزيد بالخير أهله إلا خيراً؛ جعلنا الله وإياك من الأمرين بالمعروف، والقاصدين إلى الحق، والذاكرين الله كثيراً⁽¹⁾.

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاعة، 103.

وفي بصر' لما قرب بسر من مكة توأرى قثم بن العباس، وكد عليها، فكان شيبة بن عثمان العبدي يصلي بالناس حتى قدم بسر، فلم قدم لم يهيج أهل مكة ولم يعرض لهم.

وقدم على علي بن أبي طالب عين له بالشام فأخبره بخبر بسر - يقال إنه قيس بن ررارة بن عمرو بن حطيان الهمداني، وكان قيس هذا عيناً له بالشام يكتب إليه بالأخبار - ويقال: إن كتابه ورد عليه بخبر بسر، فخطب علي الناس ووبخهم وندبهم للشخص إلىه، فانتدب جارية بن قدامة التميمي فأمره أن يأتي البصرة فيكون شخوصه لطلب بسر منها. ووجه إليه وهب بن مسعود الخنعمي من الكوفة.

ثم لما قرب بسر من الطائف تلقاء المغيرة بن شعبة - وكان مقيماً بالطائف معتزلاً لأموارهم لم يشخص إلى البصرة ولا حضر صفين، إلا إنه شخص مع من شهد أمر الحكمين ثم انصرف إلى الطائف - فقال له: أحسن الله جزاك فقد بلغتني شدتك على العدو، وإحسانك إلى الولي، قدم على صالح ما أنت عليه فإنما يريد الله بالخير أهله. فقال: يا مغيرة إنني أريد أن أوقع بأهل الطائف حتى يبايعوا لأمر المؤمنين معاوية. فقال: يا بسر ولم؟ أتثب على أوليائك بما تثب على أعدائك؟ لا تفعل فيصير الناس جميعاً أعدائك. فقال: صدقتني ونصحت لي.

وقتل بسر كعب بن عيدة وهو ذو الحبكة، بثلاث.

ومضى بسر حتى إذا شارف اليمن؛ هرب عبيد الله وسعيد - وذلك الثت - ويقال: أقاما حتى قدم فتحصنا، ثم خرجا ليلاً فلحقا بعلي، وحلف عبيد الله بن العباس على اليمن عبد الله بن عبد المذان الحارثي، فلما قدمها بسر قتله وقتل ابنه مالك بن عبد الله.

ثم دعا الناس إلى بيعه معاوية فبايعوه له، وقتل جماعة من شيعة علي وقال الهيثم بن عدي: حدثني يعقوب بن داود: أن عبيد الله كان عاملاً لعلي على اليمن، فخرج إلى علي وخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفي¹، فقدم عليه بسر من قبل معاوية فقتله، فخرج عليه أخوه عبد الله... وكان عبيد الله بن العباس قد جعل ابنه عبد الرحمن وقثم في قوم أمهم - وهي أم حكيم واسمها جويرية بنت قارظ الكناني - فلما انتهى بسر إلى بلاد قومها قال: اتوني بابني عبيد الله فلما أتني بهما قدمهما له فقتلهما فخرج نسوة من بني كنانة فقلن: هب الرجال يقتلون فما بال الولدان؟! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية؟ وإن سلطاناً لا يسدد إلا بقتل الأطفال لسلطان سوء، فأراد أن يوقع بهن ثم أمسك. وغيب الغلامين أياماً طمعاً في أن يأتيه أبوهما؛ ثم قتلتهما: ذبحهما ذبحاً، فرثتهما أمهما بأبيات².

«ثم سار بسر حتى أتى الطائف، فقالت له ثقيف: ما لك علينا سلطان، نحن من قيس، فسار حتى أتى همدان⁽³⁾ وهم في جبل لهم يقال له شهب،

(1) ويروى أن عبيد الله بن العباس كان عاملاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام على اليمن، فخرج إلى علي واستخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفي، فوجّه إليه معاوية سرّاً بن أراكة، فقتل عمرو بن أراكة... وكان سرّاً قتل خُلُقاً باليمن - يقول بعضهم - حتى أخصر الحبل في الدماء. وكان فيمن قتل طفلان لعبيد الله بن العباس أحدهم من المكتف، فروى أنه قتلها وهما يقولان: يا عم لا نعود. وأما الرواية المأثورة التي كتبها إمام ابنه أحدهما من تحت ذيل أمهم - وهي امرأة من بني الحارث بن كعب (المبرد، الغاضل، 20).

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 366؛ راجع: ابن الجوزي، المنتظم، 628، الري، الخوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 203.

(3) ثم أرسل معاوية بسر بن أراكة إلى اليمن، فبسي نساء مسلمات فأقص في السوق. وفي هذه الخزجة التي ذكر أبو عمرو الشيباني أغار بسر بن أراكة على همدان وقتل

فتحصت فيه همدان⁽¹⁾، ثم نادوا: يا بسر نحن همدان وهذا شبم، فلم يلتفت إليهم، حتى إذا اغتروا ونزلوا إلى قراهم، أغار عليهم فقتل وسبي نساءهم، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام. ومر بحي من بني سعد نرول بين ظهري بني جعدة بالفلج، فأغار بسر على الحي السعديين فقتل منهم وأسر⁽²⁾.

في نصر هام بقرأ: «ومضى إلى مكة، فقتل نفرأ من آل أبي لهب، ثم أتى السراة⁽³⁾، فقتل من بها من أصحابه. وأتى نجران، فقتل عبد الله بن عبد

وسى نساءهم، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام، وقتل أحياء من بني سعد. (أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1837)، «المضرع» بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده راء وعين مهملة ثان: موضع بديار همدان من اليمن. وكان أبو معيد أحمد بن حمزة الحمداني مع بسر بن أرطاة لما قدم اليمن، فعزى القرى في شبة على، وضرب في هذا اليوم من اعتناق الأبناء سبعين عنقا، فسمي الموضع المضرع، وارتدت الأبناء عن التشيع من ذلك اليوم. (أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، 335).

(1) وفي هذه الخرجة أغار بسر على همدان وقتل وسبي نساءهم، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام. وقتل أحياء من بني سعد.

وروى أبو عمر بسنده عن أبي الرياب وصاحب له أنها سمعا أبا ذر يدعو ويتعوذ في صلاة صلاها طال قيامها وركوعها وسجودها، قال: سأله: مم تعوذت؟ وفيه دعوت؟ فقال: تعوذت بالله من يوم البلاء أن يدركني ويوم العورة أن أدركه. فقلت: وما ذاك؟ فقال: أما يوم البلاء فتلقني فتنان من المسلمين فيقتل بعضهم بعضا، وأما يوم العورة فإن نساء من المسلمات يسبن فيكشف عن سوفهن فأيتهن كات أعظم سقا اشتريت على عظم ساقها، فدعوت الله ألا يدركني هذا الرمان ولعلكم تدركه. قال فقتل عثمان ثم أرسل معاوية بسر بن أرطاة إلى اليمن فسي نساء مسلمات فأفمن في اسوق. (الزوري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2395).

(2) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 487.

(3) بحث معاوية بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي، بعد تحكيم الحكمين، لقتل شيعة علي فمر في البلاد يشن الغارات، ولا يكفون أيديهم عن النساء والصبيان، فعصر ذلك بالندية ومكة والسراة ونجران واليمن. وكان عبيد الله بن العباس عاملاً لعي على

لمدان الحارثي وابنه، وكانا من أصهار بني العباس، ثم أتى اليمر وعيها عبيد الله بن العباس، عاملاً لعلي بن أبي طالب، وكانه غائباً، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بسر، فلم يصادفه بسر، ووجد ابنتين له صبيين، فأحدهما بسر لعنه الله، وذبحهما بيده، بمدينة كانت معه، ثم اكفأ راحعاً إلى معدية، وفعل مثل ذلك سائر من بعث به. فقصده الغامدي إلى الأبار، فقتل ابن حسان البكري، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة⁽¹⁾.

يضيف نص آخر: «وقد كان بُسر بن أرطاة العامري - عامر بن لؤي بن غالب - قَتَلَ بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خُرَاعة وغيرهم، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال هَمْدَان⁽²⁾، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء، ولم يبلغه عن أحد أنه يماليء علياً أو يهواه إلا قتله، ونم إليه خبر حارثة بن قدامة السعدي فهرب، وظفر حارثة بابن أخي بُسر مع أربعين من أهل بيته، فقتلهم»⁽³⁾.

اليمن وكان غائباً، وقيل بل هرب من بسر، ووجد صبيين له فذبحهما ذبحاً بمدينة، ثم اكفأ راجعاً إلى معاوية. وأصاب أم الصبيين، واسمها عبد الرحمن وقتل، وهي أم حكيم بنت فارط، على ابنها كالجنون، فكانت لا تعقل ولا تصني إلى قول من أعلمها أنها قد قتلا، ولا تزال تطوف في الموسم تشد الناس ألياً. (ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 509).

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1835.

(2) فأولده مرة أنا معبد، ونفر عن اليمن فكان مع علي عليه السلام فلما صير راية همدان إلى سعيد بن قيس عصت ومات يكدم واسط كوره حتى أفناه ثم لحق بمعاوية وكان عنده وحيها، وقدم إلى اليممي فلزم بلد الأهنوم والمغرب حتى قدم بسر بن أرطاة من قبل معدية فكان له رحلا ويدا في بلد همدان، فقال من شيعة علي عليه السلام في بلد همدان وصعاء فأقوى، وصرّب من الأبناء على باب المصرع اثنتين وسبعين رقبة فسمي الموضع لمصرع، وارتدت الأبناء عن التشيع من يومئذ إلى اليوم. (المعداني، الإكليل، 15)

(3) المسعودي، مروج الذهب، 357.

«ولم يرل سديف يطلب ولد بسر بن أبي أرطاة حتى ظهر بانين له ساحل دمشق، فقتلها لقتل بسر جدهما ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب - ليمن، لما بعثه معاوية أميراً عليها بعد قتل عثمان»⁽¹⁾.

«ثم خرج بسر من صنعاء، فأتى أهل جيشان - وهم شيعة لعلي عليه السلام - فقاتلهم وقتلوه، فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، ثم رجع إلى صنعاء، فقتل بها مائة شيخ من أبناء فارس، لأن ابني عبيد الله بن العباس كانا مستترين في بيت امرأة من أبنائهم، تعرف بابنة بزرج»⁽²⁾.

وفي نص: «وقصد العامري [بسر] الأنبار فقتل ابن حسان البكري، ورجالا ونساء من الشيعة، وأغار الضحاك على الحيرة فأخرج إليه علي عليه السلام جيشاً، فاقتتلوا ساعة، وقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ونجا الضحاك جريحاً»⁽³⁾.

حول ما حصل في الحجاز واليمن على يد بسر، نقرأ «عن أبي الزيات، وآخر، سمعا أبا ذر يتعوذ من يوم العورة، قال زيد: فقتل عثمان، ثم أرسل معاوية بسر بن أرطاة إلى اليمن، فبسى نساء مسلمات، فأقمن في السوق.

وقال ابن إسحاق: قتل بسر: عبد الرحمن، وقثم ولدي عبيد الله بن عباس باليمن.

(1) ابن مطور، مختصر تاريخ دمشق، 1264؛ أنظر: ابن داود الأصبهاني، لرهرة، 154؛ البري، الجوهرية في نسب النبي وأصحابه العشرة، 202؛ أبو الفرج الأصبهاني، لأغري، 1837؛ المسعودي، مروج الذهب، 419؛ ابن خلدون، التذكرة الحمدونية، 510؛ الويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2394.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 105.

(3) ابن سعد الخثير، القرط على الكامل، 194.

بعث معاوية بسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن يقتل من كان في طاعة علي، فأقام بالمدينة شهراً لا يقال له: هذا ممن أعان على قتل عثمان، إلا قتله قال السياني: إنه قتل ابني عبيد الله بالمدينة. والأكثر أنه قتلهما باليمن على ما ذكرنا.⁽¹⁾ ويقال إنه «سمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبيد المطلب تندب ابنيها النذير قتلها بسر بن أرطاة... فرقى لها، فاتصل ببسر⁽²⁾ حتى وثق به، ثم احتال لقتل ابنه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس، فقتلهما وهرب⁽³⁾». وفي نص آخر: «كان لبسر هذا ابنان بأوطاس فخرج إليهما رجل من قریش فقتلهما⁽⁴⁾».

يقال إن بسراً «مات ذاهل العقل يلعب بخثره، وربما كان يتناول منه ثم يقبل على مَنْ يراه فيقول: انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد الله، وكان ربما شدد يده إلى وراء منعا من ذلك فأنجى ذات يوم في مكانه، ثم أهوى بفيه فتناول منه، فبادروا إلى منعه، فقال: أنتم تسمعونني وعبد الرحمن وقثم يطعماني⁽⁵⁾».

ذكر ولاية بسر على البصرة:

«في هذه السنة ولي بسر بن أبي أرطاة البصرة. وكان السبب في ذلك

- (1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 644؛ أنظر. العصامي، مسقط النجوم العوالي في أساء الأوتل والتوالي، 165؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 48.
- (2) وقال الأصمعي سمع رجل من اليمن، وقد قدم مكة، امرأة عبيد الله تندب ابنيها فرقى ما وتوصل إلى أن اتصل ببسر وخدمه، فلما وثق به احتال لقتل ابنه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس فقتلهما وهرب. (ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 510).
- (3) أبو الفرج، الأصبهاني، الأغاني، 1837.
- (4) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 326.
- (5) المسعودي، مروج الذهب، 419؛ راجع: ابن حريد، الاشتقاق، 38.

أن الحسن لما صالح معاوية أول سنة إحدى وأربعين وثب حمزان بن أمان على البصرة فأخذها وغلب عليها، فبعث إليه معاوية يسرى ابن أبي أرطاة وأمره يقتل بني زياد بن أبيه⁽¹⁾، وكان زياد على فارس قد أرسله إليها علي بن أبي طالب، فلما قدم بسر البصرة خطب على منبرها وشم عليه ثم قال: نشدت الله رجلاً يعلم أنني صادق إلا صدقني أو كاذب إلا كدني فقال أبو بكر⁽²⁾: اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً. قال: فأمر به فخنق. فقام أبو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه فمنعه. وأقطعته أبو بكر مائة جريب، وقيل لأبي بكر: ما حملك على ذلك؟ فقال: يناشدنا بالله ثم لا نصدقه؟ وأرسل معاوية إلى زياد: إن في يدك مالاً من مال الله فأد ما عندك منه. فكتب إليه زياد: إنه لم يبق عندي شيء، ولقد صرفت ما كان عندي في وجهه، واستودعت بعضه لنائلة إن نزلت، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين [علي] رحمة الله عليه. فكتب إليه معاوية: أن أقبل ننظر فيما وليت فإن استقام بيننا أمر وإلا رجعت إلى مأمك. فامتنع، فأخذ بسر أولاد زياد الأكابر، منهم: عبد الرحمن وعبيد الله وعباد، وكتب إلى زياد:

(1) ونوفى علي عليه السلام، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي، وعلى فارس زياد بن سمية [ابن أبيه أو ابن أبي سميان]، وعلى اليمن عبيد الله بن لعماس، حتى وقع أمر بسر من أبي أرطاة، وعلى مكة والطائف قثم بن عباس، وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري وقيل سهل بن حنيف. (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 747)

(2) أبو بكر - وهو صحابي مشهور اسمه نفيج بن الحارث بن كلدة الثقفي قلت: لمع أبي بكر؛ لأنه كان مع ثقيف في حصن الطائف حال حصار النبي صلى الله عليه وآله أهل الطائف، هادي - عليه الصلاة والسلام - : «من أتى إلينا، فله الأمان، وهو حر»، فتدل ببيع بن الحارث هذا من أعلى الحصن ببكرة، ونزل إليه - عليه الصلاة والسلام - وأسلم، فقتل لذلك بأبي بكر. (العصامي، سبط المجوم العلوي في أنباء الأوائل والتوالي، 547).

لتقدم على أمير المؤمنين أو لأقتلن بنيك. فكتب إليه زياد. لست بارحاً من مكابي حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك، وإن قتلت ولدي فالمصير إلى الله ومن ورائنا الحساب، (وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب بقولون) الشعراء 227. فأراد بسر قتلهم فأتاه أبو بكره فقال: قد أخذت ولد أخي بلا ذنب، وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب أصحاب عمي حيث كانوا، فليس لك عليهم ولا على أبيهم سبيل. وأخله أياماً حتى يأتيه بكتاب معاوية، فركب أبو بكره إلى معاوية، وهو بالكوفة، فلما أتاه قال له: يا معاوية إن الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال! قال: وما ذاك يا أبا بكره؟ قال: بسر يريد قتل بني أخي زياد. فكتب له بتخليتهم. فأخذ كتابه إلى بسر بالكف عن أولاد زياد، وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد، وقد أخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم، واجتمع الناس لذلك وهم يتظرون أبا بكره إذ رفع لهم على نجيب أو برذون يكده، فوقف عليه ونزل عنه وألاح بثوبه وكبر وكبر الداس معه، فأقبل يسعى على رجله فادرك بسرأ قبل أن يقتلهم، فدفع إليه كتاب معاوية، فأطلقهم.

وقد كان معاوية كتب إلى زياد حين قتل علي يتهدده، فقام خطيباً فقال: العجب من ابن آكلة الأكباد، وكهف النفاق، ورئيس الأحزاب يتهددني، وبني وبه ابنا عم رسول الله ﷺ، يعني ابن عباس والحسن بن علي، في سبعين ألفاً واضعي سيوفهم على عواتقهم! أما والله لئن خلص إلي ليجدي ضرباً بالسيف. فلما صالح الحسن معاوية وقدم معاوية الكوفة تححص زياد في القلعة التي يقال لها قلعة زياد⁽¹⁾.

(1) اس الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 611.

نص آخر يمتدنا بمعلومة مخالفة: «وفي هذه السنة غلب حمران بن أنان على البصرة وذلك أنه لما صالح الحسن معاوية، وثب حمران على البصرة فأحدها، فبعث إليه معاوية بسر بن أرطاة، فصعد حمران إلى المنبر وشتّم علياً عليه السلام، ثم قال: أنشد الله رجلاً عليماً أنني صادق إلا صدقني، أو كاذب إلا كذبي، فقال أبو بكر: لا نعلمك إلا كاذباً، فأمر به بختن، فقام أبو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه فمتعه، فأعطاه أبو بكر - بعد ذلك مائة جريب، فقبل لأبي بكر: ما أردت بهذا؟ فقال: يناشدنا بالله ثم لا نصدقه، فأقام بسر بالبصرة ستة أشهر وفي هذه السنة ولي معاوية بن عامر البصرة، وحرب سجستان وخراسان وسبب ذلك أن معاوية أراد أن يوجه عتبة بن أبي سفيان على البصرة، فقال له ابن عامر: إن لي بها أموالاً وودائع فإن لم توجهني عليها ذهبت، فولاه البصرة فقدمها في آخر سنة إحدى وأربعين وإلى علي خراسان وسجستان، فولى حبيب بن شهاب شرطته - وقيل: قيس بن الهيثم - واستقضى عميرة بن يثربي»⁽¹⁾.

بضيف نص أن بسر «أخذ بعض بني زياد فحبسه - وزياد يومئذ بفارس، كان علي عليه السلام بعثه إليها إلى أكراد خرجوا بها، فظفر بهم زياد، وأقام بضطر - قال: فركب أبو بكر إلى معاوية وهو بالكوفة، فاستأجل بسرًا، فأحله أسرعاً ذاهباً وراجعاً، فسار سبعة أيام، فقتل تحته دابتين، فكلمه، فكتب معاوية بالكف عنهم»⁽²⁾.

«أقام بسر بالبصرة ستة أشهر، ثم شخص لا نعلمه ولي شرطته أحداً. [قال بسر لأبي بكر عن زياد]:... إن على أخيك أموالاً قد أخذها ومنتع

(1) ابن الجوزي، المنتظم، 637.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1157.

من أدائها؟؟؟...[وقال أبو بكر لمعاوية]: تؤمن أخي زياداً، وتكتب إلى بسر بن خنيلة ولده ويترك التعرض لهم؛ فقال: أما بنو زياد فنكتب لك فيهم ما سألت؛ وأما زياد فقي يده مال للمسلمين، فإذا أداه فلا سبيل لنا عليه؛ قال: يا أمير المؤمنين، إن يكن عنده شيء فليس يحبس عنك إن شاء الله⁽¹⁾.

ويقال أيضاً، «لما قدم بسر بن أبي أرطاة القرشي، ثم العامري، البصرة وكان معاوية بعثه لقتل من خالفه واستحياء من بايعه أخذ بني زياد، وهم غلمان عبيد الله، وسلماء، وعبد الرحمن، والمغيرة وبه كان يكنى زياد، وحرباً وزياد يومئذ متحصن في قلعة بقارس، تعرف بقلعة زياد، مخالفاً لمعاوية، وذلك قبل أن يدعيه معاوية... وكان قدوم أبي بكر على معاوية بالكوفة⁽²⁾».

المال هو العنصر الأساسي في صراع معاوية - زياد؛ يقول معاوية: «أما زياد فللمسلمين عنده مال: إذا أداه فهو آمن؛ وأما ولده فنخلي سبيلهم، وكتب إلى بسر في ذلك⁽³⁾».

كما حصل في الحجاز واليمن، حصل في البصرة؛ يقول أحد النصوص: «وبعث معاوية بسر بن أبي أرطاة إلى البصرة، وأمره بقتل من خالفه، وكان هواه مع علي، فلما قدم بسر البصرة أخذ بني زياد وهم: عبيد الله، وسلم، وعبد الرحمن، والمغيرة وأبو حرب، وكانوا غلماناً، فقال: لأقتلنكم أو ليأتيني زياد...».

وكان المغيرة بن شعبة صديقاً لزياد لكتابته له، ولأنه لما وجد مع المرأة

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1158.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 216.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 221.

فشهد عليه الشهود كان زياد رابعهم، فلما نظر إليه عمر قال: أرى رجلاً لا يوضح الله أو لا يخزي به رجلاً من أصحاب محمد، فأحجم عن قطع الشهادة حتى درأ عمر الحد عن المغيرة، فدخل المغيرة... فقال له: يا أمير المؤمنين إن تستودعني سرك تستودعه ناصحاً شقيقاً ووعاءً وثيقاً، فقال معاوية: شر الوطاء العجز، أترضى أن يكون زياد وهو داهية العرب وقريع ذوي الرأي والحرم بمكانه؟ ما يؤمنني أن يبيع لبعض أهل هذا البيت فيعيدها جذعة، والله لقد بت ليلتي ساهراً لذكرى زياداً واعتصامه بقلعة بأرض فارس، قال المغيرة: فأذن لي في إتيانه آتاك به، قال: نعم فمضى جواداً حتى قدم على زياد، فلما رآه قال: أفلح رائد، قال: إليك ينتهي الخبر يا أبا المغيرة، إنَّ الوجل منك قد استخف معاوية حتى بعثني إليك، وقد بايعه الحسن واجتمع عليه الناس، قال: فأشر علي فإن المستشار مؤتمن، وارم الغرض الأقصى، قال المغيرة: ان في محض الرأي بشاعة ولا خير في التمزيق، أرى أن تصل حبلك بحبله وتشخص إليه⁽¹⁾، قال: أرى

(1) وكان سبب ادعاء معاوية له فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن علياً كان ولأه فارس حين أخرج منها سهل من حنيف، فضرب زياد بعضهم بعضاً حتى غلب عليها، وما زال ينتقم في كورها حتى صلح أمر فارس، ثم ولأه على أصفهين، وكان معاوية يتهدد، ثم أحد سُر بن أرطاة عبيد الله وسالماً ولديه وكتب إليه يقسم بقتلها إن لم يرجع ويدخل في طاعه معاوية وكتب معاوية إلى سُر ألا يعرض لأبني ريد، وكتب إلى زياد أن يدخل في طاعته ويُرَّده إلى عمله، فقدم زياد على معاوية، فصاحه على مال وحلي، ودعاه معاوية إلى أن يستحلفه، فأبى زياد ذلك، وكان المغيرة سر شعه قبل لزياد قبل قدمه على معاوية: أزم بالغرض الأقصى، ودع علك المعضول، فإن هذا الأمر لا يمد إليه أحد بدأ إلا الحسن بن علي وقد باع لمعاوية، فمد ليمس قبل التوقيع، فقال زياد: فأشر علي، قال: أرى أن تتقل أصلك إلى أصله، وتصر حلت حبله، وأن تعير الناس منك أدناً صباء، فقال زياد: يا ابن شعبة، أغرم عوداً في عبر منيته ولا مدرة فتحبيه ولا عزق فيسقيه؟ ثم إن زياداً عزم على قبول الدعوى وأحد برأي اس شعبة (المسعودي، مروج الذهب، 350).

ويقضي الله؛ وانصرف المغيرة، ومضى زياد بعد يوم أو يومين من مضي المغيرة فسار حتى صار إلى معاوية، فسأله معاوية عن المال فصم له أن يحمل إليه ألف درهم، فرضى بذلك⁽¹⁾.

وفي نص تفاصيل أخرى: «لما ولي المغيرة على الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري، وأقره زياد بعده. وكان يغزو الديلم. ثم بعث علي البصرة بسر بن أرطاة، وكان قد تغلب عليها حمران بن زيد عند صلح الحسن مع معاوية، فبعث بسرأ عليها فخطب الناس وتعرض لعلي... ثم عزل معاوية بسرأ عن البصرة»⁽²⁾.

متفرقات ما بعد الحرب:

«المدائني عن جويرية بن أسماء أن بسر بن أبي أرطاة نال من علي عند معاوية، وزيد بن عمر بن الخطاب حاضر، فعلاه بعضاً فشجه، فقال معاوية: عمدت إلى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربتة، ثم أقبل على بسر فقال: شمت علياً وهو جده، وهو أيضاً ابن الفاروق أفكنت ترى أنه يصبر لك؟ قال: وأم زيد بن عمر أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب؟ ثم إن معاوية أرضاهما جميعاً وأصلح بينهما»⁽³⁾. وفي نص: «فتزل إليه زيد فخفقه حتى صرعه، وبرك على صدره، وقال لمعاوية: إني لأعلم أن هذا عن رأيك وأنا ابن الخليفين، ثم خرج إلينا زيد وقد تشعث رأسه وعمامته.

(1) اللادري، أسباب الأشراف، 644؛ راجع: ابن كثير، البداية والنهاية، 2913، السويدي، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2402.

(2) ابن حلدون، تاريخ ابن خلدون، 751؛ راجع: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 889.

(3) اللادري، أنساب الأشراف، 586؛ أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1226، ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 650.

ثم اعتذر إليه معاوية، وأمر له بمائة ألف، وأمر لكل واحد من بأربعة آلاف⁽¹⁾؛ وفي نص: «وخرج زيد وقد تشعث رأسه، وسقطت عمامته، فدعا يابله فارتحل، فأناه أذن معاوية، فقال: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: عزمت عليك لما أتيتني، فإن آيت أتيتك. قل زيد: لولا العزيمة ما آتيت⁽²⁾»، «فقدم إليه⁽³⁾»؛ وفي نص: «وخرج زيد من عند معاوية فأبصر بسر بن أرطاة على دكان ينال من علي، فصعد الدكان فاحتمله وضرب به الأرض وصفر عليه فدق ضلعين من أضلاعه، فقال معاوية: أبعد الله بسراً يشتم جد الرجل وهو يسمع! أما علم أن زيدا ابن علي وعمر⁽⁴⁾»؛ وفي نص: «وكانت أم زيد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب. ولما قدم معاوية مكة، وكان عمر قد استعمله عليها، دخل على أمه هند، فقالت له: يا بني، إنه قلما ولدت حرة مثلك، وقد استعملك هذا الرجل، فاعمل بما وافقه، أحببت ذلك أم كرهته⁽⁵⁾».

صلح ابن العباس ومعاوية:

«ثم إن معاوية وافى حتى نزل قرية يقال لها الحبوية بمسكن، فأقبل عبد الله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلما كان من غد وجه معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله بن العباس فيمن معه، فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله بن العباس

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 502.

(2) ابن مطور، مختصر تاريخ دمشق، 1244.

(3) ابن مطور، مختصر تاريخ دمشق، 1448.

(4) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1181.

(5) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 627؛ أنظر: الزعشمري، ربيع الأمر، 469.

أن الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم الأمر إلي، فإن دحيت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن حنتي الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، يعجل لك في هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسئ عبيد الله ليلاً، فدخل عسكر معاوية، فوفى له بما وعده. فأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلي بهم، فلم يخرج حتى أصبحوا، فطلبوه فلم يجدوه، فصلى بهم قيس بن سعد بن عباد، ثم خطبهم فقال: أيها الناس، لا يهولنكم ولا يعظم عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع «أي الجبان»؛ إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط، إن أباه عم رسول الله ﷺ خرج يقاتله بيد، فأسرته أبو اليسر كعب بن عمر الأنصاري، فأتى به رسول الله ﷺ، فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين، وإن أخاه ولأه علي أمير المؤمنين علي البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين، فاشترى به الجواري، وزعم أن ذلك له حلال، وإن هذا ولأه علي اليمن، فهرب من بسر بن أرطاة وترك ولده حتى قتله، وصنع الآن هذا الذي صنع.

قال فتنادى الناس: الحمد لله الذي أخرجه من بيتنا، فانهض بنا إلى عدونا، فنهض بهم.

وخرج إليهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفاً، فصاحوا بهم: هذا أميركم قد بايع، وهذا الحسن قد صالح؛ فعلام تقتلون أنفسكم؟ فقال لهم قيس بن سعد بن عباد: اختاروا إحدى اثنتين: إما القتال مع غير إمام، أو تايعون بيعة صلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم.

وكتب معاوية إلى قيس يدعوه ويمنيه، فكتب إليه قيس: لا والله لا

تلقاني أبداً إلا وبينني وبينك الرمح. فكتب إليه معاوية: «أما بعد، فما أنت يهودي ابن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحب المريقين إليك نبذك وعزلك، وإن ظهر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قومه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحز وأخطأ الممصل فخذله قومه، وأدركه يومه، فمات بحوران طريداً غريباً»⁽¹⁾.

«وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه: أن عبيد الله بن العباس لما صار إلى معاوية؛ وفارق الحسن بن علي؛ رأى بسرأ، فقال له: أنت أمرت هذا اللعين بقتل ولدي؟ فقال: والله ما فعلت ولقد كرهت ذلك. فغضب بسر لقولهما وألقى سيفه إلى معاوية وقال له: خذني ولكن أمرتني أن أخبط به الناس فانتهيت إلى أمرك، ثم أنت تقول لهذا ما تقول وهو بالأمس عدوك؛ وأن نصيحك دونه وظهيرك عليه فقال: خذ سيفك فإنك ضعيف الرأي حين تلقي سيفاً بين يدي رجل من بني هاشم وقد قتلت ابنه، فأخذ سيفه، وقال عبيد الله: ما كنت لأقتل بسرأ، بأحد ابني، هو الأم وأوضع وأحقر من ذلك، والله ما أرى أنني أدرك ثأرهما إلا يزيد وعبد الله ابني معاوية، فضحك معاوية وقال: ما ذنب يزيد وعبد الله فوالله ما أمرت ولا علمت ولا هويت. - وكان معاوية ماثلاً إلى ولد العباس لأن جدته أم أبيه كانت صفية بنت حزن، وكانت أم بني العباس لبابة بنت الحارث بن حزن - فقال ابن لعبيد الله من سرية تدعى جمانة: والله لا نرضى إلا بيزيد وعد الله. فقال معاوية: لا أم لك فلو لا كرامة أبيك لأطلت حبسك

ثم إن بسرأ بعد ذلك وسوس، وكان يهذي بالسيف، فجعل له سيف

(1) أبو العرج الأصبهاني، مقاتل الطالبين، 17.

من حشب أو من عيدان، وكانت الوسادة تدنى إليه فيضربها حتى يعشى عليه، وربما أدبي إليه زق فيضربه، فلم يزل كذلك حتى مات في خلافة عبد الملك بن مروان، ولم يزل معاوية يصل عبيد الله بالمال العظيم بعد المال حتى سل ما في قلبه»⁽¹⁾.

بسر في إفريقية:

«ذكر أهل السير أن معاوية بعث عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية، ففتحها، واخط القبروان، وبعث بسر بن أرطاة العامري إلى قلعة من القبروان، فافتتحها، وقتل وسبى فهي إلى الآن تعرف بقلعة بسر، وهي بالقرب من مجانة عند معدن الفضة، وقيل: إن الذي وجه بسرًا إلى هذه القلعة موسى بن نصير وبسر يومئذ ابن اثنتين وثمانين سنة»⁽²⁾.

في نص آخر، نقرأ: «وهذه القلعة تعرف بقلعة بسر بن أرطاة افتتحها عنوة، بعث إليها موسى بن نصير، وبعث خمس غنيمتها إليه»⁽³⁾.

«كان عمرو بن العاص بعث إلى ودان بسر بن أبي أرطاة وهو محاصر لطرابلس، فافتتحها في سنة 23؛ ثم نقضوا عهدهم ومنعوا ما كان قد فرضه بسر عليهم، فخرج عقبة بن نافع بعد معارية بن حديج إلى المغرب في

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 367؛ راجع: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاعة، 105؛ ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 600؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2، 18؛ وقيل دخل عبيد الله بن العباس على معاوية بن أبي سفيان وعنده سرس أرطاة فقل له عبيد الله. أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ قال: نعم، أما قاتلها فقل عبيد الله بوددت أن الأرض كانت أثبتني عنك. (زينب فواز، الدر المنثور في طبعات ربات الحذور، 37).

(2) باقوت الحموي، معجم البلدان، 1430؛ راجع: البلاذري، فتوح البلدان، 92.

(3) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، 239.

سنة 46 ومعه بسر بن أبي أرطاة وشريك بن سحيم حتى نزل بغداد من سرت، فخلف عقبة جيشه هناك واستخلف عليهم زهير بن قيس البلوي، ثم سار بنفسه في أربعمئة فارس وأربعمئة بعير بثمانمئة قرية ماء حتى قدم ودان فافتتحها وأخذ ملكها فجذع أنفه؛ فقال: لم فعلت هذا وقد عاهدت المسلمين؟ قال: أدباً لك إذا مسست أنفك ذكرت فلم تحارب العرب! واستخرج منها ما كان بسر فرض عليه وهو ثلثمائة وستون رأساً⁽¹⁾.

بفروقات بسيطة عن السابق، نقرأ: «وقال ابن عبد الحكم: ثم إنهم نقضوا عهدهم ومنعوا ما كان بسر بن أرطاة فرض عليهم، فخرج عقبة بن نافع الفهري إلى المغرب بعد معاوية بن حديج وذلك سنة ست وأربعين، ومعه بسر بن أرطاة وشريك بن سحيم المرادي، فأقبل حتى نزل بغداد من سرت، فخلف عقبة جيشه هناك واستخلف عليهم زهير بن قيس البلوي، ثم سار بنفسه في أربعمئة فارس وأربعمئة بعير وثمانمئة قرية ماء حتى قدم ودان فافتتحها وأخذ ملكهم، فجذع أذنه، فقال: لم فعلت هذا؟ قد عاهدني المسلمون؟ قال: أدباً لك، إذا ذكرت أذنك ذكرت فلم تحارب العرب، واستخرج منه ما كان بسر فرض عليه ثلاثمئة رأس وستين رأساً⁽²⁾».

بسر: سلاح العورة

تخبرنا مصادر كثيرة أنّ علياً، لما بارز بسر وأوشك على قتله، كشف الأخير عن عورته، فانكفاً علي عنه؛ يقال: «ذكر ابن الكلبي في كتبه في

(1) يدقوت الحموي، معجم البلدان، 1791.

(2) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، 185.

أخبار صفين، أن بسر بن أرطاة بارز علياً يوم صفين، فطعنه علي عليه السلام فصرعه، فانكشف له، فكف عنه، كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص⁽¹⁾؛ يريد عمرو بن العاص لما ضربه علي عليه السلام يوم صفين فرمى نفسه على الأرض وكشف عن سوته فأعرض علي عنه وقال: عورة المرء حمى. وقد وقع ذلك لبسر بن أرطاة مع علي عليه السلام كما وقع لعمر، وذلك أن بسرًا كان مع معاوية بصفين، فأمره أن يلقي علياً عليه السلام وقال له: سمعتك تتمنى لقائه، فلو أظفرك الله به حصلت دنيا وآخرة، ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رآه فقصده في الحرب والتقى، فصرعه علي عليه السلام، فكشف بسر عن سوته فتركه علي⁽²⁾. وفي نص آخر: «فاتقاء بسر بعورته، وقصد أن يكشفها، يستدفع بأسه، فانصرف عنه» مستديراً له فعرفه الأشتر حين سقط فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بسر بن أرطاة، هذا عدو الله وعدوك، فقال: دعه عليه السلام الله، أبعد أن فعلها فحمل ابن عم بسر من أهل الشام، شاب، على علي عليه السلام⁽³⁾.

وفي نص مشابه، نقراً: «فاستقبله بسر قريباً من التل وهو مقنع في الحديد لا يعرف، فناداه: ابرز إلى أبا حسن. فانهدر إليه على تودة غير مكترث، حتى إذا قارب طعنه وهو دارع، فألقاه على الأرض، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتقاء بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه علي عليه السلام مستديراً له، فعرفه الأشتر حين سقط فقال: يا أمير

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 644.

(2) العقد المفضل حيدر الخلي الصفحة 114.

(3) ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، 828؛ أنظر أيضاً: ابن كثير، البداية و النهاية، 1883؛ الويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2362؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 50.

المؤمنين، هذا بسر بن أرطاة، عدو الله وعدوك. فقال: دعه عليه لعة الله، أبعد أن فعلها⁽¹⁾.

بسر ونهاية خلافة الحسن:

«وقدم معاوية بسر بن أرطاة فكانت بينه وبين قيس مناوشة ثم تحاجزوا ينتظرون الحسن؛ قالوا: ونظر الحسن ما يسفك من الدماء ويتتهك من المحارم؛ فقال: لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيت أن أسلمه إلى معاوية فيكون في عنقه ناعمة هذا الأمر وأوزاره! فقال له الحسين: أنشدك الله أن لا تكون أول من عاب أباه ورغب عن رأيه؛ فقال الحسن: لتتابعني على ما أقول أو لأنشدك في الحديد حتى أفرغ منه!! فقال له: الحسين فشأنك به وإني لكاره. فقام الحسن ﷺ خطيباً فذكر رأيه وإثارة السلامة، فقال الناس: هو خالع نفسه لمعاوية، فشق عليهم ذلك وقد بايعوه على الموت فثاروا به وقطعوا عليه كلامه وخرقوا عليه سرادقه وطعنه رجل في فخذه وانصرفوا عنه إلى الكوفة؛ فحمل الحسن إلى المدائن وقد نزف دمه فعولج وبعث إلى معاوية يذكر تسليمه الأمر إليه، فكتب إليه معاوية: أما بعد فأنت أولى بهذا الأمر وأحق به لقرابتك وكذا وكذا ولو علمت أنك أضبط له وأحوط على حريم هذه الأمة وأكيد للعدو لبإيعتك، فاسأل ما شئت وبعث بصحيفة بيضاء مختومة في أسفلها أن اكتب فيها ما شئت؛ فكتب الحسن أموالاً وضياعاً لشيعته علي وأشهد على ذلك شهوداً من الصحابة وكتب في تسليم الأمر كتاباً على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وميرة الخلفاء الماضين وأن لا يعهد

(1) ابن مزاحم، وقعة صفين، 135.

بعده إلى أحد ويكون الأمر شورى وأصحاب علي أمينين جيشاً كانوا؛
وقيس بن سعد نازل وعلى منازلته عازم، فبعث إليه معاوية على طاعة
من تبارعني وقد نابعني صاحبك؟ وبعث إليه بصحيفة بيضاء ووضع
خاتمه أسفلها، وقال: سل ما شئت! فلم يسأل قيس غير الأمان له ولمس
معه، فأمّنهم وانصرفوا، والتقى معاوية مع الحسن على منزل من الكوفة
فدحلاً الكوفة معاً؛ ثم قال: يا أبا محمد نعرض به لقد جذت بشيء لا
تجود بمثله نفوس الرجال فقم وأعلم الناس ذلك! فقام الحسن فحمد
الله وأثنى عليه؛ ثم قال: أيها الناس لو طلبتم ما بين جابلق إلى جابلص
رجلاً جده رسول الله ما وجدتموه غيري وغير أخي وأن الله تعالى
هداكم بأولنا وحقق دماءكم بأخرنا، وإن معاوية نازعي حقاً لي دونه
فرايت أن أمنع الناس الحرب وأسلمه إليه وإن لهذا الأمر مدة؛ وتلا:
وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين؛ فلما تلا الحسن هذه الآية
خشي معاوية الاختلاف⁽¹⁾، فقال له معاوية: أقعد ثم قام خطيباً، فقال:
كنت شروطاً في الفرقة أردت بها نظام الألفة وقد جمع الله كلمتنا وأزال
فرقتنا وكل شرط شرطته فهو مردود وكل وعد وعده فهو تحت قدمي
هاتين!! فقام الحسن، فقال: إلا وأني اخترت العار على النار!! ليلة
القدر خبر من ألف شهر؛ وسار إلى المدينة وقام بها إلى أن مات سنة
سبع وأربعين من الهجرة⁽²⁾.

(1) يلخص ابن خلدون قصة علي معاوية كما يلي: «واختلف أهل العراق على علي ونازع
أهل الشام معاوية بالخلافة. فأراد معاوية صرف عمله إلى مصر لما كان يرحو من
الاستعانة على حروبه بخراسانها». (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 744)

(2) المظهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ 328؛ أنظر: ابن أبي الحديد، شرح صحيح
السلافة، 97.

راجع أيضاً: المرد، الكامل في اللغة والأدب، 308؛ مصعب الربيري،
سب قریش، 84؛ المرد، التعدي والمرائي، 17؛ الصفدي، الوافي
بالوفيات، 2328؛ القلقشدي، صبح الأعشى، 2261؛ المطهر س طاهر
المقدسي، البدء والتاريخ، 326

الفصل الثالث

الحسن بن علي

يروى أن «الحسن بن علي» .. لما قتل عبي بويج⁽¹⁾ له بالكوفة⁽²⁾ وبويج لمعاوية بن هشام وبيت المقدس، فسر معاوية يريد الكوفة وسار الحسن يريدته؛ فلتقوا بمسكن من أرض الكوفة فصالح الحسن معاوية وبايع به ودخل معه الكوفة، ثم انصرف معاوية عن الكوفة إلى الشام.

(1) «الحسن بن علي بن أبي طالب». وبويج به يوم الأحد التاسع عشر من رمضان، وقبل في الثاني والعشرين من رمضان سنة أربعين، بايعه أهل ختل والعقد ومن بقي من المهاجرين والأنصار، ومن بكل من بايعه الله فقد بايعه صواعاً إلا من كان بدمشق ومدة ولايته خمسة أشهر، ثم صالح معاوية وعمره ما بين لأربعين والخمسين وقبل عاشر اثنت وأربعين سنة وقبل ثمان وهو «صالح» (ظهر لدين البيهقي، لدب الأساس والألقاب ولأعقاب، 20)

(2) «ثم سار إلى معاوية فالتقى بمسكن من أرض الكوفة، فصطحح وسم إليه الأمر وبايعه لخمسة بقى من شهر ربيع الأول، ويقال إنه أعطاه خمس آلاف درهم ورجع إلى المدينة، وفار قوم منه صلحه بأدرج في حمادى الأولى وأحد مائة ألف دينار، روى ذلك كله الدولابي وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام؛ روى لشعبي قال أن شهدت حطة لحسن - يعني حين سلم لأمر بن معاوية - قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أم بعد، إن أكيس الكسب التقى وأحق لحق العجور، وإن هذا الأمر الذي احتلفت فيه أنا ومعاوية به هو حق لأمرئى كان أحق بحقه مني أو حق لي تركته لمعاوية إرادة لصالح الأمة وحقق لدعائهم، وإن أدري لعله فتة لكم ومنتاع إلى حين» (حسن حلکان، وفيات الأعيان، 151)

واستعمل على الكوفة المعيرة بن شعة وعلى البصرة عبد الله بن عامر، ثم جمعهما لرياء» .

رواية البويري، برأينا، هي الأوضح والأكمل «كان علي بن أبي طالب عليه السلام قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت، وبجهر لقصد الشام لقتال معاوية فقتل قبل ذلك. فلما بايع الناس الحسن تجهز بهذا الجيش، وسار من الكوفة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، ودلت عندما بلغه سير معاوية إليه في أهل الشام. ووصل الحسن إلى المدائن، وجعل قيس بن سعد بن عباد على مقدمته في اثني عشر ألفاً، وقيل. بن كان الحسن قد جعل على مقدمته عبيد الله بن عباس، فجعل عبيد الله على مقدمته في الطلائع قيس بن سعد ووصل معاوية مسكين. فلما نزل الحسن المدائن نادى ما دى في العسكر. ألا إن قيس بن سعد قتل فامروا فنفروا. وأتوا سراذق الحسن، وانتهوا ما فيه، حتى دارعوه ساطعاً كان تحته، وأخذوا زداءه من طهره، ووثب عليه رجل من الخوارج من بني أسد يقال له ابن أقيصر فخنجر مسموم فطعنه به في إبطه، ووثب الناس على الأسدي فقتلوه فإرداد لهم بعضاً ومهم دعراً، ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان الأمير على المدائن سعد بن مسعود الثقفي، عم المختار بن أبي عبيد، فقال له المختار وهو شاب هل لك في العى والشرف؟ قل. وما دالك؟ قل: تستوثق من الحسن وتستأمن به إلى معاوية. فقال له عمه. «عليك لعة الله! أثبت على ابن سب رسول الله وأوثقه؟ شئ الرجل أنت!» فلما رأى الحسن عليه السلام تفرق الناس عنه كتب إلى معاوية وشرط شروطاً، وقال إن أعطيني هذا فأنا سامع مطيع، وعليك أن تعمي لي به. وقل لأخيه

الحسين وعبد الله ابن جعفر: إني قد أرسلت إلى معاوية في الصلح. فقال له الحسين: أئشدك الله أن لا تصدق أحدوثه معاوية وتكذب أحدوثه أبيك! فقد له الحسن: اسكت أنا أعلم بالأمر منك. فلما انتهى كتاب الحسن إلى معاوية أمسكه، وكان قد أرسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن جندب إلى الحسن قبل وصول الكتاب إليه، ومعهما صحيفة، بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه: أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك. فلما أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك، وأمسكها عنده. فلما سلم الحسن عليه السلام الأمر لمعاوية، طلب الحسن أن يعطيه الشروط التي شترطها في الصحيفة التي ختم عليها معاوية فأبى ذلك، قال: قد أعطيتك ما كتبت تطلب. قال: ولما اصطالحا قام الحسن عليه السلام في أهل العراق فقال: «يا أهل العراق إنه سخي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي». قال: وكان الذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف. وقيل: سبعة آلاف ألف وخراج داره بجرد من فارس وأن لا يشتم علي⁽¹⁾. فلم يجبه إلى الكف عن شتم

(1) «معاوية استعمل المنيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلما أمره عليها دعاه وقال له: لا تترك شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، ولعب لأصحاب علي والإقصاء لهم، والإطراء بشعبة عثمان والإذناء لهم (اس الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 630). أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1192، البلاذري، أنساب الأشراف، 584؛ 662. «وكان حذر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحُمق الخراعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المنيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون علياً على المنبر، يقومون فيردون المنع عليهم. ويتكلمون في ذلك» (اليقوي، تاريخ اليعقوبي، 200)؛ نال بُسْرُ بن أَرْطَاطُ من علي بن أبي طالب عند معاوية، وزيد بن عمر بن الخطاب جالس، فعلاً بُسْرُ أصره حتى

علي، فطلب أن لا يشتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك، ثم لم يف له به أيضاً. فأما حراج دار بجرد فإن أهل البصرة منعوه منه وقالوا: هو فيشأ، لا

شَئَهُ. ولما مات الحسن بن علي خَجَّ معاوية، فدخل المدينة وأراد أن يدفن عبداً عن منبر رسول الله صلى عليه وسلم. فقيل له: إن هاهنا سعد بن أبي وقاص، ولا نراه يرضى بهذا، فابعت إليه وخذ رايه. فأرسل إليه وذكر له ذلك. فقال: إن عدت لأخرج من المسجد، ثم لا أعود إليه. فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد فلما مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عماله أن يلغوه على المنابر، ففعلوا فكتبتم أم سلمة زوج النبي صلى عليه وسلم إلى معاوية. إنكم تلعن الله ورسوله عن منابركم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها. (ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 267)، «وحسبك من ذلك أنهم كانوا يلغون علياً عليه السلام على منابرهم. فلما نبى عمر عن ذلك عد محسناً... وهذا الشعر يدل على أن شتم علي عليه السلام قد كان لهم عادة، حتى مدح من كف عنه، ولما ولي خالد بن عبد الله القسري مكة - وكان إذا خطب بها لعن علياً والحسن والحسين عليهم السلام... قال المغيرة وهو عامل معاوية يومئذ لصعصعة بن صوحان: قم فلعن علياً، فقام فقال: إن أميركم هذا أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله! وهو يصمر المغيرة. وأما عبد الملك... رأى من أبلغ التدبير في منع بني هاشم الخلافة أن يلعن علي بن أبي طالب عليه السلام على منابرهم، ويرمي بالمجور في محاسنهم» (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1645)، «جمع عبد الله بن عروة عنه، ثم قال: إن بني أمية من عهد معاوية إلى اليوم يهدمون بشرف علي، فلا يزيده الله إلا شرفاً وفصلاً ومحبة في قلوب المؤمنين، يا سي، فلا تشتموا علياً» (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1807)، «عن عتشة بنت سعد. أن مروان بن الحكم كان يعود سعد بن أبي وقاص، فقال ويلك يا مروان، أنه طاعتك - يعني أهل الشام - عن شتم علي بن أبي طالب فعصب مروان، فقام وحرر معضباً» (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3246) «شتم رجل معاوية عند عمر بن عبد العزيز، فأمر بضربه ثلاثة أسواط» (البلاذري، أنساب الأشراف، 1081)، «لما قام السفاح قال له أحمد بن يوسف: لو أمرت بلعن معاوية على المنابر كما سأل اللعن على علي عليه السلام» (الزعروري، وبيع الأبرار، 170)، «كتب من جعيل شاعر مفلق في أول الإسلام وهو أقدم من الأخطل والقطامي وقد لحق به وكان معه وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام يمدحهم ويرد عليهم ويرثي مودعهم ويذم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام» (المرزباني، معجم الشعراء، 73)

بعضيه أحداً وقيل: كان منعهم بأمر معاوية أيضاً. وقيل: إن معاوية أخرى على الحسن عليه السلام بعد ذلك في كل سنة ألف ألف درهم. وتسلم معاوية الأمر لحمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين. وقيل: في شهر ربيع الآخر. وقيل: في جمادى الأولى في النصف منه. وقيل: إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية؛ لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعدوة والصبر بالجزع، وكتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أما دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيين: قتيلى بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفه، فإذا أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، فإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا». فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية، فأمضى الصلح⁽¹⁾.

ثمة تفاصيل تنقصها الرواية السابقة: «قال المدائني: ولما توفي علي عليه السلام قام عبد الله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس، فقال: إن أمير المؤمنين عليه السلام توفي، وقد ترك خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد على أحد، فبكى الناس، وقالوا: بل يخرج إلينا، فخرج الحسن عليه السلام، فخطبهم⁽²⁾ فقال: أيها الناس، اتقوا الله، فإن أمرؤكم

(1) السري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2384.

(2) «قام الحسن بعد موت أبيه أمير المؤمنين» فقال:.... إنا والله ما ثننا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فسلبت السلامة بالعدوة،

وأولباؤكم، وإنا أهل البيت الذين قال الله تعالى فينا: «إنما يريد الله ليهدي بعنابكم» فباعه الناس. ثم وخته عبد الله بن عباس ومعه قيس بن سعد بن عبادة مقدمة له في اثني عشر ألفاً إلى الشام، وخرج وهو يريد المدائن، فطعن بساباط وانتهب متاعه، ودخل المدائن، وبلغ ذلك معاوية، فأشاعه، وجعل أصحاب الحسن الذين وجههم مع عبد الله يتسللون إلى معاوية، الوجوه وأهل البيوت. فكتب عبد الله بن العباس بذلك إلى الحسن عليه السلام فخطب الناس ووبخهم، وقال: خالفتكم أبي حتى حكم وهو كاره، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم، فأبيتُم حتى صار إلى كرامة الله، ثم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني، وتحاربوا من حاربنني⁽¹⁾، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية، وبايعوه، فحسبي منكم، لا تغروني من ديني ونفسي. كتب ابن العباس إلى الحسن: أما بعد فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد علي عليه السلام،

والصخر بالخرج، وكنتم في متدبكم إلى صفين ودينكم أمام ذنباكم، فأصبحتم اليوم وديناكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولمن لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلى، قتيلى بصعين يكون له، وقتيلى بالنهروان تطلبون ثأره، فأما الباقي فحاذل، وأما الباقي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا، فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية، فلما أمردوه أمضى الصلح» (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 261).

(1) «وخطب الحسن أهل العراق وقال سخطى نفسي عنكم ثلاث. قتل أبي وطعني وانتهاج بيتي، ثم قال ألا وقد أصبحتم بين قبيلتين، قبيل بصعين يكون له، وقبيل بالنهروان يطلون ثأره. وأما الباقي فحاذل وأما الباقي فثائر. وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا. فناداه الناس من كل جانب لبقة البقية فأمضى الصلح. ثم بايع لمعاوية لسته أشهر من بيعته، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس». (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 748).

فشمّر للحرب، وجاهد عدوك، وقارب أصحابك، واشتر من الطنين دينه بما لا يثمن لك ديناً، ووال أهل البيوتات والشرف، تستصلح به عشائهم، حتى يكون الناس جماعة، فإن بعض ما يكره الناس - ما لم يتعد الحق، وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل، وعز الدين - خير من كثير مما يحبه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور ودل المؤمنين، وعرف الفاحرين، واقتد بما جاء عن أئمة العدل، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس، فإن الحرب خدعة، ولك في ذلك سعة إذا كنت محارباً، ما لم تبطل حقاً⁽¹⁾.

في نصر آخر، نقرأ: «في ربيع الآخر سار أمير المؤمنين الحسن بن علي في جيوشه يقصد معاوية. وسار معاوية في جيوشه. فدخل العراق وتنازل الجمعان بمسكن من ناحية الأنبار. فرأى الحسن من عسكره الاختلاف عليه وقلة الخير. وكان سيداً وادعاً لا يرى سفك الدماء. واتفق أنه وقع في معسكره هوشة وخبطة، ووقع النهب حتى إنهم نهبوا فسطاطه، وضربه رحل من الخوارج بخنجر مسموم في إلبته فخدشه. فتألم ومقت أهل العراق. ورأى الصلح أولى... فراسل معاوية وشرط عليه شروطاً بادر إليها معاوية بالإجابة، ثم سلم إليه الخلافة، على أن تكون الأمر من بعده للحسن، وعلى أن يمكنه أخذ ما شاء من بين المال ليقضي به دينه وعداته وغير ذلك⁽²⁾. [وروي] أن أهل العراق بايعوا

(1) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1668.

(2) معاوية: «إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي، ولك عهد الله وميثاقه وذمته ودعة رسول الله ﷺ وأشد ما أخذه الله على أحد من حلقه من عهد وعقد، لا أعيبك عائلة ولا مكروهاً، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج فسا، ودر أبجد، تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدا لك

الحسن، وسار بهم نحو الشام. وجعل على مقدمته قيس بعد سعد وأقبل معاوية حتى نزل منبج. فبينما الحسن بالمدائن إذ نادى مناد في عسكره: قتل قيس بن سعد⁽¹⁾. فشد الناس على خيمة الحسن فنهوه.

فلما فرأ الحسن الكتاب قال: يطمعني معاوية في أمر لو أردت لم أسلمه إليه هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية ... على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة به وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذرياتهم، وعلى أن لا يبغي الحسن بن علي عائلة سرا ولا علانية، ولا يخيف أحدا من أصحابه. (البلادري، أنساب الأشراف، 386).

(1) وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال: نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلالة فقال له الناس: طاعة الإمام أولى. وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف. فلما دخل معاوية الكوفة أشد عليه عمرو بن العاص أن يقيم الحسن للناس خطيباً ليدلو للناس عيه، فلما قدم حمد الله وقال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقق دماءكم بأخونا وإن هذا الأمر مدة، وإن الدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه: «وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين» فقال له معاوية: إجلس وعرف أنه خدع في رأيه. .. وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة، وكان معاوية قد بعث عبد الله بن عامر في جيش إلى عبيد الله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه فلقبه ليلاً وأمنه وسار معه إلى معاوية فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد، وتعافدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعته علي على دماهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة. وبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله، فقتل معاوية: يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه، ثم بعث إليه بصحيفة حتم في أسفلها وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك: فكتب قيس له ولشيعته الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل مالا، فأعطاه معاوية ذلك لك وبإيعه قيس والشيعه الذين معه. ثم جاء سعد بن أبي وقاص فبايعه واستقر الأمر معاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة إحدى وأربعين، وسمي ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك. ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم، فقاتلهم واستلحهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشرطناه في تأليمننا من أفراد الأخبار عن الدول أهل التحل دولة دولة وطانة طائفة. (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 748).

وطعمه رحل بخنجر، فتحول إلى القصر الأبيض، وصيهم وقال: لا خير فيكم قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا. ثم كتب إلى معاوية على أن يسلم إليه بيت المال، وأن لا يسب علياً بحضرته، وأن يحمل إليه حراج فسا ودار ابجد كل سنة. فأجابه. فكتب إليه أن أقل. فسار معاوية من مسج إلى مسكن في خمسة أيام. فسلم إليه الحسن الأمر، ثم سارا حتى دخلا جميعاً الكوفة. وتسلم الحسن بيت المال، وكان فيه سبعة آلاف ألف درهم⁽¹⁾، فاحتملها وتجهز إلى المدينة، وأجرى معاوية على الحسن في السنة ألف ألف درهم⁽²⁾. وقال عمرو بن دينار: لما توفي علي بعث معاوية عهداً. إن حدث به حدث [مات] ليجعلن هذا الأمر إلى الحسن. وصح في البخاري عن الحس البصري قال: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال. فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى يقتل أقرانها. فقال له معاوية، وكان والله خير الرجلين: أي عمرو. إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم وضعفتهم؟ فبعث إليه برجلين: عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز في الصلح⁽³⁾.

يقال إن الحسن «كان يوم [معركة] الجمل... يكره القتال ويشير على أبيه بتركه. وبويع بعد قتل أبيه بالخلافة، بإيعه أهل الكوفة، وكانوا تسعين

(1) نابع الحسن من علي معاوية عظام وأعطاه معاوية مائتي ألف دينار. (محمد بن عبد المعمر الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 10).

(2) ثم اشترط عليه شروطاً قبلها معاوية وحملها له قيل أنه أخذ منه مائة ألف درهم وقيل أربع مائة ألف دينار وقيل أنه شرط عليه أن يمكنه بها في بيت مال المسلمين فمكنه (الحسين بن محمد الوريثاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، 323).

(3) الذهبي، العبر في خبر من عبر، 8.

ألفاً أو سحوا، وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه، فبقي فيها ستة أشهر أو سبعة أو نحو ذلك... وكان أهل العراق قد خذلوه في قتل معاوية، وهب سرادقه، وطقن بختجر، فكتب إلى معاوية بالصلح، فقدم عليه، وبايعه.. ولم يحمل إليه الخراج.

وعرض للحسن رجل، فقال: يا مسود⁽¹⁾ وجوه المسلمين. وقال آخر: يا مسخم⁽²⁾ وجوه المؤمنين، وكان أصحابه يقولون: يا عار المؤمنين⁽³⁾. فيقول لهم: العار⁽⁴⁾، خير من النار⁽⁵⁾. ولما بايع الحسن معاوية، قال عمرو

(1) قدم ربح إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية. فقال: سودت وجوه المؤمنين، أو: يا مسود وجوه المؤمنين، فقال لا تؤنبي، (ابن الأثير المؤرخ، أسد العادة، 261).

(2) أتى مالك بن ضمرة الحسن بن علي فقال: السلام عليك يا مسخم وجوه المؤمنين، قال: يا مانت، لا تقل ذلك، إني لما رأيت الناس تركوا ذلك إلا أهله حشبت أن يمتنوا عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين في الأرض ناع، فقال: بأبي أنت وأمي «ذرية بعضها من بعض». قال حبيب بن نعيم الحضرمي. قلت للحسن بن علي: إن الناس يرغمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جهاجم العرب بيدي، يسلمون من سائت، ويحاربون من حارث، فتركها ابتغاء وجه الله ثم أثيرها بأتناس أهل الحجاز؟! (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907).

(3) فكان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار أمير المؤمنين!! فيقول: العار خير من النار. (ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 225).

(4) أتى مالك بن ضمرة الحسن فقال: السلام عليك يا مسخم وجوه المؤمنين فقال لا تقل هذا وذكر كلاماً يعتد به ﷺ وقال له آخر يا مذل المؤمنين! فقال لا ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك. عبد الرحمن بن جبير بن نعيم عن أبيه قلت للحسن: يقولون إنك تريد الخلافة فقال كانت جهاجم العرب في يدي يسلمون من سائت ويحاربون من حارث فتركها لله ثم ابتزها بأتياس الحجاز؟. رواه الطيالسي في «مسند» عن شعبة عن يزيد بن خير فقال مرة: عن عبد الرحمن بن نعيم عن أبيه. قال ابن أبي حاتم في «العلل» وهذا أصح. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 327)؛ قيل للحسن بن علي - ﷺ - لما صالح معاوية: يا عار المؤمنين. فقال: العار خير من النار. (أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 89).

(5) كما مقدمة الحسن بن علي اثنا عشر ألفاً بمسكن مستعيتين تقطر أسافنا من الحد على

من العاص وأبو الأعور السلمي: لو أمرت الحسن، قصعد المسر، فتكلم

قتال أهل الشام وعلينا أبو العمرطة فلما جاءنا صلح الحسن بن علي كأنه كسرت ظهورنا من العيظ فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قال: له رجل منا يقتل له: أبو عامر سفين بن اللبيل السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال: لا تقل ذلك يا أبا عامر لست بمذل مؤمنين ولكن كرهت أن أقتلهم على الملك. وقال عبد الرحمن جبر بن نغير عن أبيه قتل للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سألته ويحاربون من حاربت فتركها ابتغاء وجه الله ثم ابتزها بأتياس أهل الحجاز؟! (المري، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 575).

(1) أبو الحسن المدائني قال: سألت معاوية الحسن بن علي بعد الصلح أن يخاطب الناس، فامتنع، فهاشده أن يفعل، فوصح له كرسي، فجلس عليه، ثم قال: الحمد لله الذي توحيد في ملكه، وتعدد في رويته، يؤي الملك من يشاء، وينزع عمن يشاء. والحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشرك أولكم، وحقق دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم فديها وحديثنا أحسن اللاء، إن شكرتم أو كفرتم. أيها الناس، إن رب عبي كن أعلم بعلي حين قبضه إليه، ولقد أختصه بفصل لم تعتادوا مثله، ولم تعبدوا مثل سابقته، فهيهات هيهات! طائفا قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم وهو صاحبكم، وعدوكم في بدر وأخواتها، جرعكم ريقا، وسقاكم علقا، وأذرب رقابكم، وأشرقتكم بريقكم، فليست بملومين على بعضه. وأيم الله لا ترى أمة محمد خفف ما كانت سادتهم وفادتهم في بني أمية، ولقد وجه الله إليكم هنة لن تصدوا عنها حتى تهلكوا، لطاعتكم طواعيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فسد الله أحسن ما معي وما ينظر من سوء دعيتكم، وخيف حكمكم. ثم قال: يا أهل الكوفة لقد فارقتكم بالأمس سهم من مرامي الله، صائب على أعداء الله، نكال على فجار قريش، لم يرب أحدنا محاربا، جاثما على أنفاسها، ليس بالملومة في أمر الله، ولا بالسروقة لئال الله، ولا بالبروق في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعرائمه، دعاه فأجاب، وقاده فدعاه، لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته. ثم نزل. فقال معاوية أحطأ عجل أو كاد، وأصاب مثبت أو كاد، ماذا أردت من خطبة الحسن! (س أبي الحديد، شرح النهج، 1671؛ أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبين، 13).

فإنه عبي⁽¹⁾ في المنطق فيزهد فيه الناس فقال معاوية: لا تفعلوا⁽²⁾، هو الله
لقد رأيت رسول الله ﷺ يمض لسانه وشفته، ولن يعي لسان مصه رسول
الله ﷺ، أو شفة⁽³⁾.

(1) ولما دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس قال عمرو بن العاص لمعاوية. لتأمر الحسن
ليحطب، فقال: لا حاجة بنا إلى ذلك، قال عمرو: لكنني أريد ذلك ليسد عيه، فإنه
لا بدري هذه الأمور، فقال له معاوية: قم يا حسن فكلّم الناس فيها جرى بيننا، فقام
الحسن في أمر لم يرو فيه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال في بديته: أما بعد، أيها الناس،
فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، ألا إن أكيس الكيس التقى، وإن أعجز
العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلف أنا ومعاوية فيه: إما أن يكون أحق به
مني، وإما أن يكون حقي تركته الله عز وجل، ولإصلاح أمة محمد ﷺ حقن دماءكم،
ثم التفت إلى معاوية وقال: «وإن أدري لعله فتنة لكم ومناخ إلى حين» فأمره معاوية
بالتزول، وقال لعمرو: ما أردت إلا هذا (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 261).

(2) لما دخل معاوية الكوفة حين سلم الأمر إليه الحسن بن علي كلم عمرو بن العاص
معاوية أن يأمر الحسن بن علي فيحطب الناس فكره ذلك معاوية؛ وقال: لا حاجة بنا
إلى ذلك! قال: عمرو ولكنني أريد ذلك ليسد عيه فإنه لا بدري هذه الأمور ما هي لم
يزل بمعاوية حتى أمر الحسن أن يحطب وقال له قم يا حسن وكلّم لناس فيها جرى
بيننا. فقام الحسن فتشهد وحمد الله وأثنى عليه ثم قال في بديته أما بعد أيها الناس فإن
الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وإن الله عز
وجل يقول: «وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون أنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما
تكتُمون إن أدري لعله فتنة لكم ومناخ إلى حين». الأنبياء. 109: 111. منها قلنا قال له
معاوية اجلس فجلس ثم قام معاوية فخطب الناس ثم قال لعمرو هذا من رأيك.
... عن الشعبي قال لما جرى الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية قال له معاوية قم
فخطب الناس واذكر ما كنت فيه

فقام الحسن فخطب فقال الحمد لله الذي هدى بنا أولكم وحقن بنا دماء آخركم ألا إن
أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية
إما أن يكون كان أحق به مني وإما أن يكون حقي تركته الله ولإصلاح أمة محمد ﷺ
وحقن دماؤهم قال ثم التفت إلى معاوية فقال: «وإن أدري لعله فتنة لكم ومناخ إلى حين»
الأنبياء 111. ثم نزل. فقال عمرو لمعاوية ما أردت إلا هذا. (ابن عبد البر، الاستيعاب في
معرفة الأصحاب، 115)؛ راجع: البلاذري، أنساب الأشراف، 389.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 1662.

«بايع أهل العراق بعد علي، الحسن بن علي، فسار إلى أهل الشام وفي مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً يسمون شرطة الجيش فنزل قيس مسكن من الأنبار ونزل الحسن المدائن فنادى مناد في عسكر الحسن: ألا إن قيس بن سعد قتل!! فوقع الانتهاب في العسكر حتى انتهبوا فسطاط الحسن، وطعمه رجل من بني أسد بخنجر... فقال عبد الله بن جعفر: قال الحسن: إني رأيت رأياً أحب أن تتابعني عليه؛ قلت: ما هو؟ قال: رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي الأمر لمعاوية فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت السبل! قال: فقلت له: جزاك الله خيراً عن أمة محمد! فبعث إلى حسين فذكر له ذلك فقال: أعينك بالله فلم يزل به حتى رضي.... جمع الحسن رؤوس أهل العراق في هذا القصر - قصر المدائن - فقال: إنكم قد بايعتموني على أن تسالموا من سالمتم وتحاربوا من حاربتم وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا»⁽¹⁾⁽²⁾.

«وسلم الأمر الحسن إلى معاوية في النصف من جمادى الأولى من

(1) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 225.

(2) لما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة حين جاءه ابن عامر وابن سمرة يكتب الصبيح وقد أعطاه فيه معاوية ما أراد، خطب فقال في خطبته: «وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً»، وسار إلى الكوفة، فلقى معاوية بالكوفة فبايعه، وبايعه عمرو بن سلمة المحدثاني، فقال له معاوية: يا حسن - أو يا أبا محمد - قم فاعتذر، فبقي، فأقسم عليه فقام... إن معاوية نازعني حقاً هو لي فركته لصالح الأمة وحق دمائها، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمتم، وقد رأيت أن أسأله وقد دبعته، ورأيت أن ما حق الدماء خير مما سمعها،... وإما لحور حق بي التمسيت به صلاح أمر أمة محمد، البلاذري، أنساب الأشراف، 386؛... ولما بايع الحسن معاوية خطب الناس قبل دخول معاوية الكوفة فقال: أيها الناس، إنما نحن أمراؤكم وصيماؤكم، وبحر أهل بيت بينكم الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهير، وكرر ذلك حتى ما بقي إلا من بكى حتى سمع نسيجه. (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 261)

سنة إحدى وأربعين فبايع الناس معاوية حيثئذ ومعاوية يوعند أس ست وستين إلا شهرين... ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلم الخلافة لمعاوية حياته لا غير ثم تكون له من بعده وعلى ذلك انعقد بينهم ما انعقد في ذلك ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها وإن كان عند نفسه أحق بها»⁽¹⁾.

«وبويع بالخلافة يوم اجتماع الحكمين، وقيل ببيت المقدس بعد قتل علي، وبويع البيعة التامة لما خلع الحسن نفسه، وسلم الأمر إليه، واستمر معاوية في الخلافة»⁽²⁾.

«فأرسل إليه الحسن يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده وعلى أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضي عنه ديونه... فكان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين! فيقول: العار خير من النار! وقال له رجل: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال: لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك... قال: قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت فتركتهما ابتغاء وجه الله وحقق دماء أمة محمد ﷺ ثم أبترها بأتياس أهل الحجاز.... أضاق الحسن بن علي وكان عطاؤه في كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية في إحدى السنين فأضاق إضاقاً شديدة... فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف»⁽³⁾.

(1) أس عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115.

(2) أبو القلاء، المختصر في أخبار البشر، 127.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، 78؛ راجع: العصامي، سبط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 544.

«كانت البيعة للحسن بن علي بايعه أربعون ألفاً وقال: جرير اس حارم لما قتل علي بايع أهل الكوفة الحسن بن علي وأطاعوه وأحواه أشد من حهم لأبيه...» عن عمرو بن دينار أن معاوية كان يعلم أن الحسن كان أكره الناس للفتنة فلما توفي علي بعث إلى الحسن فأصلح الذي بينه وبينه سرّاً. فلم توثق منه الحسن قال: عبد الله بن جعفر والله إنني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب ثوبي وقال: يا هناه اجلس فجلست قال: إنني قد رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه قال قلت: ما هو؟ قال: قد

(1) قال جرير بن حازم: قتل علي فبايع أهل الكوفة الحسن وأحواه أشد من حب أبيه. وقال الكلبي: بويح الحسن فولياها سبعة أشهر وأحد عشر يوماً ثم ستم لأمر إلى معاوية. وقال عوانة بن الحكم: سار الحسن حتى نزل المدائن وبعث قيس بن سعد على المقدمات وهم اثنا عشر ألفاً فوقع الصائح: قتل قيس فنتهب الناس سر دق الحسن ووثب عليه رجل من الخوارج فطعمه بالخنجر فوثب الناس على ذلك فقتلوه. فكتب الحسن إلى معاوية في الصلح... أن أهل العراق لا بايعوا الحسن قالوا له: سر إلى هؤلاء الذين عصوا الله ورسوله وارتكبوا العظائم فسار إلى أهل الشام وأقبل معاوية حتى برل جسر منبج فيها الحسن بالمدائن إذ سدى سد في عسكره: ألا إن قيس بن سعد قد قتل فشد الناس على حجرة الحسن فنهبوه حتى انتهت بسطه وأخذوا رداءه وطمعته رجل من بني أمية في ظهره بخنجر مسموم في أليته فتحول ونزل قصر كسرى الأبيض، وقال: عليكم لعنة الله من أهل قرية قد علمت أن لا خير فيكم فقتلهم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا ثم كاتب معاوية في الصلح على أن يسلم له ثلاث خصال: يسلم له بيت المال فيقضي به دينه ومواعيده ويتحمل منه هو وآله ولا يسب علي وهو يسمع وأن يحمل إليه حراج وما ودر مجرد كل سنة إلى المدينة فأجابه معاوية وأعطاه ما سأل. ويقال من أرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل إلى معاوية حتى أخذ له ما سأل فكتب إليه الحسن أن أهل فأقل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام فسلم إليه الحسن الأمر وبايعه حتى قدما الكوفة ووقف معاوية للحسن ببيت المال وكان فيه يومئذ سبعة آلاف ألف درهم فاحتملها الحسن وتجهز هو وأهل بيته إلى المدينة وكف معاوية عن سب علي والحسن يسمع أجرى معاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 324).

رأيت أن أعمد إلى المدينة وأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء وقطعت فيها الأرحام وقطعت السبل وعطلت الفروج - يعني الثغور - فقال ابن جعفر جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خيراً فأنا معك على هذا الحديث فقال الحسن ادع لي الحسين فبعث إلى الحسين فأناه فقال أي أخي إني قد رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه قال: ما هو؟ فقص عليه الذي قص على ابن جعفر قال: الحسين أعيدك بالله أن تكذب علياً في قبره وتصدق معاوية فقال الحسن والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد علي وأنت خليفته وأمرنا لأمرك تبع فأفعل ما بدالك⁽¹⁾.

معاوية والحسن: الدافع المادي

يقال إن معاوية «توفي وله من الأموال التي استصفاها من مال كسرى وقبصر خمسون ألف ألف درهم»⁽²⁾؛ أما عامله زياد فقد «كان يجبي من كور البصرة ستين ألف ألف، فيعطي المقاتلة من ذلك ستة وثلاثين ألف ألف، ويعطي الذرية ستة عشر ألف ألف درهم، وينفق في نفقات السلطان ألفي ألف، ويجعل في بيت المال للبوائق والنواب ألفي ألف درهم، ويحمل إلى معاوية أربعة آلاف درهم. وكان يجبي من الكوفة أربعين ألف ألف، ويحمل إلى معاوية ثلثي الأربعة الآلاف ألف لأن جباية الكوفة ثلث

(1) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 276.

(2) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 330.

حباية البصرة. وحمل عبيد الله بن زياد إلى معاوية ستة آلاف ألف درهم فقال: اللهم ارض عن ابن أخي. قال المدائني: كان المقاتلة بالبصرة حين قدم زيد أربعين ألفاً فبلغ بهم ثمانين ألفاً، وكانت الفرية ثمانين ألفاً فبلغ بهم عشرين ومائة ألف، ويقال إن ابنه فعل ذلك⁽¹⁾. «ومات زيد بالكوفة سنة ثلاث وخمسين من الهجرة وذلك أنه كان غشوماً ظلوماً هصوماً جبي العراق مائة ألف ألف وجعل يخطب الحجاز ويهدد أهله بالقتل وكتب إلى معاوية إنني قد صبغت العراق بيميني وشمالي فارغة فضم إليه الحجاز»⁽²⁾.

لعب المال دوراً هاماً في العلاقة بين القطبين المتنافسين، معاوية الحسن؛ يقال في أحد المراجع «من أجواد الصحابة معاوية بن أبي سفيان! قال عبد الله بن عمر: ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أجود من معاوية؛ وهو أول من أعطى ألف ألف في صلة، وكان يعطيها للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ﷺ»⁽³⁾.

«ولما قدم الحسن بن علي ﷺ ما على معاوية ﷺ فقال: لأجيزك بجائزة لم أجزها أحداً قبلك من العرب ولا أجيزها أحداً بعدك من العرب، قال: فأعطاه أربع مائة ألف درهم فأخذها... وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين ﷺ كانا يقبلان جوائز معاوية»⁽⁴⁾.

«وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة، فقلل الحسين بن علي لأخيه الحسن: لا تلقه ولا تسلم علي! فلما خرج معاوية،

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 654.

(2) المطهر بن طاهر المقدمي، البدء والتاريخ، 329.

(3) الطوطا، عمر الخصائص الواضحة، 136.

(4) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 485.

قال الحسن. إن علينا ديناً فلا بد لنا من إتيانه؛ فركب في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه، فمروا عليه ببخي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الإبل وقوم يسوقونه، فقال معاوية: ما هذا؟ فذكر له، فقال اصرفوه بما عليه إلى أبي محمد⁽¹⁾. وفي نص آخر: «فمروا سحتي عليه ثمانون ألف دينار، وهو يضلح وهم يُزجونه، فقال معاوية: ما هذا؟ قالوا: أعبي وعليه المال، ونحن نزجيه ليلحق، فقال: اصرفوه إلى أبي محمد، فدفعه إليه وعليه ثمانون ألف دينار»⁽²⁾.

وحبس معاوية عن الحسين بن علي عليه السلام، فقبل: لو وجهت إلى ابن عمك عبد الله بن عباس، فإنه قدم بنحو ألف ألف، فقال الحسين: وأني تقع ألف ألف من عبد الله، فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت، وأسخى من البحر إذا زخر، ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه، وضييق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم، فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه، وقال: ويلك يا معاوية أصبحت لين المهادر، رفيع العماد، والحسين يشكو ضيق الحال، وكثرة العيال؟ ثم قال لو كينه: أحمل إلى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب، وأخبره أنني شاطرته، فإن كفاه وإلا أحمل إليه النصف الثاني، فلما أتاه الرسول قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثقلت والله على ابن عمي، وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين.

«ودخل عليه الحسن [دخل على معاوية] يوماً وهو مضطجع على

(1) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 933.

(2) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، 27؛ أنظر: القاضي التنوخي، المستحاد من فعات الأحواد، 2.

سريره. فسلم عليه، وأقعدته عند رجله وقال: ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزعم أنني لست للخلافة أهلاً، ولا لها موضعاً؟ فقال الحسن: أواعجباً مما قلت؟ قال: كل العجب. قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسي عند رجلك، فاستحيا معاوية، واستوى جالساً، ثم قال: أقسمت عليك يا أبا محمد ألا ما أخبرني كم عليك ديناً؟ قال: مائة ألف درهم، فقال يا غلام: اعط أبا محمد ثلاثمائة ألف يقضي بها دينه، ومائة ألف يفرقها على مواله، ومائة ألف يستعين بها على نوائبه، وسوغها إليه الساعة⁽¹⁾.

«فارق الحسن بن علي في كل سنة ألف ألف درهم، ويقال ألفي ألف درهم، فأعطاه معاوية ما جعل له، فما رام دمشق حتى قسم ذلك أو أكثره، فقبل له: أسرفت، فقال: والله لولا لذة الاعطاء واكتساب المحامد ما باليت ألا أكتسب المال وألا أرى معاوية ولا يراني». البلاذري، أنساب الأشراف، 386

«قدم الحسن بن علي على معاوية فقال له: لأجيزك بجائزة لم يجزها أحد كان قبلي، فأعطاه أربعمائة ألف ألف⁽²⁾. ووعد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتي ألف، وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي. فقال له الحسين: ولم تعط أحد أفضل مما... أرسل الحسن بن علي، وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال، فبعث إليهما - أو إلى كل منهما - بمائة ألف، فبلغ ذلك علياً فقال لهما: ألا تستحيان؟ رحل نطعن في عينه غدوةً وعشيةً تسألانه المال؟ فقالا: بل حرمتنا أنت وجد

(1) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 164.

(2) راجع ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 225.

مولد وروى الأصمعي قال: وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله، وأمر له بثلاثمائة ألف وقال أبو مروان المرواني: بعث معاوية إلى الحسن بن علي بمائة ألف فقسمها على جلسائه، وكانوا عشرة، فأصاب كل واحد عشرة آلاف⁽¹⁾.

بعث معاوية إلى الحسن بن علي، أو الحسين بن علي عليه السلام، ودعا بضاربة سياط، فوضعها بين يديه، فلما دخل الحسن عليه السلام أخذ السياط فرمى بها، ومد يده إليه، وقال: مرحباً بسيد شباب فريش ودعا بعشرة آلاف دينار⁽²⁾.

قال الأصمعي: عرضت على معاوية جارية، فأعجبته، فسأل عن ثمنها، فإذا ثمنها مئة ألف درهم، فابتاعها، ونظر إلى عمرو بن العاص، وقال: لمن تصلح هذه الجارية؟ فقال: لأمر المؤمنين، ثم نظر إلى غيره فقال له ذلك، قال: لا، فقبل: فلمن؟ قال: للحسين بن علي بن أبي طالب، فإنه أحق بها، لما له من الشرف، ولما كان بيننا وبين أبيه، فأهداها له، فأمر من يقوم عليها. فلما مضت أربعون يوماً حملها وحمل معها أموالاً عظيمة، وكسوة، وغير ذلك، وكتب: إن أمير المؤمنين اشترى جارية، فأعجبته، فأترك بها. فلما قدمت على الحسين بن علي بن أبي طالب أعجب بجمالها⁽³⁾.

قال المدائني⁽⁴⁾: خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر - رضوان

(1) اس كثير، البداية والنهاية، 2992؛ انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابه في معرفة الصحابة، 225.

(2) القاضي استوخوي، الفرج بعد السدة، 40 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 80.

(3) ابن مطور، مختصر تاريخ دمشق، 3678.

(4) وخرج رضي الله تعالى عنه هو والحسنان، وأبو دحية الأنصاري رضي الله تعالى

الله عليهم - حجاجاً، ففانتهم أثقالهم، فجاعوا وعطشوا، فمروا بعحور في خباء لها، فقالوا: هل من شراب؟ قالت: نعم. فأناخوا إليها، وليس لها إلا شويهة، فقالت: احتلبوها وامتدقوا لبنها، ففعلوا. وقالوا: هل من طعام؟ قالت: لا، إلا هي، فليذبحها أحدكم حتى أصنعها لكم، فذبحها أحدكم، فمشوا وأككوا، وقالوا عندها حتى أبردوا. ثم قالوا: نحن نفر من قريش، نريد هذا الوجه، فإذا انصرفنا سالمين فألمي بنا، فأنا صانعون بك خيراً. ثم رحلوا وأقبل زوجها فقالت: سمعت؟! فقال: لم أسمع! وخبرته الخبر، فأحال عليها ضرباً فشقها، ثم قال: تذبحين عتري لأعبد لا تدرين من هم، ثم يقولون: نفر من قريش؟! ثم ضرب الدهر ضربانه، واضطرت الحاجة إلى أن دخت هي وزوجها المدينة، فمرت العجوز يوماً تسوق حمراً لها تنقل عليه البعر تبعه - : إذ أبصرها الحسن بن علي - رضوان الله عليهما - فعرفها، فأمر من أتاه بها، فقال: أتعرفيني؟ قالت: لا، فذكر لها العز، فقالت: بأبي وأمي، إنك لأنت هو؟! قال: نعم، قال: أفما لقيت صاحبك؟ قالت: لا، فأمر من اشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة وأعطها ألف

عنهم من مكة إلى المدينة، فأصابتهم السماء بمطر، فليجأوا إلى حياء أعرابي، فأدعوا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء، فذبح لهم الأعرابي شاة، فلما ارتحلوا ذل عبد الله للأعرابي: إن قدمت المدينة، فسل عنا، فاحتاج الأعرابي بعد سبعين، فقالت له امرأته: لو أتيت المدينة، فلقيت أولئك العتيان، فقال: قد نسيت أسماءهم، فقالت: سل عن بني الطيار، فأتى المدينة، فلقي سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه، فأمر له بمائة مائة معجولها وورعاتها، ثم أتى الحسين رضي الله تعالى عنه، فقال: كعاد أبو محمد مؤونة الإبل، فأمر له بألف شاة، ثم أتى عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه، فقال: كعاد إعرابي الإبل والشياه، فأمر له بمائة ألف درهم. ثم أتى أنا دحية رضي الله تعالى عنه، فقال: والله ما عندي مثل ما أعطوك، ولكن اتني يابلنك، فأوقرها لك عمراً الأبيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 163.

ديدر. وبعث بها مع رسول إلى الحسين عليه السلام، فسأل عما فعل الحسن؟ فأعطاهم مثل ذلك. ثم بعث بها إلى عبد الله بن جعفر عليه السلام، فسأل عما أعطياهما؟ فأضعفه لهما، وقال: لو بدأت بي لأتعبتهما. فانصرفت إلى زوجها بأربعة آلاف دينار، وأربعة آلاف شاة⁽¹⁾.

مقتل الحسن - معاوية وجعدة بنت الشعث:

رغم كل ما تنازلات الحسن، فقد كان يبلغه «أن زياداً يتبع شيعة علي فيقتلهم فقال: اللهم تفرّد بموته فإن في القتل كهارة»⁽²⁾؛ «وكان معاوية قد أذكى العيون على شيعة علي عليه السلام يقتلهم أين أصابهم: فقتل حجر بن عدي وعمر بن الحمق في جملة من قتل»⁽³⁾.

كيف تُوفي الحسن؟

«قل الواقدي: مات سنة تسع وأربعين وقال المدائني: مات سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين وقال الهيثم بن عدي: سنة أربع وأربعين وقال ابن منده: مات سنة تسع وأربعين - وقيل خمسين وقيل سنة ثمان وخمسين ويقال: إنه مات مسموماً... عن عمير بن إسحاق: دخلت أنا وصاحب لي على الحسن بن علي فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي

(1) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، 33.

(2) «سلاخري، أنساب الأشراف، 674

(3) مطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 330.

وإني قد سقيت السم⁽¹⁾ مراراً فلم أسق مثل هذا⁽²⁾، وفي مرجع آخر: «قال قتادة: قال الحسن للحسين: قد سقيت السم غير مرة ولم أسق مثل هذه إني لأضع كبدي... كان الحسن كثير النكاح وقل من حظيت عنده وقل من تزوجها إلا أحبته وصبت به؛ فيقال: إنه كان سقي ثم أفلت، ثم سقي فأفلت، ثم كانت الأخيرة وحضرته الوفاة! فقال الطيب: هذا رجل قد قطع السم أمعاءه وقد سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلف لبعض خدومه أن يسقيه سمّاً... عن أم موسى أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى فكان توضع تحته طشت وترفع أخرى حوّاً من أربعين يوماً⁽³⁾»⁽⁴⁾.

(1) وروى أبو الحسن المدائني، قال: سقي الحسن ﷺ السم أربع مرات، فقال: لقد سقيته مراراً فما شق علي مثل مشقته هذه المرة. (ابن أبي الحديد، شرح السهج، 1663)؛ الحسن بن علي لما سقي السم، فقام لحاحه الإنسان ثم رجع، فقال: لقد سقيت السم على مرار فما سقيت مثل هذه، لقد لفظت طائفة من كبدي فأبنتني ألقبه بعود في يدي (المسعودي، مروج الذهب، 346)؛ قال عبد الله بن حسين: كان الحسن بن علي رجلاً كثير بكاح النساء، وكى قلباً يحطين عنده، وكان كل امرأة تزوجها إلا أحبته وصنت به، فيقال: إنه كان سقي، ثم أفلت ثم سقي فأفلت، ثم كانت الأخيرة توفي فيها. (أس منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907)؛ ولما اشتد مرضه قال لأخيه الحسين ﷺ: يا أخي سقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذه، إني لأضع كبدي. (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 261)؛ عن قتادة قال دخل الحسين على الحسن فقال يا أخي، سقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذه المرة إني لأضع كبدي (أسد الغابة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115)؛ ثم إنه شرب شربة عسل فمات منها، ويقال إنه سم أربع دفعات فمات في آخرها، (البلاذري، أنساب الأشراف، 389)، كما عُد الحسن اس علي فدخل المخرج ثم خرج فقال: سقيت السم مراراً وما سُقت مثل هذه مرة (البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 283).

(2) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 225.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 327.

(4) كن لابن الحسن في العلاقات الحسنة الدور الأهم في موته، ورد في بعض

في مزيد من التفاصيل حول جعدة وقتل الحسن، يُقال: «ومات الحسن مسموماً؛ يُقال إن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس سُمِّته دَسَّ

المراجع حول علاقته النسائية: «قال علي [بن أبي طالب]: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلق قد خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل». (لدهي، سير أعلام النساء، 324)؛ «كان الحسن بن علي رجلاً كثير نكاح النساء وكس قس ما يحطين عنده وكان قتل امرأة تزوجها إلا أحبته وصبت به فيقال: إنه كان سقي ثم أفلتت ثم سقي فأفلتت ثم كانت الأخيرة توفي» (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 575)؛ راجع لدهي، سير أعلام النساء، 327؛ «كان الحسن كثير التزوج، تزوج خولة بنت منظور بن ريان الفرارية، وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان، فولدت له الحسن بن الحسن، وتزوج أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، فولدت له أبا سناء طلحة، وتزوج أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري - واسم أبي مسعود عقبة بن عمر - فولدت له زيد بن الحسن، وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس، وهي التي سقت السم، وتزوج هنداً بنت سهيل بن عمرو، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر، وتزوج امرأة من كلب، وتزوج امرأة من بنات عمرو بن أتهم المقرري، وامرأة من ثقف، فولدت له عمراً، وتزوج امرأة من بنات علقمة بن زرارعة، وامرأة من بني شيبان من آل همد بن مرة، فقبل له: إنها ترى رأي الخوارج، مطلقها، وقال: إني أكره أن أضرب إلى نحري جرة من جمر جهنم. قال المدائني: وحطبت إلى رجل فزوجها، وقيل له: إني مزوجك، وأعلم أنك ملق طلق غلق، ولكنك خير الناس نسباً، وأرفعهم جداً وأباً.... قال المدائني: أحصيت زوجات الحسن بن علي فكان سبعين امرأة». (ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1668)؛ «قال عبد الله بن حسين: كان الحسن بن علي رجلاً كثير نكاح النساء، وكان قتلها يحظين عنده، وكان كل امرأة تزوجها إلا أحبته وصبت به». (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907). «تزوج الحسن كثيراً من النساء، وكان مطلقاً، وكان له خمسة عشر ولداً ذكراً، وثلاث بنات»، (أبو القداء، المختصر في أخبار البشر، 127)؛ «كان الحسن قتلها تفارقه أربع حرائر وكان صاحب صرائر وقيل علي بن الحسين كان مطلقاً وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه» (ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 276)؛ «كان الحسن... مطلقاً. قيل إنه أحسن سبعين امرأة، وقيل تفارقه أربع حرائر، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه». (الصفدي، الوافي بالوفيات، 1662)؛ «وكان له من الولد خمسة عشر ذكراً، وثلاث بنات» (ابن الجوزي، المنتظم، 652)؛ أنظر ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1663.

إليها معاوية أن تسمه. فإذا مات أعطاها أربعين ألفاً، وزوجها من يزيد؛ فلما مات الحسن وقى لها بالمال وقال لها: ... حاجة هذا ما صنعت بابن فاطمة، فكيف تصنع بابن معاوية؟ فخسرت وما ربحت. وهذا أمر لا يعمله إلا الله، ويحاشى معاوية منه، وقيل: إن يزيد دسّ إلى جعدة بذلك. وقد ذكر الخبرين أصحاب التواريخ⁽¹⁾.

يقول ابن حمدون مضيفاً تفاصيل أخرى: «جعل لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن بن علي مائة ألف درهم على أن تسمه، ومكث شهرين، وإنه ليرفع من تحته كذا.. طستاً من دم. وكان يقول: سقيت السم مراراً ما أصبني فيها ما أصابني في هذه المرة، لقد لقطت كيدي فجعلت أقلبها بعود كان في يدي»⁽²⁾.

ابن كثير يقدم تفاصيل مختلفة عما سبق: «كان معاوية قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سماً. [ثم يضيف]: عن أم موسى أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم، فاشتكى منه شكاة، قال: فكان يوضع تحته طشت ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً. [لكنه ينسب في حديث آخر المسألة ليزيد]: روى بعضهم: أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث: أن سمي الحسن، وأنا أترجك بعده. ففعلت، فلما مات الحسن، بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفترضاك لأنفسنا؟»⁽³⁾

(1) الري، الخوهرة في سبب النبي وأصحابه العشرة، 283.

(2) التذكرة الحمدونية، 1174؛ راجع: شمس الدين الشامي، سبل الهدى والرشاد في

سيرة خير العباد، 550.

(3) البداية والنهاية، 2928؛ راجع النص ذاته تقريباً: المزي، نقيب الكهول في أسوء

الرجال، 575؛ راجع أيضاً: ص 248.

بوافق الصفدي على أن يزيداً هو من طلب منها أن تقتله: «ثم [الحسن] إنه مات مسموماً؛ قيل إن زوجته جعدة⁽¹⁾ بنت الأشعث بن قيس، أمرها بدلت يريد بن معاوية لتكون ولاية العهد له»⁽²⁾.

السخاوي، من ناحيته، «فيما نقله ابن عبد البر عن قتادة، وأبي بكر بن حفص - إن زوجته [الحسن] جعدة بنت الأشعث بن قيس سمته نقرأ وكرهاً لها، بل قيل: بتدسيس السم إليها وبذله لها... قال [الحسن]: إني والله لقطعت طائفة من كبدي، وإني قد سقيت السم مراراً، فلم أسق مثل هذه قط»⁽³⁾.

(1) من أحل زواج الحسن بجعدة، نقرأ: «أخبرنا ابن عباس؛ قال: خطب أمير المؤمنين عبي بن أبي طالب على الحسن ابنه أم عمران بنت سعيد بن قيس الحمداني؛ فقال فوقى أمير دو مرة يعني أمها؛ فقال: قم فأمرها؛ فخرج من عنده ولقيه الأشعث بن قيس بلباب فأخبره الخبر؛ فقال: ما تريد إلى احسن يعمر عليها ولا ينصفه ويسيء إليها فيقول ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو ه؟ قال: ومن ذلك؟ قال محمد بن الأشعث قال: قد زوجته؛ ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين خطبت على الحسن ابنة سعيد؟ قال نعم قل: فهل كل في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حياً وأتم منها حالاً وأكثر مالا؟ قال: ومن هي؟ قال جعدة بنت الأشعث بن قيس؛ قال: قد قالوا رجلاً؛ قال: ليس إلى ذلك الذي قالته سيل؛ قال: إنه قد فارقتني ليوم أمها؛ فقال: قد زوجها من محمد بن الأشعث؛ قال: متى؟ قال: الساعة بالباب؛ قال: فروح الحسن جعدة فلما لقي سعيد الأشعث قال: يا أعور خدعتني؟ قال: أنت أعور خبيث حيث تستشيرني في بن رسول الله ﷺ ألسنت أحق؟ ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال: يا أبا محمد ألا ترور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشي والله إلا على أروية مومي!! فقدمت له كدة سحرية وحملت له أرويتها من بابه إلى باب الأشعث؛ (ابن الجوزي، لأذكيا، 16) راجع البلاذري، أنساب الأشراف، 380؛ المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 248؛ سعد الله الدجاني، سبط الملح، 24.

(2) الرواي بالوفيات، 1662.

(3) التحفة لطبعة في تاريخ المدينة الشريفة، 189؛ راجع ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 276.

يؤكد العصامي أن يزيد بعث لجعدة، «إن احتلت في قتل الحسن وحثت إليك مائة ألف درهم وتزوجتك، فكان هذا الذي بعثها على سمِّه. فلب مات وفي لها بالمال وأرسل إليها: إنا لم نرضك للحسن فكيف نرضك لأنفسنا؟!»⁽¹⁾.

الزمخشري، من ناحيته، يؤكد أن معاوية هو من دبر مكيذة قتله؛ لكنه يضيف أن «جعل معاوية لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مائة ألف حتى سمته»⁽²⁾.

البلاذري، بالمقابل، يضيف تفصيلاً صغيراً عن جعدة والحسن: «وأرغبها حتى سمته وكانت شائعة له؛ ثم يورد اسماً آخر غير جعدة، «قل الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرة امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ففعلت»⁽³⁾.

يجمع أبو الفداء، من ناحيته، الروايتين معاً: «قيل فعلت ذلك بأمر معاوية، وقيل بأمر يزيد بن معاوية»⁽⁴⁾.

يقدم المطهر بن طاهر المقدسي رواية أخرى، إلى جانب تلك السابقة، حول مقتل لحسن: «واختلفوا في سبب موته فزعم قوم أنه رج ظهر قدمه في الطواف بزج مسموم؛ وقال آخرون إن معاوية دس إلى جعدة بنت

(1) سمط السحوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 544؛ راجع أيضاً: السيوطي، تاريخ الخلفاء، 78؛ أساب الأشراف، 380.

(2) ربيع الأبرار، 438.

(3) أساب الأشراف، 389؛ راجع: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،

(4) المختصر في أخبار البشر، 127.

الأشعث بن قيس بأن تسم الحسن ويزوجها يزيد فسمته وقتلته؛ فقال لها معاوية. إن يزيد منا بمكان وكيف يصلح له من لا يصلح لابن رسول الله وعوصها منه مائة ألف درهم؛ ثم يضيف معلقاً: «كان معاوية قد أذكى العيون على شيعة علي يقتلهم أين أصابهم؛ فقتل حجر بن عدي وعمر بن الحنفية في جملة من قتل»⁽¹⁾.

ابن الأثير المؤرخ، لا يذكر إن كان معاوية هو المحرض أم يزيد، لكن القاتل هو جعدة⁽²⁾. وكان أيضاً معاوية قد قتل «سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين» بالطريقة ذاتها⁽³⁾. الخبر ذاته في مقاتل الطالبين مع إضافة حول جعدة: «وقيل: اسمها سكين، وقيل: شعناء، وقيل: عائشة، والصحيح في ذلك جعدة»⁽⁴⁾.

يقول ابن أبي الحديد: «ومات [الحسن] شهيداً مسموماً، دس معاوية إليه وإلى سعد بن أبي وقاص حين أراد أن يعهد إلى يزيد ابنه بالأمر»⁽⁵⁾. ورواه أيضاً أبو الفرج في مقاتل الطالبين⁽⁶⁾؛ قال: «ومات [الحسن] شهيداً مسموماً دس معاوية إليه وإلى سعد بن أبي وقاص - حين أراد أن يعهد إلى يزيد ابنه بالأمر بعده - سما فماتاً منه في أيام مثقاربة ». من ناحيته، يؤكد

(1) البدء والتاريخ، 330.

(2) أسد الغابة، 261.

(3) طهير الدين السيوطي، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، 20.

(4) أبو لمرح الأصمعي، مقاتل الطالبين، 13؛ راجع أيضاً: ابن العديم، نعيه الطلب في تاريخ حلب، 717؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 48؛ ابن الخطيب العمري، الرواح في أعلام النساء، 96.

(5) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1671.

(6) ص 50.

بن عساكر مقتل سعد بن أبي وقاص، وكان وقتها في الثالثة والثمانين من العمر، في أيام معدودة بعدما مضى من إمارة معاوية عشر سنين»^(١)

يضيف مرجع تفصيلاً بسيطاً لكنه هام حول جعدة: «وكان لها ضرائر»⁽²⁾.

يقول بن خلكان عن جعدة: «وخلف عليها رجل من قریش فأولدها غلاماً، فكان الصبيان يقولون له: يا ابن مسممة الأزواج»⁽³⁾.

وهكذا، فإن قول ابن خلدون (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 748). «وما ينقل من أن معاوية دس إليه [الحسن] السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك»، لا علاقة له بالواقع.

أراد الحسين أن يعرف هوية صاحب السم؛ قال للحسن: «أخبرني من سفاك، قال: لتقتله، قال: نعم، قال [الحسن]: ما أنا بمخبرك، إن يكن صاحبي الذي أظن فאלله أشد نعمة، وإلا فما أحب أن يقتل بي بري»⁽⁴⁾

(1) تاريخ 20: 365.

(2) البويري، هاية الأرب في فنون الأدب، 2410؛ راجع: ابن الجوري، المنتظم، 652؛ ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1663، 1668؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأساء طلعت الأعداء، 100؛ المسعودي، مروج الذهب، 346.

(3) وفيات الأعيان، 152؛ أنظر أيضاً: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907، ابن الجوري، المنتظم، 652.

(4) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1663؛ راجع: المسعودي، مروج الذهب، 346؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907؛ ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 261؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115؛ البلاذري، أسساب الأشراف، 380؛ المري، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 575؛ المري، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 575.

«فلما مات ورد البريد بموته على معاوية فقال يا عجباً من الحسن شرب شربة من غسل بماء رومة فقضى نحبه»⁽¹⁾. وفي نص آخر: «وروى أبو الحسن، قال: قال معاوية لابن عباس، ولقيه بمكة: يا عجباً من وفاة الحسن! شرب علة بماء رومة، فقضى نحبه، فوجم ابن عباس، فقال معاوية: لا يحزنك الله ولا يسوءك، فقال: لا يسوءني ما أبقاك الله! وأمر له بمائة ألف درهم»⁽²⁾. في نص ثالث، نقرأ: «لما كان قبل موت الحسن بن علي عليه السلام، كتب معاوية إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة أن أقبل المطي فيما بيني وبينك بخبر الحسن بن علي، قال فلم يلبث إلا يسيراً حتى كتب مروان بموته، وإن ابن عباس إذا دخل على معاوية أجلسه معه على سريره فأذن معاوية للناس فأخذوا مجالسهم، وجاء ابن عباس فلم يمهله معاوية أن يسلم حتى قال: يا ابن عباس! هل أتاك موت الحسن بن علي؟ قال: لا! قال معاوية: فإنه قد أتانا موته... وأظهر معاوية الشماتة بموت الحسن رضي الله عنه فقال قثم ابن عباس في ذلك:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ظاهر النخوة أن مات الحسن
رحمة الله عليه أنه طال ما أشجى ابن هند وأذن
فارتع اليوم ابن هند آمناً إنما يغمص بالعر السمن⁽³⁾
ويقال إن معاوية لما بلغه موته [الحسن] سمع تكبيراً من الحضور،
مكر⁴ أهل الشام لذلك التكبير فقالت فاخته زوجة معاوية. أقر الله عيبك

(1) اس عند الرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115.

(2) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1663.

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء طبقات الأطباء، 100.

(4) في نص آخر نقرأ: «وذكر أنه لما بلغ معاوية موت الحسن كثيراً، وكبر من كان في محبة معه وسمعت فاخته بنت قُرظة زوجة التكبير. فلما دخل عليها قالت له يا أمير

يا أمير المؤمنين، ما الذي كبرت له؟ قال: مات الحسن، قالت: أعلى موت
 اس فاطمة تكبر؟ قال: والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبي.
 وكان ابن عباس بالشام، فدخل عليه فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما
 حدث في أهل بيتك؟ قال: لا أدري ما حدث إلا أنني أراك مستبشراً وقد
 بلغني تكبيرك وسجودك، قال: مات الحسن. وكان [الحسن] أوصى
 لأخيه الإمام الحسين: إذا أنا مت فادفني مع رسول الله ﷺ إن وجدت
 إلى ذلك سبيلاً، وإن منعوك فادفني بقيق الغرقد، فلبس الحسين ومواليه
 السلاح وخرجوا ليدفنوه مع رسول الله ﷺ، فخرج مروان بن الحكم في
 بني أمية فمنعوه من ذلك... ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس
 المبرد أن مروان بن الحكم قال يوماً: إني مشغوف ببغلة الحسن، فقل له
 ابن أبي عتيق: إن دفعته إليك أنتقضي لي ثلاثين حاجة؟ قال: نعم، قال:
 فإذا اجتمع الناس عندك العشية فإني آخذ في مأثر قريش ثم أمست عن
 الحسن، فلمني على ذلك؛ فلما أخذ القوم مجالسهم أفاض في أولية
 قريش؛ قال له مروان: ألا تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد؟
 قال: إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبي
 محمد؛ فلما خرج ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم: ألك
 حاجة؟ قال: نعم، البغلة، هنزل عنها ودفعها إليه.⁽¹⁾

في نص آخر نقراً، أن الحسن «لما حضرته الوفاة أرسل إلى عائشة

لأمير! إني سمعت تكبيراً عالياً في مجلسك، فما الخبر؟ فقال لها: مات الحسن فكت
 وفدت: إما لله وإما إليه راجعون، سئد المسلمين وابن رسول الله تكثر على موته؟ فقال
 ما معذرة إنه والله كما قلت فأقول لومي وبجك». (البري، الجوهرية في نسب النبي
 وأصحابه العشرة 283)

(1) ابن خلكان، وفیات الأعيان، 152.

يطلب منها أن يدفن مع النبي ﷺ، فلقد كنت طلبت منها فأجابت إلى ذلك، فلعلها تستحي مني، فإن أذنت فادفني في بيتها، وما أظن القوم، يعني بني أمية، إلا سيمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني في بقيع الغرقد⁽¹⁾.

يقول البلاذري في القضية عينها: «فلما أرادوا دفنه [الحسن] أوى ذلك مروان وقال: لا يدفن عثمان في حشر كوكب ويدفن الحسن ههنا. فاجتمع بنو هاشم وبني أمية فأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم، وجاؤوا بالسلاح فقال أبو هريرة لمروان: يا مروان أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول له ولا أخيه حسين: هما سيدا شباب أهل الجنة. فقال مروان: دعنا عنك، لقد ضاع حديث رسول الله إن كان لا يحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري إنما أسلمت أيام خبير، قال: صدقت، أسلمت أيام خبير، إنما لزمتم رسول الله ﷺ فلم أكن أفارقه، وكنت أسأله وعينت بذلك حتى علمت وعرفت من أحب ومن أبغض ومن قرب ومن أبعد، ومن أقر ومن نفى، ومن دعا له ومن لعنه فلما رأت عائشة السلاح والرجال، وخفت أن يعظم الشر بينهم وتسفك الدماء قالت: البيت بيتي ولا أذن أن يدفن فيه أحد. وقال محمد بن علي لأخيه: يا أخي إنه لو أوصى أن يدفن لدفناه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى فقال: إلا أن تخافوا الشر، فأني شر أشد مما ترى؟ فدفن بالقيع إلى جنب أمه⁽²⁾».

(1) من الأثر المؤرخ، أسد العابة، 261.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 389؛ راجع: الزمخشري، ربيع الأبرار، 438، الصعدي، الوافي بالوفيات، 1662؛ ابن حلدون، التذكرة الحمدوية، 1174، العصامي، سمط السجود العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، 544؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 327، س كثير، البداية والنهاية، 2928؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 179.

الفصل الرابع:

حجر بن عدي

حجر بن عدي: من هو؟

«عن لحسن البصري⁽¹⁾ قال أُرْعِ خَصَالَ كُنْ فِي مَعَاوِيَةَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ مِثْلُ لَكَانَتْ مَوْبِقَةً انْتَرَاهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالسِّمَاءِ حَتَّى ابْتَرَاهَا أَمْرُهَا بِعَيْرٍ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ نَقَابَا الصَّحَابَةِ وَدَوُو الْفَضِيلَةِ، وَاسْتِخْلَافَهُ بَعْدَهُ أَسَهِ يَرِيدُ، سَكِيرًا حَمِيرًا، يَلْسُ الْحَرِيرَ وَيَصْرُبُ بِالطَّابِيرِ، وَادْعَاؤُهُ زِيَادًا؛ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»، وَقَتْلَهُ حَجْرُ بْنُ عَدِي وَأَصْحَابُهُ، فَيَا وَيْلَهُ مِنْ حَجَرٍ وَأَصْحَابٍ حَجَرًا!² وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾: «أُرْعِ خَصَالَ كُنْ فِي مَعَاوِيَةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ

(1) وروى ابن الجوزي بإساده عن حسن البصري أنه قال أُرْعِ خَصَالَ كُنْ فِي مَعَاوِيَةَ، لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ لَكَانَتْ مَوْبِقَةً، وَهِيَ أَحَدُ الْخِلَافَةِ بِالسِّيفِ مِنْ عَيْرٍ مَشُورَةٍ، وَفِي الدَّسِ نَقَابُ الصَّحَابَةِ، وَدَوُو الْفَضِيلَةِ، وَاسْتِخْلَافُهُ أَسَهِ يَرِيدُ، وَكَانَ سَكِيرًا حَمِيرًا يَلْسُ الْحَرِيرَ، وَيَصْرُبُ بِالطَّابِيرِ، وَادْعَاؤُهُ زِيَادًا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ، وَالْعَاهِرُ لِلْحَجَرِ»، وَقَتْلَهُ حَجْرُ بْنُ عَدِي وَأَصْحَابُهُ، فَيَا وَيْلًا لَهُ مِنْ حَجَرٍ وَأَصْحَابٍ حَجَرٍ وَرَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَنَّهُ أَسْرَى إِلَى الرَّسْعِ، أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ شَهَادَةَ أَرْبَعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ مَعَاوِيَةُ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَالْمُعِيرَةُ، وَرِيْدُ (أَبُو الْعَدَاءِ)، الْمُحْتَصِرُ فِي أَحَادِثِ الشَّرِّ، (129)

(2) ابن أبي الحديد، شرح بهج السلاعة، 194

(3) أنظر: المحاضر، الرسالة، 86

إلا واحدة منهم لكانت موبقة انتراؤه على هذه الأمة بالسيف، حتى أخذ الأمر عن غير مشورة، وفيهم بقايا الصحنة ودوو الفصيلة، واستخلافه ابنه عده سكيراً حميراً يلس الحرير ويضرب بالطناير، ودعاؤه رياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعهر الحجر. وقتله حجراً وأصحاب حجر، فبأه ولا له من حجر وأصحاب حجر⁽¹⁾.

«حجر بن عدي الأدر» وهو كندة.. وسمي أبوه الأدر لأنه طعن مولياً فسمي الأدر؛ أبو عبد الرحمن الكندي من أهل الكوفة، وقد عني السبي⁽²⁾، وعز الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء، وشهد صفين

(1) السويدي، نهاية لأرب في فنون الأدب، 2415

(2) وذكر بن سعد ومصنف لربري في رواه خاكم عنه أنه وفد على نبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأخوه هذيل بن عدي وأن حجر بن عدي شهد العادسية وأنه شهد بعد ذلك الحمل وصفين وصحب عتبا فكان من شغته وقتل مخرج عذراء أمر معاوية وكان حجر هو الذي افتتحها، فقتلها وأخذ من نكلي جميع ذلك وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء بني يوم صفين وروى بن إسحاق وغيره من طريق إبراهيم بن الأشتر عن أبيه - أنه شهد هو حجر بن الأدر موت أبي دربارمة أم الحارثي وأبو حاتم عن أبيه وحليفة بن حياط عن حبان فذكره في الناعين وكذا ذكره بن سعد في لطيفة الأولى من أهل الكوفة فيما أن يكون ضده آخر وإما أن يكون دهل وروى ابن قانع في برهته من طريق شعيب بن حرب عن شعبة عن أبي بكر بن حفص عن حجر بن عدي - رحل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن نبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم قال: «أقوم يشربون الخمر يسمونهم بغير اسمها» (أبو حجر العسقلاني، الإصانة في معرفة الصحابة، 213)، أنظر مرتضى الربيدي، تاريخ العروس، 2662، سنة إحدى وخمسين فيها كان مقتل حجر بن عدي ويقال له حجر بن الأدر، لأن أده عدا طعن مولياً فسمي الأدر، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة، فداس عسكر وقد إلى لبني⁽³⁾، وسمع علياً وعماراً وشريحيل بن مرة، ويقال شرحبيل بن مرة وروى عنه أنول بن مولا، وعبد الرحمن بن عباس، وأبو الحنظلي الطائي وغرا لشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء، وشهد صفين مع علي أميراً، وقيل بعداء من قرى دمشق، ومسجد قبره به معروف ثم

مع علي أميراً، وقتل بعذراء من قرى دمشق، ومسجد قبره بها معروف. حدث حجر بن عدي قال: سمعت شراحيل بن مرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أبشر يا علي حياتك وموتك معي». وقال حجر بن عدي: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: الوضوء نصف الإيمان. وفي رواية الطهور نصف الإيمان.

شهد حجر القادسية، وهو الذي افتتح مرج عذراء وشهد الجمل وصفين مع علي عليه السلام، وكان في ألفين وخمس مئة من العطاء، وقتله معاوية بن أبي سفيان وأصحابه بمرج عذراء، وابناه عبيد الله وعبد الرحمن

ساق ابن عساكر بأسانيده إلى حجر يذكر طرفاً صالحاً من روايته عن عبي وعبره، وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة، وذكر له وفادة، ثم ذكره في الأول من تابعي أهل الكوفة. قال: وكان ثقة معروفاً، ولم يرو عن غير عبي شيئاً. قال ابن عساكر: بل قد روي عن عمار وشراحيل بن مرة وقال أبو أحمد العسكري: أكثر محدثين لا يصححون له صحبة، شهد القادسية وافتتح مرج عذراء، وشهد الجمل وصمير.. وقال المرزباني. قد روي أن حجر بن عدي وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هاني بن عدي، وكان هذا الرجل من عباد الناس ورهادهم، وكان ماراً بأمه، وكان كثير الصلاة والصيام. (ابن كثير، البداية والنهاية، 2932)

(1) إن حجر بن عدي رجلاً من كندة، وكان عابداً لم يحدث قط إلا توصاً، ولم يهرق ماءً، ولا توحاً، وما توصاً إلا صل، وكان مع علي بن أبي طالب في زمانه، فلما قتل عبي، وكانت جماعه على معاوية اعتزل حجر وناس من أصحابه وزياد معهم نحو أرض هرس، فقال بعضهم لبعض: ما تصنعون نحن وحدها والجماعة على معاوية؟ أرسلوا رجلاً يأخذ لنا الأمان من معاوية. فاختاروا زياداً اختياراً فأرسلوه إلى معاوية، فأخذ لهم لأمان، وبأيعروا على سنة الله وسنة رسوله ﷺ، العمل بطاعته. فأعجب معاوية عقل زياد فقال: يا زياد، هل لك في شيء؟ أعترف أنك أخي، وأؤمرك على العراق. قال نعم بلغ لحسن بن علي أن زياداً يتبع شيعه علي بالصرة فيقتلهم، فقال اللهم لا تقبل زياداً، وأمه حنف أنفه فإنه كان يقال: إن في القتل كعارة. (ابن منظور، محصر تاريخ دمشق، 1412).

ابنا حجر قتلها مصعب بن الزبير صبراً، وكانا يتشيعان⁽¹⁾. وكان حجر ثقة معروفاً، وكان مع علي يصفين حجر الخير وحجر الشر، فأما حجر الحير فهذا، وأما حجر الشر فهو حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة....

قال يونس بن عبيد: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: إني قد احتجت إلى مال فأمدني، قال: فجهز المغيرة إليه عيراً تحمل المال؛ فلما فصلت العير بلغ حجرأ وأصحابه، فجاء حتى أخذ بالقطار فحبس العير⁽²⁾. قال: لا والله، حتى يوفى كل ذي حق حقه، فبلغ المغيرة ذلك أنه قد رد العير معه. فقال شبيب ثقيف: ائذن لنا أصلحك الله فيه فنأتيك برأسه الساعة. قال:

(1) وحجر بن عدي، وهو الأدهر، بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة، له صحبة فيما قال قوم، وقتله معاوية صراً؛ وابناه: عبد الله، وعبد الرحمن، ابنا حجر، قتلها المصعب بن الزبير، وكانوا يتشيعون (ابن حزم، جهرة أنساب العرب، 174)؛ وكان له ابنان يتشيعان يقال لهما عبد الله وعبد الرحمن قتلها مصعب بن الزبير صبراً، وقتل حجر سنة ثلاث وخمسين. (ابن قتيبة الديوري، المعارف، 76)؛ وروي أن الحسن بن الربيع قال: رب إن حجراً قتل صبراً، فإن كنت مغيراً ذلك وإلا فقبصني إليك، فها من ليكنه. قالوا: وفرق معاوية من صفح عنه من أصحاب حجر فم ينزل ثنن بكورة واحدة. (البلاذري، أنساب الأشراف، 671)؛ وحجر بن عدي بن الأدهر بن عدي بن حبة، وكان طعن في ذبفه فسمي بالأدهر لذلك، حاجل أسلامي؛ وفد إلى النبي وأخوه هاني، وكان في الفين وخمس مائة من العطاء. وشهد القديسة، وشهد الحمل وصفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام قتل معاوية وأصحابه بمرج عذرة، وكان الذي تولى قتله أبو الأعور السلمي. وابناه عبد الله، وعبيد الله قتلها فمضعت بن الزبير، وكما يتشيعان. (ابن الكلبي، نسب معد اليمن الكبير، 29)

(2) وذكر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمد بهال يعنه من بيت المال، فمعت عيراً تحمل مالاً فاعترض لها حجر، فأمسك بزمام أولها وقال: لا والله حتى يوفى كل ذي حق حقه. فقال شبيب ثقيف للمغيرة: ألا تأتيك رأسه؟ فقال ما كنت لأفعل ذلك بحجر، فتركه. فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى ريداً، واصصح أنه لم يعزل المغيرة حتى مات. (ابن كثير، البداية والنهاية، 2933)

لا والله، ما كنت لأركب هذا من حجر أبداً، فبلغ معاوية فاستعمل رياداً⁽¹⁾
وعزل المغيرة⁽²⁾.

يورد نص قصة حجر باختصار: «حجر بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كدي وهو حجر الخير وأبوه عدي الأدبر طعن موليا فسمي الأدبر وكان حجر بن عدي جاهلياً إسلامياً؛ قال وذكر بعض رواة العلم⁽³⁾ أنه وفد إلى النبي ﷺ

(1) ويقال له زياد بن أبيه لما وقع في أبيه في الشك، ويقال له أيضاً زياد بن سميّة، ويكنى أبا المغيرة، ولده هو والمختارسة إحدى من الهجرة، فأدرك النبي ﷺ وم يره، وأسم في عهد أبي بكر، وسمع عمر بن الخطاب، واستكتبه أبو موسى الأشعري في إمرته على لبصرة، وكتب لعبد الله بن عامر ولابن عتاس وللمغيرة بن شعبة، وولاه معاوية المصريين وهو أول من وليهما جميعاً. وقدم دمشق. وروى عنه ابن سيرين والشعبي وأبو عثمان النهدي وغيرهم، وأبو بكر أخوه لأمه. وكان رياد أولاً من شيعة علي بن أبي طالب، وكان عامله على فارس، ثم إنه بعد موت علي صالح ودة، فصار من شيعة واشتد على شيعة علي، وهو الذي أشار على معاوية بقتل حجر بن عدي وأغلظ للحسن بن علي في كتاب كتبه إليه، فرد عليه معاوية أقيح رد. وكان قتلاً سفاكاً للدماء من جنس أبيه والمختار، ولكنه كان خطيباً مصيحاً. وبعثه أبو موسى رسولاً فعتشه عمر، فوجده عالماً بالقرآن وأحكامه وفرائضه، وسأله: ما صنعت بأول عطائك؟ فذكر أنه اشترى به أمة فأعتقها فسر منه عمر بذلك. تابعي، ولم يكن بينهم بالكذب. وقال الأصمعي: مكث زياد على العراق تسع سنين، ما وضع لية على لية ولم يعرس شجرة، وهو أول من جلس على المبر في العيدين وأذن بمبها، وأوز من أحدث الفتح على الإمام.... ولقد امتنع زياد وهو قفعة القاع لا عشيرة له ولا نسب ولا سابقة ولا قدم، فما أطاقه معاوية إلا بالمدارة حتى أرضاه وولاه (الصمدي، الوالي بالوفيات، 1996).

(2) اس منظور، مختصر تاريخ دمشق، 848؛ راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، 518؛ ولكن كان المعيرة فيه حلم وإناء، فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه، ويحذره عب هذا الصنيع، فإن معارضة السلطان شديد وبالها، فلم يرجع حجر عن ذلك (اس كثير، البداية والنهاية، 2932).

(3) حدثنا محمد بن سعد قال في الطبقة الرابعة من الصحابة: حجر أخير بن عدي

مع أخيه هاني بن عدي وشهد حجر القادسية وهو الذي افتتح مرج عذرى وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء وكان من أصحاب علي بن أبي طالب وشهد معه الجمل وصفين، فلما قدم زياد بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدي، فقال: تعلم أنني أعرفك وقد كنت أبا وإياك

الأدبر، - وإنما طعن موليا فسمي الأدبر - بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث من معاوية بن ثور بن مرثع بن كندي جاهلي إسلامي وفد إلى النبي ﷺ، وشهد القادسية وهو الذي افتتح مرج عذراء، وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب، وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء وقتله معاوية بن أبي سفيان وأصحابه بمرج عذراء، وابناء عبيد الله وعبد الرحمن قتلها مصعب بن الزبير صبرا، وكان يتشيعان، وكان حجر ثقة معروف، ولم يرو عن غير علي شيئا.... حدثنا محمد بن سعد قال: في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة حجر بن الأدبر الكندي، والأدبر بن عدي بن عدي بن جبلة، قتلته معاوية.. قال ابن الكندي. وكان طعن في دبره فسمي حجر الأدبر لذلك، جاهلي إسلامي وفد إلى النبي ﷺ هو وأخوه هاني، وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء، وشهد القادسية، وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام، قتلته معاوية وأصحابه بمرج عذراء، وكان الذي نولى قتله أبو الأعور السلمي.... أخبرنا أبو عبد الله الحارثي قال: حجر بن عدي الكندي قتل في عهد عائشة.... أخبرنا أبو أحمد العسكري قال: فأما حجر - بالخاء - لمصومة والجيم الساكنة، ويجوز ضمها في اللغة - فمهم حجر بن عدي بن الأدبر جاهلي إسلامي يذكر بعضهم أنه وفد إلى النبي ﷺ، هو وأخوه، وأكثر أصحاب الحديث لا يصححون له رواية، شهد القادسية وافتتح مرج عذراء، وشهد الجمل وصفين مع علي، ثم قتلته معاوية بعد ذلك وكان مع علي بصفين (ابن العديم، نعية المطلب في تاريخ حلب، 799).

علي ما قد علمت يعني من حب علي بن أبي طالب⁽¹⁾، وإنه قد جاء غير ذلك وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله؛ أملك عليك لسانك وليسعك منزلك وهذا سريري فهو مجلسك وحوائجك مقضية لدي؛ فاكفني نفسك فإني أعرف عجلتك فأنشدك الله يا أبا عبد الرحمن في نفسك وإياك وهذه السفلة وهؤلاء السفهاء أن يستزلوك عن رأيك فإنك لو هنت علي أو استخففت بحقك لم أخصك بهذا من نفسي؛ فقال حجر: قد فهمت! ثم انصرف إلى منزله فاتاه إخوانه من الشيعة؛ فقالوا: ما قال لك الأمير؟ قال: قال لي كذا وكذا قالوا ما نصح لك فأقام

(1) وكان زياد أولاً من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان عامله على فارس، ثم إنه بعد موت عبي صالح معاوية، وادعاه وصار من شيعته، واشتد على شيعة علي، وهو الذي أشر على معاوية بقتل حجر بن عدي وأصحابه، وأغلظ للحسن بن علي عليه السلام في كتاب كتبه له، فرد عليه معاوية أقبح رد. وكان قتالاً سهاكاً للدماء من جنس ابنه واحتجاج، ولكنه كان خطيباً فصيحاً. وقال الأصمعي: مكث زياد عن العراق تسع سنين ما وضع لينة على لينة. وهو أول من جلس على المنبر في العيدين وأذن فيهما، وأول من أحدث المفتح على الإمام. (ابن شاعر الكشي، هوات الوفيات، 145)، فلما قدم زياد بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدي فقال: نعمم أبي أعرفت، وقد كنت أنا وأباك على أمر قد علمت - يعني: من حب علي - وأنه قد جاء غير ذلك، وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله، أملك عبيك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لدي، فاكفني نفسك فإني أعرف عجلتك (ابن كثير، البداية والنهاية، 2935).

(2) فلما ولي زياد، دعا لعشائره وسب علياً، وما كانوا يذكرون علياً باسمه، وإنما كانوا يسمونه أبي تراب، وكانت هذه الكنية أحب الكنى إلى علي، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يسميهم بذلك، كما كان يقول من الثناء على علي، فغضب زياد وأمسكه، وأوثقه بالحديد، وثلاثة عشر نفر معه، وأرسلهم إلى معاوية، فشفع في ستة منهم عشائره هم، وبقي ثمانية، منهم حجر، فأرسل معاوية من قتلهم بعذراً، وهي قرية بظاهر دمشق، فقتلهم، وكان حجر من عظم الناس ديناً وصلابة، وأرسلت عائشة تشفع في حجر، فلم يصل رسواً إلا بعد قتله. (أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 129).

وفيه بعض الإعتراض وكانت الشيعة يختلفون إليه ويقولون. إلك شبيخا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر! وكان إذا جاء إلى المسجد مشوا معه، فأرسل إليه عمرو بن حريث، وهو يومئذ خليفة زياد على الكوفة ورياد نابصرة، أنا عبد الرحمن [فقال]: ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير من نفسك ما قد علمت؟ فقال: للرسول تنكرون ما أنتم فيه إلك وراءك أوسع لك! فكتب عمرو بن حريث بذلك إلى زياد وكتب إليه إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل؛ فأغد زياد السير حتى قدم الكوفة⁽¹⁾ فأرسل إلى عدي بن حاتم وجريز بن عبد الله البجلي وخالد بن عرفطة العذري حليف بني رهرة وإلى عدة من أشراف أهل الكوفة فأرسلهم إلى حجر بن عدي⁽²⁾ ليعذر إليه

(1) وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحنفية الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون علياً على المنبر، يقومون فيردون اللعن عليهم، ويتكلمون في ذلك فلما قدم زياد الكوفة خطب خطبة له مشهورة لم يحمده الله فيها، ولم يصل على محمد وأرعد فيها وأبرق، وتوعد وتهدد، وأبكر كلام من تكلم، وحذرهم ورهبهم، وقال: قد سميت الكدبة، على المنبر، الصلحاء فإذا أوعدتكم أو وعدتكم، فلم أف لكم بو عدي ووعيدي، فلا طاعة لي عليكم وكانت بيته وبين حجر بن عدي مودة، فوجه إليه فأحضره، ثم قال له: يا حجراً أرايت ما كنت عليه من المحبة والموالة لعلي؟ قال: نعم! قال: فإن الله قد حول ذلك بعضه وعداوة، أورايت ما كنت عليه من البغضة والعداوة لمعاوية؟ قال: نعم! قال: فإن الله قد حول ذلك محبة وموالة، فلا أعلمنك ما ذكرت علياً بخير ولا أمير المؤمنين معاوية شر. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 200).

(2) حجر بن عدي الأديب وإبما سمي الأديب لأنه طعن مؤلياً. هو أبو عبد الرحمن الكندي الكوفي، وقد على النبي ﷺ وسمع علياً وعباراً وشرحاً حيل ابن مرة، ويقال شر حيل، وغراً الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء التي قتل بها وهي من قرى دمشق وقبره ب معروف. وشهد مع علي الجمل وصفين أميراً، وكان براً بالذي عابد وكان في الفرس وحسمته من العطاء وشهد فتح القادسية وقتله معاوية وقتل أصحابه بمرح عذراء وقتل إبنه عبد الله وعبد الرحمن قتلها مصعب بن الزبير صيراً وكانا يتشيعان وكان حجر ثقة معروفاً. قال أبو معشر: كان حجر بن عدي رجلاً من كددة وكان

ويهاه عن هذه الجماعة وأن يكف لسانه عما يتكلم به، فأتوه فلم يحسم إلى شيء ولم يكلم أحداً منهم وجعل يقول: يا غلام أعلف البكر! قال ويكر في ناحية الدار! فقال له عدي بن حاتم: أمجنون أنت؟ أكلمك بما أكلمك به وأنت تقول يا غلام أعلف البكر؟ فقال عدي: لأصحابه ما كنت أظن هذا البائس بلغ فيه الضعف كل ما أرى! فنهض القوم عنه وأتوا ريادة فأخبروه ببعض وخزنوا بعضاً وحسنوا أمره وسألوا ريادة الفرق به، فقال: لست إذ، لأبي سفيان! فأرسل إليه الشرط والبخارية فقاتلهم بمن معه ثم انفضوا عنه؛ وأتى به زياد وبأصحابه فقال له: ويلك ما لك؟ فقال: إني

عابداً قال: ولم يحدث قط إلا ترضاً ولم يهرق ماء إلا توصاً وما ترضاً إلا صلي وقال بن سعد: حجر في الطبقة الرابعة من ناعلي الكوفة.. وكان سبب قتله أنه كان من أصحاب علي فكانت تصدر منه حركات لا تعجب ولاية الكوفة فقال له زياد بن أبيه: إني أحذرك أن تتركب أعجاز أمور قد هلك من ركب صدورها. فلم ينته فنفذ زياد إلى معاوية: إن كان لك بالعراق حاجة فاكفني حجر أو أصحابه. فأمر بهم معاوية فقتلوا نصفهم بعدد سنة إحدى وخمسين وكانوا أربعة عشر وقيل ثلاثة عشر وكان حجر ممن قتل. وقيل قتل سنة أو سبعة. وجاء رسول معاوية بالعفو عنهم وقدم عبد الرحمن بن الحارث من هشام برسالة عائشة تسأله أن يخلي سبيلهم فقدم وقد قتلوا فقال: يا أمير المؤمنين أين عذب عنك حلم أبي سفيان. فقال: غيبة مثلك عني من قومي وحن معاوية فاستأذن علي عائشة فحجته. ثم أذنت له فقالت له ما حملك على قتل أهل عدراء حجر وأصحابه؟ قال يا أم المؤمنين إني رأيت قتلهم صلاحاً للأمة وإن بقاءهم فساد للأمة. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيقتل عدراء أنس يعرض الله لهم وأهل النساء، أما خشيت أن أخيب لك رجلاً فيقتلك؟ فقال لا، إني في بيت آمن وكان يقول عند موته: إن يومي من امن الأديب لطويل وانتحب ابن عمر لما نعه قتله ودم معاوية على قتله وعرف منه الندم والخوف عند الموت وقال ما قتلت أحداً إلا وأنا أعرف قيم قتله وما أردت به، ما خلا حجراً. وكان يقال: أول دل دحل على أهل الكوفة قتل حجر بن عدي (الصفدي، الوافي بالوفيات، 1594)، وكان مع حجر بن عدي بن جيلة الكندي، من أصحابه جماعة. قيل: عشرون. (اس كثير، البداية والنهاية، 2933).

على بيعتي لمعاوية لا أقبلها ولا أستقبلها! فجمع زياد سبعين من وجوه أهل الكوفة فقال: اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه؛ ففعلوا، ثم وفد بهم على معاوية وبعث بحجر وأصحابه إليهم؛ وبلغ عائشة الحبر فعتت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي إلى معاوية تسأله أن يحلّي سبيلهم؛ فقال عبد الرحمن بن عثمان الثقفي: يا أمير المؤمنين! حددها جذاذها لا تعن بعد العام أبداً! فقال معاوية⁽¹⁾: لا أحب أن أراهم ولكن اعرضوا علي كتاب زياد! فقرأ عليه الكتاب وجاء الشهود فشهدوا؛ فقال معاوية بن أبي سفيان: أخرجوهم إلى عذرى فاقتلوهم هنالك! قال: فحملوا إليها؛ فقال حجر: ما هذه القرية؟ قالوا عذراء قال: الحمد لله أما والله إنني لأول مسلم نبج كلابها في سبيل الله؛ ثم أتني بي اليوم إليها مصفوداً؛ ودفع كل رجل منهم إلى رجل من أهل الشام ليقته، ودفع حجر إلى رجل من حمير فقدمه ليقته؛ فقال: يا هؤلاء دعوني أصلي ركعتين! فتركوه فتوضأ وصلى ركعتين فطول فيهما، فقبل له: طولت أجزعت؟ فانصرف فقال: ما توضأت قط إلا صليت، وما صليت صلاة قط أخف من هذه، ولئن جزعت لقد رأيت سيفاً مشهوراً وكفنّاً منشوراً وقبراً محفوراً؛ وكانت عشائهم جاؤوا بالأكفان وحفروا لهم القبور؛ ويقال: بن معاوية الذي حفر لهم القبور وبعث إليهم بالأكفان!! وقال حجر: اللهم إنا نستعديك على أمتنا فإن أهل العراق شهدوا علينا وإن أهل الشام قتلوا!

(1) يقول إن حجرًا لما دخل على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فعصب معاوية عصاً شديداً وأمر بضرب عنقه هو ومن معه. ويقال: إن معاوية ركب فتلقاهم في مرج عذراء. ويقال: بل بعث إليهم من تلقاهم إلى عذراء تحت الشية - شية العقاب - فقتلوا هناك... فاستوهب منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوهبوا منه ستة (ابن كثير، البداية والنهاية، 2934).

قال. فقيل لحجر: مد عنقك! فقال: إن ذاك لدم ما كنت لأعير عليه! فقدم فضربت عنقه! وكان معاوية قد بعث رجلاً من بني سلامان بن سعد يقال له هدة بن فياض، فقتلهم وكان أعور فنظر إليه رجل منهم من حثعم؛ فقال: إن صدقت الطير قتل نصفنا ونجا نصفنا؛ قال: فلما قتل سبعة أردب معاوية برسول بعافيتهم جميعاً فقتل سبعة ونجا ستة أو قتل ستة ونجا سبعة؛ قل: وكانوا ثلاثة عشر رجلاً⁽¹⁾.

ويقول نص آخر: «وفيها [السنة]: مقتل حجر بن عدي. وسببه: أن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة فقال له: قد أردت أن أوصيك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسدد سلطاني، فأقدم المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهرًا وهو حسن السيرة، إلا أنه لم يدع الدعاء لعثمان والوقعة في علي⁽²⁾ ﷺ، وكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: أنا أشهد أن من تعيبون لأحق بالفضل وأن من تزكون لأولى بالذم، فيقول له المغيرة: ويحك اتق غضب السلطان وسطوته، فقام المغيرة يوماً فأثنى على عثمان، فصاح به حجر: إنك قد حبست أرزاقنا وأصبحت مولماً بتقريظ المجرمين، وقام معه أكثر من ثلاثين يقولون: صدق حجر، فمر لنا بأعطياتنا، فنزل المغيرة ودخل

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1158.

(2) عن عبد الله بن رزين الغافقي قال: سمعت علي ابن أبي طالب يقول يا أهل العراق سيفتل منكم سبعة نفر بعداء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود، فقتل حجر بن عدي وأصحابه. قال أبو نعيم: ذكر زياد بن سميه علي ابن أبي طالب على المنبر فقبض حُجر على الحصة ثم أرسلها وحصب من حوله زياداً فكتب إلى معاوية يقول إن حُجراً حُصّبي وأنا على المنبر، فكتب إليه معاوية أن يحمل حجراً فلما قرب من دمشق بعث من يلقاهم فالتقى معهم بعداء فقتلهم.. (ابن كثير، البداية والنهاية، 2555)

عليه قومه فقالوا: علام تترك هذا الرجل يجترىء في سلطانك، ولو بلغ معاوية كان أسخط له عليك، فقال لهم المغيرة: إني قد قتلته، إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شيئاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة، إنه قد اقترب أجلي، ولا أحب أن أئدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة، ولكنني قابل من محسنهم، وعاف عن مسيئهم، وواعظ شقيهم حتى يفرق بيني وبينهم الموت، وسيذكروني، ولو قد جربوا العمال بعدي.

فلما هلك المغيرة وولي زياد بن أبي سفيان⁽¹⁾ قام فذكر عثمان وأصحابه فقرظهم وذكر قتلهم ولعنهم، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة، فقال: ويل أمك يا حجر، «سقط بك العشاء على سرحان». وفي رواية أخرى: أن زياداً خطب فأطال الخطبة وآخر الصلاة، فقال له حجر بن عدي: الصلاة! فمضى في خطبته، ثم قال: الصلاة، فلما خشي

(1) وكان معاوية وعياله يدعون لعثمان في الخطبة يوم الجمعة ويسبون علياً. ولما كان المغيرة مثلي الكوفة كان يفعل ذلك، وكان حجر يقوم ومعه جماعة يردون عليه، وكان المعيرة يتجاوز عنهم، فلما ولي زياد ودعا لعثمان وسب علياً قام حجر وقال كما كان يقول من الثناء على علي، فغضب زياد وأمسكه وأوقعه بالحديد وثلاثة عشر نفراً معهم وأرسلهم إلى معاوية، فشفع في ستة منهم عشائهم، وبقي ثمانية منهم ححر، فقتلهم معاوية. وكان حجر صحابياً من أعظم الناس ديناً وصلاة وروى ابن الحوري بإساده عن الحسن البصري أنه قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موقفة، وهي: أخذ الحلافة بالسيف من غير مشاورة، وفي الدس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستحلافه ابنه يزيد، وكان سكيراً حياً يسس الحرير ويضرب بالطناير. وادعاه زياداً أخاً، وقد قال رسول الله ﷺ: «لو ولد لنفراش وللعاهرة الحجر». وقته حجر بن عدي وأصحابه، فإيلاً له من ححر وأصحاب حجر. (عبد القادر البغدادي، خزنة الأدب، 785).

الفوت ضرب بيده إلى كف من الحصاء، وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، فرل زياد فصلى بالناس، ثم كتب إلى معاوية في أمره، فاستشهد عليه جماعة من أهل مصره، منهم أبو بردة بن أبي موسى أنه خلع الطاعة ودعا إلى الفتنة. فكتب إليه معاوية أن شده في الحديد ثم أحمله إلي بيعته إليه مع جماعة ممن يرى رأيه، فاستوهب بعضهم وبقي بعضهم، فقبل لهم تبرأوا من علي حتى يطلقكم، فلم يفعلوا. فلما دخل حجر على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: لا والله لا أهلك ولا أستقبلك، أخرجوه فاضربوا عنقه، فأخرج، فقال: دعوني أصلي ركعتين، فصلاهما، ثم قال لمن حضره من أهله: لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني ألقي معاوية غداً على الجادة.⁽¹⁾ ثم قدم فضربت عنقه، وقتل معه جماعة من أصحابه ممن يرى رأيه. ولما لقيت عائشة أم المؤمنين معاوية قالت: يا معاوية، أين كان حلمك عن حجر، فقال لها: يا أم المؤمنين، لم يحضرني رشيد. قال ابن سيرين: فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالموت ويقول: يومي منك يا حجر يوم طويل.⁽²⁾

في نص شبيهة نقراً «أن المغيرة بن شعبة لما ولي⁽³⁾ الكوفة كان يقوم على

(1) وأما حجر بن عدي فقتله معاوية صبراً ثم نه إليه زياد من أبي سفيان وروى هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن حجر بن عدي قال لا تطلقوا عني حديد، ولا تغسلوا عني دماً وادفوني في ثيابي فإني ملاق معاوية بالجادة وإني محاصمه وروى معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال أمر معاوية بقتل حجر بن عدي الكندي فقال حجر لا ترعوا عني قيلاً أو قال حديداً وكفوني في ثيابي ودمي (ابن عبد البر، الاستذكار، 808).

(2) «ابن الحوزي، المنتظم، 658.

(3) معاوية بن أبي سفيان لما ولي المعيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:.... ولست تاركاً إيصاءك بخصلة لا تنعم عن

المنر فيذم علي بن أبي طالب⁽¹⁾ وشيعته، وينال منهم، ويلعن قتلة عثمان، ويستعمر لعثمان ويزكيه، فيقوم حجر بن عدي فيقول: «يا أيها الدين أموا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم» [سورة النساء، 135]، وإني أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ممن تطرون، ومن تزكون أحق بالذم ممن تعيون. فيقول له المغيرة: يا حجر، ويحك! اكفف من هذا،

شتم علي ودمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم؛ وإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه، ولإدناء لهم، والاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جربت وجربت، وعملت قبيلك لغيرك، فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع، فستيلو فتحمد أو تذم. قال: بل نحمد إن شاء الله. قال ابن مخنف: قال الصقعب بن زهير: سمعت الشعبي يقول: ما وليب وإن بعده مثله، وإن كان لاحقاً بصالح من كان قبله من العمال. (الطبري، تاريخ أرسل والملوك، 1192).

(1) حرح حجر بن عدي وعمرو بن الحمق، يظهران البراءة من أهل الشام، فأرسل علي عليه السلام إليهما أن كفا عما يلغى عنكما، فأبياه، فقالا: يا أمير المؤمنين، أسأنا محقين؟ قال: بل، قالوا: أو ليسوا مبطلين؟ قال: بلى، قالوا: فلم منعنا من شتمهم؟ قال: قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانيين شتامين تشتمون وتترأؤن؛ ولكن لو وصفت مساوئ أفعالهم فقلتم: من سبهم كذا وكذا، ومن أفعالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العدو؛ وقلتم مكان لعنكم إياهم، وبراءتكم منهم: اللهم احقن دمائهم ودماءنا، وأصلح ذات بينهم وبيننا، واهدهم من صلاتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغي منهم من لمح به. لكان أحب إلي وحيراً لكم فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظمتك، ونتأدب بأدبك. (ابن أبي الحديد، شرح صحيح السلافة، 284)؛ قالوا: وبلغ علينا أن حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية، ولعن أهل الشام، فأرسل إليهما أن كفا عما يلغى عنكما. فأبياه، فقالا: يا أمير المؤمنين، أسأنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: بلى، وربي الكعبة المسددة، قالوا: فلم منعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانيين، ولكن قولوا: اللهم احقن دمائنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من صلاتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لمح به. (أبو حنيفة الدينوري، أخبار الطوال، 87).

واتق عصبة السلطان وسطوته؛ فإنها كثيراً ما تقتل مثلك. ثم يكف عنه. فلم ير كذلك حتى كان المغيرة⁽¹⁾ يوماً في آخر أيامه يخطب على المنبر، فقال من علي بن أبي طالب، ولعنه، ولعن شيعته، فوثب حجر فنعز مرة أسمع كل من كان في المسجد وخارجه. فقال له: إنك لا تدري أيها الإنسان بمن تولع. أو هربت! مر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا؛ فإنك قد حبستها عنا، ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين وتقرّظ المجرمين.... فقام معه أكثر من ثلاثين⁽²⁾ رجلاً يقولون: صدق والله حجر! مر لنا بأعطياتنا؛ فإننا لا نتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا، وأكثروا في ذلك... فتزل المغيرة ودخل القصر، فاستأذن عليه قومه، ودخلوا ولا موه في احتماله حجراً، فقال لهم: إني قد قتلته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شيئاً بما ترونه، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة. إنه قد اقترب أجلي، وضعف عملي، وما أحب أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز معاوية في الدنيا ويذل المغيرة في الآخرة، سيذكرونني لو قد حربوا العمال. قال الحسن بن عقبة: فسمعت شيخاً من الحي يقول: قد والله جربناهم فوجدناه خيرهم.

ثم هلك⁽³⁾

-
- (1) وبعث إلى حجر خمسة آلاف درهم ترضاه بها. فقبل للمغيرة لم فعلت هذا، وفيه عيب وهن وعصاة؟ فقال: قد قتلته بها. أبو حذيفة الدينوري، الأخبار الطوال، (88)
 - (2) فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (1193)
 - (3) وفاة المغيرة: توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطاعون، وقبل سنة تسع وأربعين، وقبل سنة إحدى وخمسين، فولى مكانه معاوية رياءاً وجمع له المصريون سرر رياء إليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب. فلما وصل الكوفة حطهم،

فحصبوه على المنبر فلما نزل جلس على كرسي وأحاط أصحابه بأبواب المسجد يأتونه
 بالناس يستحلفهم على ذلك. ومن لم يحلف حبسه. فبلغوا ثابري واتخذ المصورة من
 يوم حسن. ثم بلغه عن أوى بن حسين شيء فطلبه، فهرب ثم أخذه فقتله. وقال له
 عمار بن عتبة بن أبي معيط إن عمرو بن الحقيق يجتمع إليه شيعة علي، فأرسل إليه زياد
 ونهاه عن الاجتماع عنده. وقال لا أبيع أحداً حتى يخرج علي، وأكثر سمرة بن جندب
 اليتامى بالبصرة. يقال قتل ثمانية آلاف فأنكر ذلك عليه زياد.. كان المعيرة بن شعبة
 أيام إمارته على الكوفة كثيراً ما يتعرض لعلي في محالسه وخطبه، ويترحم على عثمان
 ويدعوه. فكان حجر بن عدي إذا سمعه يقول: بلأياكم قد أضل الله ولعن. ثم
 يقول أنا أشهد أن من تدمون أحق بالفضل، ومن تزكون أحق بالدم. فبث له المعيرة
 بقول: يا حجر اتق غضب السلطان وسطوته، فإنها تهلك أمثالك لا يريد عبي ذلك.
 ولما كان آخر أمانة المعيرة قال في بعض أيامه مثل ما كان يقول، فصاح به حجر ثم
 قال له: مر لنا بأرزاقا فقد حسنتها منا وأصبحت مولعاً بدم المؤمنين، وصاح الناس
 من جوانب المسجد صدق حجر فمر لنا بأرزاقتنا، والذي أنت فيه لا يجدي علينا نفعاً.
 فدخل المعيرة إلى بيته وعدله قومه في جراءة حجر عليه يوهن سلطانه، وبسخط عليه
 معاوية فقال لا أحب أن آتي بقتل أحد من أهل مصر. وسأيت بعدي من يصنع معه
 مثل ذلك فيقتله. ثم توفي المعيرة وتولى زياد. فلما قدم خطب الناس وترحم على عثمان
 ولعن قاتليه. وقال حجر ما كان يقول، فسكت عنه ورجع إلى البصرة واستحلف على
 الكوفة عمرو بن حرث، وبلغه أن حجراً يجتمع إليه شيعة علي ويعلمون بلعن معاوية
 والبراء منهم، وأنهم حصبوا عمرو بن حرث، فشخص إلى الكوفة حتى دخلها،
 ثم خطب الناس وحجر جالس يسمع، فتهنئده وقال: لست شيء إن لم أسمع الكوفة
 من حجر، وأودعه نكالا لمن بعده. ثم بعث إليه فامتنع من الإجابة، فبعث صاحب
 الشرطة شداد بن المهيثم الهلالي إليه جماعة، فسبهم أصحابه. (ابن خلدون، تاريخ ابن
 خلدون، 755).

المغيرة سنة خمسين⁽¹⁾، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد⁽²⁾، فدخلها، ووجه إلى حجر فجاءه، وكان له قبل ذلك صديقاً، فقال له: قد بلغني ما كنت تعمله بالمغيرة فيحتمله منك؛ وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً، أرايت ما كنت تعرفني به من حب علي ووده، فإن الله قد سدخه من صدري فصيره بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية

(1) قال أبو معشر: فاعترف به معاوية وأمره على العراقيين - يعني زياداً - فلما قدم الكوفة، دعى حجر بن الأدر فقال: يا أبا عبد الرحمن، كيف تعلم حبي لعلني؟ قال: شديداً. قال: فإن ذلك قد انسلخ أجمع فصار بغضاً، فلا تكلمي بشيء أكرهه، فإني أحذرك. فكان إذا جاء بهن العطاء قال حجر لزياد: أخرج العطاء فقد جاء إيانك، فكان يخرجهم... فخرج زياد إلى البصرة واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث، فصنع عمرو شيئاً كرهه حجر، فناداه وهو على المنبر، فرد عليه ما صغره، وحصبه هو وأصحابه. قال: فأرد عمرو مكانه يريد إلى زياد، وكتب إليه ما صنع حجر؛ فلما قدم البريد على زياد، ندم عمرو بن حريث وخشي أن يكون من سطواته ما يكره، وخرج زياد من البصرة إلى الكوفة، فتلقيهم عمرو بن حريث في بعض الطريق فقال: إنه لم يك شيء يكرهه، وجعل يسكنه، فقال زياد: كلا والذي نفسي بيده، حتى آتي الكوفة فأظفر مفاصل أصابعي، فلما قدم الكوفة سأل عمراً عن البيعة، وسأل أهل الكوفة، فشهد شريح في رجال معه على أنه حصب عمراً ورذ عليه، فاجتمع حجر وثلاثة آلاف من أهل الكوفة فلبسوا السلاح، وجلسوا في المسجد، فخطب زياد الناس وقال: يا أهل الكوفة، ليقيم كل رجل منكم إلى سميه فليأخذ، فجعل الرجل يأتي ابن أخيه وابن عمه وقريبه فيقول: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى بقي حجر في ثلاثين رجلاً. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 850).

(2) وأمر المغيرة بن شعبه - وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية - حجر بن عدي أن يقوم في الناس، فيعلن علياً عليه السلام، فأبى ذلك، فتوعده، فقام فقال أيها الناس أن أميركم أمرني أن ألعن علياً فالعنوه. فقال أهل الكوفة: لعنه الله، وأعد الصمصرة إلى المغيرة بالية والقصد. وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على الرأفة من علي عليه السلام ولعنه وأن يقتل كل من امتنع من ذلك، ويخرب منزله، فضر به الله ذلك اليوم بالطاعون، فمات - لا رحمه الله - بعد ثلاثة أيام، وذلك في خلافة معاوية (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 362).

وعداوته فإن الله قد سلخه من صدري وحوله حباً ومودة وإنني أخوك الذي تعهد، إذا أتيتني وأنا جالس للناس فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيت ولم أحلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك، ولك عندي في كل يوم حاجتان. حاجة غدوة، وحاجة عشية، إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تهلك نفسك وتشط عندي دمك، إنني لا أحب التكنيل قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حجة، اللهم اشهد. فقال حجر: لن يرى الأمير مني إلا ما يحب، وقد نصح، وأنا قابل نصيحته ثم خرج من عنده، فكان يتقيه ويهابه، وكان زياد يذنيه ويكرمه ويفضله، والشعبة تختلف إلى حجر وتسمع منه⁽¹⁾.

«وكان زياد يشتم بالبصرة، ويصيف بالكوفة، ويستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وعلى الكوفة عمرو بن حريث⁽²⁾، فقال له عمدة بن

(1) أبو لفرج لأصبهاني، الأعاني، 1920 وما بعد.

(2) وفي حديث فيل مولى زياد قال: لما قدم زياد الكوفة أميراً أكرم حجر بن الأديب وأدبائه، فلما أراد الانحدار إلى البصرة دعاه فقال: يا حجر، إنك قد رأيت ما صنعت به، وإنني أريد البصرة فأحب أن تشخص معي، فإني أكره أن تخلف بعدي، فعسى أن أبلغ عنك شيئاً فبقع في نفسي، فإذا كنت معي، لم يقع في نفسي من ذلك شيء، فقد عسيت رأيك في علي بن أبي طالب، وقد كان رأيي فيه قبلك على مثل رأيك، فلما رأيت الله صرف ذلك الأمر عنه إلى معاوية لم أتهم الله ورضيت به، وقد رأيت إلى ما صار أمر علي وأصحابه، وإنني أخذر كأن تركب أعجاز أمور هلك من ركب صدورهما، فقد له حجر إنني مريض ولا أستطيع الشخوص معك. قال: صدقت والله إنك لم يرض مريض اللبس، مريض القلب، مريض العقل، وأسم الله إن يلعبني عنك شيء أكرهه لأحرص على قتلك، فانظر لنفسك أو دع. فخرج زياد فلاحق بالبصرة واجتمع إلى حجر قرّة أهل الكوفة، فجعل عامل زياد لا يتفد الأمر ولا يرد شيئاً إلا منعه إليه، فكتب إلى زياد: إني والله ما أنا في شيء، وقد منعتني حجر وأصحابه كل شيء، فأنت أعلم مركب زياد بعالمه حتى اقتحم الكوفة، فلما قدمها تغيب حجر، فجعل يطلعه فلا يقدر عليه، فبينما هو جالس يوماً وأصحاب الكراسي حوله، فيهم الأشعث بن

عقة: إن الشيعة تختلف إلى حجر، وتسمع منه، ولا أراه عند خروجك إلا نائراً، فدعاه زياد فحذّره ووعظه. وخرج إلى البصرة، واستعمل عمرو بن حريث، فجعلت الشيعة تختلف إلى حجر، ويجيء حتى يحلس في المسجد فتجتمع إليه الشيعة، حتى يأخذوا ثلث المسجد أو بصفه، وتطيف بهم النظارة، ثم يمتليء المسجد، ثم كثروا، وكثر لغتهم، وارتفعت أصواتهم بدم معاوية وشتمه ونقص زياد. وبلغ ذلك عمرو بن حريث، فصعد المنبر، واجتمع إليه أشرف أهل المصر فحثهم على الطاعة والجماعة. وحذّره الخلفاء؛ فوثب إليه عنق من أصحاب حجر يكبرون ويشتمون، حتى دنوا منه، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر، وأغلق عليه بابه، وكتب إلى زياد بالخبر، [فقال]: ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر، وأدعه نكالاً لمن بعده، ويل أمك حجر! لقد سقط بك العشاء على سرحان. ثم أقبل حتى أتى الكوفة، فدخل القصر، ثم خرج وعليه قباء سندس، ومطرف خز أخضر، وحجر جالس في المسجد،

فيس، إذ أتى الأشعث ابن محمد فاجاء، وأخبره أن حجراً قد لحاً إلى منزله. فقال له زياد: ما فعل لك ابنك؟ قال: لا شيء. قال: والله لتخبرني ما قال لك حتى أعدم أمك قد صدقت، أو لا تبرح مجلسك حتى أقتلك. فلما عرف الأشعث أخبره فقال لرجل من أهل الكوفة من أشرفهم: قم فأتني به. قال: اعفني من ذلك، أمعت غيري قال لعمرك الله عليك خبيثاً مخبئاً، والله لتأتيني به أو لأقتلك. فخرج الرجل حتى دخل عليه، فأخبره حجر الخضر، فقال له: أمعت إلى جرير بن عبد فليكله فيك، فإني أحرف أن يعجل عليك. فدخل جرير على زياد فكلمه فقال: هو أمس من أن أقتله، ولكن أخرج به إلى معاوية، فجاءه على ذلك، فأخرج به من الكوفة ورهطاً معه، وكتب إلى معاوية أن اغن عني حجراً، إن كان لك فيما بقي حاجة، فبعث معاوية فتلقاء معداء، فقتل هو وأصحابه. وملك زياد العراق خمس سنين، ثم مات سنة ثلاث وخمسين. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 830).

وحوله أصحابه ما كانوا. فصعد المنبر⁽¹⁾ فخطب وحذر الناس، ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي أمير الشرطة: اذهب فائتني بحجر²، فذهب

(1) وهو أن يبدأ خطب يوم الجمعة فأطال الخطبة وآخر الصلاة، فقال له حجر بن عدي الصلاة بمعنى في خطبه فقال له: الصلاة. فمضى في خطبته، فلما حثي حجر فوات الصلاة ضرب يده إلى كف من حصي، وقال إلى الصلاة وقام الناس معه البويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415

(2) فجمع رباد أهل الكوفة وتهددهم فتبرؤوا. فقال ليدع كل رجل منكم عشرين الذين عند حجر ففعلوا، حتى إذا لم يبق معه إلا قومه، قال رباد لصاحب الشرطة: أطلق إليه فأت به طوعاً أو كرها فلما جاء يدعوه امتنع عن الإجابة، فحمل عليهم وأشر إليه أبو العمرطة الكندي بأن يلحق بكندة فمنعوه، هذا وزاد على المنبر ينتظر. ثم غشيهم أصحاب زياد وضرب عمرو بن الحمق، فسقط ودخل في دور الأزدي، فاختمى وخرج حجر من أبواب كندة، فركب ومعه أبو العمرطة إلى دور قومه، واجتمع إليه الناس ولم يأت من كندة إلا قليل. ثم أرسل رباد وهو على المنبر مذبح وهمدان ليأتوه بحجر، فلما علم أنهم قصدوه تسرب من داره إلى النخع، ونزل على أخيه الأشتر. وبلغه أن الشرطة تسأل عنه في النخع، فأتى الأردن واحتج عند ربيعة بن ناجد، وأعيدهم طلبه. فدعا حجر محمد بن الأشعث أن يأخذ له أماناً من رباد حتى يبعث به إلى معاوية، ففأخاه محمد ومعه جرير بن عبد الله، وحجر بن يزيد وعبد الله بن الحارث أخو الأشتر، فاستأمنوا له زياداً فأجابهم. ثم أحضروا حجرافحسه وطلب أصحابه، فخرج عمرو بن الحمق إلى الموصل ومعه زواعة بن شداد، فاختمى في جبل هناك. ورفع أمرهما إلى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ابن أخت معاوية، ويعرف بابن أم الحكم فسار إليهما وهرب زواعة، وقبض على عمرو، وكتب إلى معاوية بذلك. فكتب إليه أنه طعن عثمان سباً بمشاقص كانت معه فأطعنه كذلك مائة في الأولى والثانية ثم حد زياد في طلب أصحاب حجر وأتي ببيعة بن ضبيعة العسبي بأمان فمحسه. وجاء قيس بن عباد الشيلي برجل من قومه من أصحاب حجر، فأحصره زياد وسأله عن علي فأتى عليه، فضره وحبسه. وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث ثم دخل بيته في الكوفة وسعى به إلى الحجاج فقتله ثم أرسل رباد إلى عبد الله بن خليفة الطائي من أصحاب حجر فتواري، وجاء الشرط فأخذه ووددت أخته الفرار بقومه فخلصوه، فأخذ زياد عدي بن حاتم وهو في المسجد وقتل اثني بعد الله وخبره جهرة فقال أتيتك بابن عمي تقتله والله لو كان تحت قدمي ما رمعتها عنه فحبسه، فنكر ذلك الناس وكلموه وقالوا تفعل هذا بصاحب رسول الله

إليه فدعاه، فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة. فسبوا الشرط، فرجعوا إلى زياد فأخبروه، فقال: يا أشراف أهل الكوفة! أتشجون بيد وتأسون بأخرى؟ أريدنكم عندي، وأهواؤكم مع هذه الهجاجة المذبوب. أتم معي وإخوتكم وأبناؤكم وعشيرتكم مع حجر. فوثبوا إلى زياد فقالوا: معاد الله أن يكون لنا فيما هنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكل ما ظننت أن يكون فيه رضاك فمرنا به. قال: ليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة التي حول حجر، فليدع الرجل أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم. ففعلوا، وجعلوا يقيمون

وكبير طيء قال. أخرجه على أن يخرج ابن عمه عني فأطلقه وأمر عدي عبد الله أن يلحق بجعل طيء فلم يزل هناك حتى مات. وأتي زياد بكرم بن عفيف الخثعمي من أصحاب حجر وغيره، ولما جمع منهم اثني عشر في السجن دعا رؤوس الأرباع يومئذ وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة، وكندة وأبو بردة بن أبي موسى على ربع مذحج وأسد. فشهدوا كلهم أنه حجرا جمع الحموع، وأظهر شتم معاوية، ودعا إلى حربه. وزعم أن الأمر لا يصلح إلا في الطالبين. ووثب بالمصر، وأخرج العامل، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن نفر الذين معه وهم رؤوس أصحابه على مقدم رأيه. ثم استكثر زياد من الشهود، فشهد إسحق وموسى ابنا طلحة والمنذر بن الزبير عمار بن عتبة بن أبي معيط، وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم. وفي الشهود شريح بن الحارث وشريح بن هذيل. ثم استدعى زياد وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب ودفع إليهما حجر بن عدي وأصحابه وهم: الأرقم بن عبد الله الكتدي، شريك بن شداد الحضرمي، وصمي بن قيس الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف لمجلي وورقاء بن سمعي المجلي، وكرام بن حبان العنزي، وعدد بن رهم بن حسد العنزي، وعمر بن شهاب التميمي، عبد الله بن حوية السعدي ثم اتع هؤلاء الإحدى عشر بعتة بن الأخنس من سعد بن بكر، وسعد بن عوت أحمد بن وأمرهما أن يسيرا إلى معاوية. ثم لحقهما شريح بن هانئ ودفع كتابه إلى معاوية بن وائل. (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 756).

عنه أصحابه حتى تفرق أكثرهم وبقي أقلهم. فلما رأى زياد حمة أصحابه قال لصاحب شرطته: اذهب فائتني بحجر، فإن تبعك وإلا فمر من معك أن يترعوا غمد السيوف⁽¹⁾، ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به، ويضربوا من حل دونه. فلما أتاها شداد قال له: أجب الأمير، فقال أصحاب حجر لا والله ولا نعمة عين، لا يجيبه. فقال لأصحابه: علي بغمد السيوف، فاشتدوا إليها، فأقبلوا بها، فقال عمير بن زيد الكلبي أبو العمرطه⁽²⁾: إنه ليس معك رجل معه سيف غيري، فما يعني سيفي! قال: فما نرى؟ قال: قم من هذا المكان، فالحق بأهلك بمنعك قومك. فقام زياد ينظر على المنبر إليهم

-
- (1) فلما رأى زياد أن جل من كان مع حجر أقيم عنه، قال لشداد بن الهيثم الهلالي - ويقال: هيثم بن شداد أمير شرطته - انطلق إلى حجر، فإن تبعك فأنتي به، وإلا فمر من معك فليترعوا غمد السيوف، ثم يشدوا بها عليهم حتى يأتوني به ويضربوا من حل دونه. فأتاه الهلالي فقال: أجب الأمير؛ قال: فقال أصحاب حجر لا والله ولا نعمة عين! لا يجيبه. فقال لأصحابه: شدوا على غمد السيوف، فاشتدوا إليها، فأقبلوا بها فترعوا، فقال عمير بن يزيد الكندي من بني هند - وهو أبو العمرطه - إنه ليس معك رجل معه سيف غيري، وما يعني علك! (الطبري، تاريخ الرسل والملوكة، 1194)
- (2) أو أبو العمرطه الكندي (العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 550)

فعشوا حجراً بالعمد، فضرب رجل من الحمراء يقال له: بكر بن عبيد رأس عمرو بن الحقيق بعمود فوق. توارى حجر في منازل الأزد وأتاه أبو سفيان بن العويمر والعجلان بن ربيعة - وهما رجلان من الأزد - فحملاه، فأتيا به دار رجل من الأزد يقال له عبيد الله بن موعذ، فلم يرل بها متوارياً حتى خرج منها»⁽¹⁾

«ويتنزع [أحد أتباع كعب] عموداً من بعض الشرطة، فقاتل به وحمى حجراً وأصحابه؛ حتى خرجوا من تلقاء أبواب كندة، وبغلة حجر موقوفة، فأتى بها أبو العمرطة إليه، ثم قال: اركب لا أب لغيرك! فوالله ما أراك إلا قد قتلت نفسك، وقتلتنا معك؛ فوضع حجر رجله في الركاب؛ فلم يستطع أن ينهض، فحملة أبو العمرطة على بغلته، ووثب أبو العمرطة على فرسه؛ فما هو إلا أن استوى عليه حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المسلي - وكان يغمز - فضرب أبا العمرطة بالعمود على فخذيه، ويخترط أبو العمرطة سيفه، فضرب به رأس يزيد بن طريف، فخر لوجهه. ثم إنه برأ بعد... وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به في الكوفة في الاختلاف بين الناس. ومضى حجر وأبو العمرطة حتى انتهيا إلى دار حجر، واجتمع إلى حجر ناس كثير من أصحابه، وخرج قيس بن فهدان الكندي على حمار له يسير في مجالس كندة... فلم يأتها من كندة كثير أحد»⁽²⁾

يقال إن ريادة طالب الحسن بن علي وضع حد لنشاط حجر المعارض؛ «لقى حجر بن عدي [الحسن]، فقال له: يا بن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجوار، فتركنا الحق الذي كنا عليه.

(1) «الأصبهاني، المرجع السابق.

(2) «الطبري، المرجع السابق.

ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنيا من أنفسنا، وفلما الخسيسة التي لم تلق بنا. فاشتد على الحسن عليه السلام كلام حجر، فقال له. إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقاءً على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن. قل: فخرج من عنده، ودخل على الحسين عليه السلام مع عبيدة بن عمرو، فقالا: أبا عبد الله، شريتم الذل بالعز، وقبلتم القليل، وتركتم الكثير، أطعنا اليوم، واعدنا الدهر، دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذه المقدمة، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيف. فقال الحسين: إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا. وروى عن علي بن محمد بن بشير الهمداني، قال: خرجت أنا وسفيان ابن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة، فدخلنا عليه، وعنده المسيب بن نخبة وعبد الله بن الودك التميمي، وسراج بن مائل الخثعمي، فقلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: وعليك السلام، اجلس، لست مذل المؤمنين، ولكني معزهم، ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تبطلوا أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سرنا إليه بالجمال والشجر ما كان بد من إفضاء هذا الأمر إليه. قال: ثم خرجنا من عنده، ودخلنا على الحسين، فأحبرناه بما رد علينا، فقال: صدق أبو محمد، فليكر كل رجل منكم مجلساً من أحلاس بيته، مادام هذا الإنسان حياً. ⁽¹⁾

(1) أبو حذيفة الديلمي، الأخبار الطوال، 87.

«وقال زياد» - وهو على المنبر - لتقم همدان وتميم وهوازن وأبواء

(1) ثم حذر زياد في طلب أصحاب حجر، فأتى بقبیصة بن ضبيعة العنسي بأمان فحسه، وحاء قيس بن عباد الشيباني برجل من قومه من أصحاب حجر فأحضره زياد، وسأله عن علي بن أبي طالب، فأثنى عليه فضربه وجبسه، وعاش قيس بن عدي حتى قاتل مع بن الأشعث، ثم دخل بيته في الكوفة وصحى به إلى الحجاج فقتله، ثم أرسل زياد إلى عبد الله بن حليفة الطائب من أصحاب حجر، فتواري عنه وجاء الشرط فأنحدوه، ونادت أخته النوار بقومه فخلصوه. فأخذ زياد عدي بن حاتم، وهو في المسجد، وقال: اثنني بعبد الله بن حليفة الطائي وخبره، فقال له: أتيتك بابن عمي فقتله؟ والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فحبسوه، فنكر الناس عليه ذلك وكلموه، وقالوا: تفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ وكبير طيئ؟ فقال زياد: أخرجته عن أن يخرج ابن عمه عني، فأطلقه وأمر عدي عبد الله أن يلحق بجلي طيئ، فلم يزل هنالك حتى مات. وأتى زياد بكريم بن عفيف الخثعمي من أصحاب حجر وغيره. ولم يجمع معهم اثني عشر في السجن، دعا رؤساء الأرباع، وهم يومئذ عمرو بن حريث عن ربيع أهل المدينة، وخالد بن عروة عن ربيع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد عن ربيع ربيعة وكندة، وأبو بردة بن أبي موسى عن ربيع مذحج وأسد، فشهدوا كلهم أن حجرًا جمع الجموع وأظهر شتم معاوية ودعا إلى حربه، وزعم أن الإمامة لا تصح إلا في الطالبين ووئب بالمصر وأخرج العامل، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه. أقول: نعم، رحمة الله عليه ورضاءه والبراءة من عدوه ومن أهل حربه. وإن النفر لدين معه وهم رؤوس أصحابه على مثل رأيه. ثم استكثر زياد من الشهود، فشهد إسحاق وموسى بن طلحة، والمنذر بن الزبير، وعبد الله بن عتبة بن أبي معيط، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وغيرهم، وكتب في الشهود شريح بن الحارث القاضي وشريح بن هانئ. ثم استدعى زياد وائل بن حجر الحضرمي، وكثير بن شهاب، ودفع إليهم حُجراً وأصحابه، وهم الأرقم بن عبد الله الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصبيح بن فضل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العنسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوث البحلي، وورقاء بن سمي الجلي، وكرام بن حيان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي - أيضاً - ومحرز بن شهاب التميمي، وعبد الله بن حوية السعدي، ثم أتبع هؤلاء الاثني عشر بعتبة بن الأخنس بن سعد بن بكر، وسعد بن عمران الهمداني، وأمرهما أن يسيرا بهما إلى معاوية، ثم لحقهما شريح بن هانئ، وأرسل كتاباً إلى معاوية دفعه إلى وائل بن حجر الحضرمي. فلما انتهوا إلى مرج عذراء قرب دمشق، تقدم وائل وكثير إلى معاوية، وقرأ كتاب شريح بن هانئ، وفيه: بلعي أ

بغیض ومذحج وأسد وغطفان فلیأتوا جبانة كندة، ولیمضوا من ثم إلى حجر، فلیأتونی به. ثم کره أن تسیر مضر مع الیمن، فیقع شغب واحتلاف، أو تشبب الحمية فیما بینهم. فقال: لنقم تمیم وهوازن وأبناء بغیض وأسد وغطفان، ولتمض مذحج وهمدان إلى جبانة كندة، ثم لیمضوا إلى حجر فلیأتونی به، ولیسر أهل الیمن حتی یترلوا جبانة الصیداویین، ولیمضوا إلى صاحبهم فلیأتونی به. فخرجت الأزرد وخثعم والأنصار وقضاعة وخزاعة، فترلوا جبانة الصیداویین [فی الطبری، جبانة الصائدين]، ولم تخرج حضرموت مع الیمن لمكانهم من كندة... عن محمد بن مخنف، قال: فإني لمع أهل الیمن وهم یتشاورون فی أمر حجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: أنا مشیر علیکم برأي، فإن قبلتموه رجوت أن تسلموا من اللاتمة والإثم: أن تلبثوا قليلاً حتى تکفیکم عجلة فی شباب مذحج وهمدان ما تکرهون أن یكون من مساء قومکم فی صاحبکم. فأجمع رأيهم على ذلك، فلا والله ما كان إلا کلاً ولا حتی أتینا فقیل لنا: إن شباب مذحج وهمدان قد دخلوا، فأخذوا کل ما وجدوا فی بني بجيلة.... فمر

زیاداً کتب شهادتی، وإنی أشهد على حُجر أنه عم یقیم الصلاة ویؤتی الزکاة ویدیم الحج والعمرة ویأمر بالمعروف وینهی عن المنکر حرامُ الدّم والمال، فإن شئت فاقبله أو فدعه. فقال معاویة: ما أرى هذا إلا أخرج نفسه من شهادتکم، یعنی شریح من هاتئ. وحبس القوم بمرج عذراء حتی لحقهم عتبه بن الأخنس. وسعد بن عمرو السدین ألحقها بهم زیاد؟ وجاء عامر بن الأسود العجلی إلى معاویة، فأخبره بوصفها، فاستوهب یزید بن أسد البجلي عاصیا وورقاء ابني عمه، وقد کتب حریر یرکبها، ویشهد بیراءتها، فأطلقها معاویة، وشفع وائل بن حُجر فی الأرقم، وأبو الأعور السلمی فی ابن الأخنس، وحبيب بن سلمة فی أخویه فترکهم، وسأله ما نث من هبرة فی السکوي فردّه، فغضب وجلس فی بیته. (العصامي، سمط الحوم الدعوالی فی أنباء الأوائل والتوالی، 551).

أهل اليمن على نواحي دور كندة معذرين، فبلغ ذلك زياداً، فأثى على مدحج وهمدان، وذم أهل اليمن. فلما انتهى حجر إلى داره ورأى قلة من معه قل لأصحابه: انصرفوا، فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم، وما أحب أن أعرضكم للهلاك. فذهبوا ليصرفوا، فلحقهم أوائل خيل مدحج وهمدان، فعطف عليهم عمير بن يزيد، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو، وجماعة، فتقاتلوا معهم، فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا، وأسر قيس بن يزيد، وأفلت سائر القوم، فقال لهم حجر: لا أبا لكم! تفرقوا لا تقتلوا؛ فإنني آخذ في بعض هذه الطرق. ثم أخذ نحو طريق بني حرب من كندة، حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان [في الطبري، سليم] بن يزيد، فدخل داره، وجاء القوم في طلبه، ثم انتهوا إلى ثلث الدار، فأخذ سليمان بن يزيد سيفه، ثم ذهب ليخرج إليهم، فبكت بناته، فقل له حجر: ما تريد؟ لا أبا لك! فقال له: أريد والله أن ينصرفوا عنك؛ فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك. فقال له حجر: بنس والله إذن ما دخلت به على بناتك! أما في دارك هذه حائط أقتحمه أو خوخة أخرج منها، عسى الله أن يسلمني منهم ويسلمك؛ فإن القوم إن لم يقدروا علي في دارك لم يضرك أمرهم. قال: بلى، هذه خوخة تخرجت إلى دور بني العنبر من كندة، فخرج معه فتية من الحي يقصون له الطريق، ويسلكون به الأزقة، حتى أفضى إلى النخع، فقال عبد ذلك: انصرفوا، رحمكم الله. فانصرفوا عنه، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أحي الأشر، فدخلها، فإنه لكذلك قد ألقى له عبد الله الفرش، ويسط له السط، وتلقاه بيسط الوجه وحسن البشر إذ أتى فقيل له: إن الشرط تسأل عنك في النخع وذلك أن أمة سوداء يقال لها آدماء لقيتهم فقالت لهم من

تطلبون؟ قالوا: نطلب حجراً، فقالت: هو ذا قد رأيته في النخع، فابصرفوا نحو النخع؛ فخرج متنكراً، وركب معه عبد الله ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجد الأردني، فنزل بها، فمكث يوماً وليلة.

فلما أعجزهم أن يقدرُوا عليه دعا زياد محمد بن الأشعث فقال: أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها، ولا داراً إلا هدمتها، ثم لا نسلم مني بذلك حتى أقطعك إرباً إرباً. فقال له: أمهلني أطلبه. قال: قد أمهلتك ثلاثاً، فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهلكى. وأخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يتلّ تلاً عتيفاً. فقال حجر بن يزيد الكندي من بني مرة لزياد⁽¹⁾: ضمني وخل سبيله ليطلب صاحبه، فإنه مخلى سربه أخرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً. قال: أنضمته لي؟ قال: نعم. قال: أما والله لئن حاص عنك لأوردنك شعوب، وإن كنت الآن علي كريماً.

(1) إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد، وقد أتى به أسيراً، فقال هم: ما على قيس بأس، قد عرفنا رايه في عثمان، وبلاءه يوم صفين مع أمير المؤمنين، ثم أرسل إليه فأتى به، فقال له: إني قد علمت أنك لم تقا تل مع حجر؛ أنك ترى رايه، ولكن فالتت معه حمية قد غفرت لك لما أعلم من حسن رأيك، وحسن بلائك؛ ولكن لن أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير؛ قال: أجيتك به إن شاء الله؛ قال: فهات من يصميه لي معك، قل: هذا حجر بن يزيد يضمته لك معي؛ قال حجر بن يزيد: نعم أضمنه لك، على أن تؤميه على ماله ودمه، قال: ذلك لك، فاطلقا فأتيا به وهو حريح، فأمر به فأفر حديدًا، ثم أخذته الرجال ترفعه، حتى إذا بلغ سررها القوه، فوقع على الأرض، ثم رفعوه وألقوه، ففعلوا به ذلك مراراً، فقام إليه حجر بن يزيد فقال: ألم تؤميه على ماله ودمه أصلحك الله! قال: بلى، قد أمته على ماله ودمه، ولست أهرق له دماً، ولا أهد له مالاً. قل: أصلحك الله! يشفى به على الموت؛ ودنا منه وقام من كان عنده من أهل اليمن، فدوا منه وكلموه، فقال: أنضموه لي بنفسه، فمتى ما أحدث حدثاً أئتموني به؟ قالوا: نعم؛ قال: وتضمون لي أرض ضربة للمسلمي، قالوا: وضممتها؛ فحل سبيله (الطبري، السابق).

قال: إنه لا يفعل. فخلى سبيله. ثم إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد، وقد أتى به أسيراً، فقال: ما عليه من بأس، قد عرفنا رأيه في عثمان رضي الله عنه، وبلاءه مع أمير المؤمنين بصيين، ثم أرسل إليه فأتي به، فقال: قد علمت أنك لم تقا تل مع حجر أنك ترى رأيه، ولكن قاتلت معه حمية، وقد غفرنا لك لما نعمته من حسن رأيك، ولكن لا أدعك حتى تأتي بي بأخيكم عمير. قال: آتيك به إن شاء الله. قال: هات من يضمه معك. قال: هذا حجر بن يزيد. قال حجر: نعم، على أن تؤمنه على ماله ودمه. قال: ذلك لك. فذطلقا فأتيا به، فأمر به فأوقر حديداً، ثم أخذته الرجال ترفعه، حتى إذ بلغ سررها ألقوه، فوقع على الأرض، ثم رفعوه فألقوه، ففعل به ذلك مراراً، فقام إليه حجر بن يزيد، فقال: أو لم تؤمنه؟ قال: بلى، لست أهريق له دماً، ولا أخذ له مالاً. فقال: هذا يشفي به على الموت. وقام كل من كان عنده من أهل اليمن، فكلموه فيه، فقال: أنضمونوه لي بنفسه متى أحدث حدثاً أتيتموني به؟ قالوا: نعم. فخلى سبيله. ومكث حجر [بن عدي] في منزل ربيعة بن ناجذ يوماً وليلة، ثم بعث إلى ابن الأشعث غلاماً يدعى رشيداً من سبي أصبهان، فقال له: إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد، فلا يهولك شيء من أمره؛ فإني خارج إليك، فاجمع نفراً من قومك، وادخل عليه، واسأله أن يؤمنني حتى يبعثني إلى معاوية، فيرى في رأيه. فخرج محمد إلى حجر بن يزيد، وجريز بن عبد الله، وعبد الله أخي الأشتر، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر، فأجاب، فبعثوا إليه رسولاً يعلمونه بذلك. فأقبل حتى دخل على زياد، فقال له: مرحباً يا أبا عبد الرحمن، حرب في أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس! «على نفسها تحني براقش»، فقال له: ما خلعت يداً على طاعة، ولا فارقت جماعة،

وإني لعلی بيعتي. فقال: هيهات يا حجر، أتشج بيد وتأسو مأخرى، وتريد
إذا أمكنك الله منك أن ترضى! هيهات والله! فقال: ألم تؤمسي حتى اتى
معاوية، فبرى في رأيه. قال: بلى، انطلقوا به إلى السجن. فلما مضى به
قال: أم والله لولا أمانه ما برح حتى يلقط عصبه. فأخرج وعليه برس
في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزياد ما له عمل غير الطلب لرؤوس
أصحاب حجر. فخرج عمرو بن الحمق، ورفاعة بن شداد حتى نزلا
المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل، فأتيا جبلاً فكما فيه، وبلغ عامل
ذلك الرستاق - وهو رجل من همدان يقال له عبيد الله بن أبي بلتعة -
خبرهما، فسار إليهما في الخيل، ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرج،
فأما عمرو فكان بطنه قد استسقى، فلم يكن عنده امتناع. وأما روعة فكان
شاباً قوياً فوثب على فرس له جواد، وقال لعمرو: أقاتل عنك. قال: وما
ينفعني أن تقتل؟ انج بنفسك، فحمل عليهم، فأفروا له حتى أخرجه
فرسه، وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فلم يلحقه فارس إلا رماه،
فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه؛ فأخذ عمرو بن الحمق، فسأله: من
أنت؟ فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضرم عليكم،
فسأله فأبى أن يخبرهم، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان، وهو ابن
أم الحكم، الثقفي، فلما رأى عمراً عرفه. فكتب إلى معاوية بخبره. فكتب
إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات، وإنه لا يتعدى عليه،
فأطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان. فأخرج فطعن تسع طعنات، فمات
في الأولى مهن أو في الثانية، وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أول
رأس حمل في الإسلام.⁽¹⁾

(1) الأصماني، المرجع السابق.

أميال من دمشق، وهم: حجر بن عدي الكندي، والأرقم بن عبد الله الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وفبصة بن صبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف الجلي، وورقاء بن سمي الجلي، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان العنزيان، ومحرز بن شهاب المنقري، وعبد الله بن جؤية التميمي، وأتبعهم رباد برجلين، وهما عتبة بن الأحنس السعدي، وسعيد بن عمران الهمداني الناعطي⁽¹⁾، فكانوا أربعة عشر.⁽²⁾ فبعث معاوية إلى وائل بن

(1) وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية بن أبي سفيان حجر بن عدي الكندي، وهو أول من قتل صبراً في الإسلام، حمله زياد بن أبيه من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة، وأربعة من غيرها، وكان زياد بن أبيه شكاهم إلى معاوية وأنهم ينكرون عليه، وخاف من خلافهم وإثارتهم الفتنة، فحملوا إلى دمشق،... فلما صار إلى مرج عذراء تقدم البريد بأخبارهم إلى معاوية عليه السلام، فبعث برجل أعور، فسأشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم: إن صدق الزحر فإنه سيقتل مما النصف ويسجو البقون، فقبل له: وكيف ذاك قال: أما ترون الرجل المقبل مصعباً بإحدى عينيه؟ فلم وصل إليهم قال حجر: إن أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك، رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك، إلا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتترأوا منه، فقال حجر وجماعة ممن كان معه: إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا عما دعوتنا إليه، ثم القدوم على الله تعالى وعلى بيته عليه السلام وعلى وصيه أحب إلينا من دحول النار. وأجاب نصف ممن كان معه إلى البراءة من علي عليه السلام. (محمد بن عبد المنعم الحنبل، الروض الماطر في حرم الأقطار، 497).

(2) وفي حديث ابن سيرين قال: لما قدم زياد الكوفة لم يكن له هم إلا حجر، وأصحابه، فتكلم يوماً زياد وهو على المنبر فقال: إن من حق أمير المؤمنين، إن من حق أمير المؤمنين، مراراً فقال: كذبت ليس كذلك، فسكت زياد ونظر إليه، ثم عاد في كلامه فقال: إن من حق أمير المؤمنين، إن من حق أمير المؤمنين. مراراً. قال حجر: كذبت ليس كذلك، فسكت زياد ونظر إليه، ثم عاد في كلامه فقال: إن من حق أمير المؤمنين، إن من حق أمير المؤمنين. مراراً. فأخذ حجر كفاً من حصي فحصبه وقال: كذبت، عليك لعنة الله. قال: فأنحدر زياد من المنبر فصلى، ثم دخل الدار، وانصرف حجر فبعث إليه زياد الخليل والرجال، أجب، قال حجر: إني والله ما أ

حجر وكثير، فأدخلهما، وفض كتابهما، وقرأه على أهل الشام: «بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، من ريد بن أبي سفيان أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأداله من عدوه، وكفاه مؤونة من بغى عليه، إن طواغيت الترابية السابة [في الطبري، السنية] رأسهم حجر بن عدي، خلعوا أمير المؤمنين، وفارقوا جمعة المسلمين، ونصبوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم، وأمكننا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر وأشراقهم وذوي النهى والدين، فشهدوا عليهم بما رأوا، وعلموا، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا». فلما قرأ الكتاب قال: ما ترون في هؤلاء؟ فقال يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام، فتكفيهم طواغيتهم⁽¹⁾. ودفع وائل كتاب شريح [بن هاني] إليه، فقرأه وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من شريح بن هاني».

بالذي يخاف، ولا آتية أخاف على نفسي. قال ابن سيرين:.. فأبى زياد أن تقع عنه الخيل والرجال، حتى اصطلح أن يقبده بسلسلة، ويرسله في ثلاثين من أصحابه إلى معاوية؛ فلما خرج أتبعه زياد برداً بالكتب بالركض إلى معاوية، إن كان لك في سلطانك حاجة أو في الكوفة فاكفني حجراً، وجعل يرفع الكتب إلى معاوية حتى أهقه عليه، فقدم فدخل عليه فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال: وأمير المؤمنين أنا! قال: نعم ثلاثاً فأمر بحجر وبخمس عشرة رجلاً من أصحابه فد كتب زياد فيهم وسأهم، وأخرج حجراً وأصحابه الخمسة عشر، وأمر بضرب أعناقهم. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 830).

(1) لما انتهى الواصلون من قبل زياد بن أبيه بحجر بن عدي وأصحابه إلى مرج عذر، توجه الواصلون يكتب زياد إلى معاوية، فإذا فيها ما يقتضي توريطهم والشهادة عليهم بمخالفة الطاعة، فتردد فيهم معاوية وشاور فيهم، فكتب إليه زياد أما بعد فقد عجبت من اشتباه الأمر عليك فيهم فإن كانت لك حاجة بهذا المصر فلا ترد حجراً وأصحابه إلي، فخلى معاوية منهم ستة وقتل ثمانية منهم حجر بن عدي (محمد بن عبد المنعم الحيمري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 585).

أما بعد؛ فقد بلغني أن زياداً⁽¹⁾

(1) ويقال إن زياد دعا إلى الشهادة من أمسك عن الشهادة أو غاب فكتب زياد شهادتهم، وكتب زياد شهادة شريح بن الحارث الكندي القاضي وهو غائب، فلما بلغه ذلك كتب إلى معاوية: اني نبتت أن زياداً كتب إليك كتاباً في منزله ستره عن العمة أكد فيه شهادت قوم على حجر أخي كندة وسباني فيهم، ألا وإن شهادتي على حجر أنه رجس مسلم عفيف يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم شهر رمضان ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، وإن له لعنة في الإسلام، وقد رفعتها إنيك متقلد منها ما أنت مختار لنفسك، والسلام. فقال معاوية حين قر كتاب شريح: أما هذا فقد أخرج نفسه من الشهادة. وكان فيمن شهد على حجر شداد بن المنذر أخو حصين بن المنذر لأبيه، وكانت أمه نبطية من بارق، وهو موضع بطريق الكوفة، واسمها بزة وكانت تصغر فيقال بزيمة، ولم يكن ينسب إلا إليها، فلما مر اسمه برياد فرأى: وشهد شداد بن ببيعة قال: أما هذا أب ينسب إليه؟ فقلوا: هذا أخو حصين بن المنذر الرقاشي فقال: اطرحوا اسمه، فقال شداد: ولي على ابن الزانية وهن يعرف إلا سمية الزانية. وحمل زياد حجراً وأصحابه إلى معاوية في السلاسل على جمال أكثرهم صعباء، ووجه معهم شبت بن ربيع الرياحي، ووائل بن حجر الحضرمي، ومصقلة بن هيرة الشيباني ويقال ابنه وذلك أثت وكثير بن شهاب الحارثي، وكتب إليه: قد بعثت إليك بحجر ووجوه أصحابه؛ فلما عدوا قال عبيد الله بن الحر الجعفي: ألا أجد حسين فارساً ألا عشرين ألا خسة نفر يتعوي فأغتلصهم؟! فلم يجبه أحد، ومضى هم إلى الشام، فلم يدخلوا على معاوية، وأمر أن يحبسوا على معاوية، وأمر أن يرح عدوا، فحبسوا هناك. وكتب معاوية إلى زياد أن يتوقف في أمرهم. وتوقف معاوية في أمرهم، فمرة يرى قتلهم ومرة يرى الصبح عنهم، فكتب إليه زياد: قد عدحت من اشتباه الأمر عليك في حجر وأصحابه، وقد حضرت أمرهم وشهد خبر أهل مصر بما شهدوا به عليهم، فإن كانت لك في مصر حاجة فلا ترد حجراً وأصحابه. فلما قرأ معاوية الكتاب في جواب ما كتب به إلى زياد قال ما ترون يا أهل الشام؟ فقال عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان التقي، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية جدها حنادة، فقال معاوية: لا يقتني أمراً، وقال يزيد بن أسد الجلي أرى أن تعرفهم في قرى الشام فيكفيكم طواعينها، وقال له سعيد بن العاص: مرقهم في قتلهم بالشام يكمل كل قوم صاحبهم، ولعل طواعين الشام تكفيك أمرهم فكتب معاوية في وفاة بن سمي وعاصم بن عوف، وكتب فيها جرير بن عبد الله الحبي، فشفعه معاوية ووهبها له، وكلمه أبو الأعور السلمي في عتبة بن الأحنس فوهبه له،

كتب إليك بشهادتي على حجر^(١)، وإن شهادتي على حجر أنه ممن يقبم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام المال والدم، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فذعه». فقرأ كتابه على وائل، وقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم. فحبس القوم بعد هذا، وكتب

وكلمه حمزة بن مالك الحمداني في سعيد بن نمران فوهبه له، وكلمه حبيب بن مسلمة الفهري في أس حوية فخلى سبيله، وكلم في الأرقم فخلى سبيله، وكلمه مالك بن هبيرة السكوبي في حجر فلم يبيح، وقال: هذا رأس القوم، وهو أغفل المصير وأفسده، ولئن وهبت لك اليوم لاحتاجن أن تقتله غداً، فقال: والله ما أنصمتني، فالتت معك ابن عمك حتى ظفرت، ثم سألتك ابن عمي فسطرت علي من القول ما لا أنفع به، ثم انصرف فجلس في بيته. وبعث معاوية إلى من بقي منهم بأكرمان وحوط مع رجل من أهل الشام ليرعهم بذلك، وأمره أن يدعوهم إلى البراءة من علي وإظهار لعنه، وبعد من فعل ذلك أن يتركه، فإن لم يفعل قتل، فإن دماهم حلال لشهادة أهل مصرهم عليهم، فقالوا: اللهم فإيا لا نفعل ذلك. ثم أمر بقبورهم فحفرت وأديت أكفاسهم، فقاموا الليل يصلون، فلما أصبحوا عرض عليهم مثل الذي عرض فأبوه، وبعث إليهم معاوية هدبة الأعور بن فياص القصاعي والخصين بن عبد الله الكلبي وأبا شريف الفزاري ليقتلوه، فلما رأوهم يصلون قالوا: ما أحسن صلاتكم!! فلما تقولون في أمير المؤمنين عثمان؟ قالوا: جار في الحكم وعمل بغير الحق وخالف صاحبيه، فقتلوا: أمير المؤمنين أعلم بكم، وما كان الله ليظلمكم ولا يدعكم، وقال الهيثم بن عدي: هو ابن أبي شريف وقالوا: لما رأى حجر الأكفان قال: تكفوننا كأنا مسلمون، وتقتلوننا كأنا كافرون (بملاذري، أسباب الأشراف، 667).

(١) وذكر أن حبيباً أول من سن الركعتين عند القتل. قوله. هذا يدل على أنها سنة حارية، وكذلك فعلها حجر من عدي بن الأدرج حين قتله معاوية رحمة الله وذلك أن ريداً كتب من البصرة إلى معاوية يذكر أن حجراً وأصحابه، قد خرجوا على السلطان، وشقوا عصا المسلمين، ووجه مع الكتاب لك فيه شهادة سبعين رجلاً فيهم الحسن بن أبي الحسن البصري وابن سيرين والربيع بن ريد وجماعة من علية التابعين ذكرهم لطبري يشهدون بما قال زياد من خروج حجر بن عدي عليه، وكان حجر شديد الابتكار للظلم، غليظاً على الأمراء، وأنكر على زياد أموراً من الظلم فخرج عليه، ولم يكن قصده الخروج على معاوية، فلما حمل حجر إلى معاوية في حمسة من أصحابه (السهي، الروض الأنف، 321).

إلى زياد. «فهمت ما اقتضت من أمر حجر وأصحابه والشهادة عليهم، فأحياناً أرى أن أقتلهم أفضل، وأحياناً أرى أن العفو أفضل من قتلهم». وكتب زياد إليه مع يزيد بن حجة التيمي: «قد عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم مع شهادة أهل مصرهم عليهم، وهم أعلم بهم؛ فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجراً وأصحابه إليه. فمر يزيد بحجر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد، فقال له حجر: أبلغ أمير المؤمنين أنا على بيعته لا نقيلاً ولا نستقيلاً، وإنما شهد علينا الأعداء والأطناء؛ فقدم يزيد بن حجة على معاوية بالكتاب، وأخبره بقول حجر. فقال معاوية: زياد أصدق عند من حجر. وكتب جرير بن عبد الله في أمر الرجيين اللذين من بجيلة، فوهبهما له وليزيد بن أسد، وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكندي، فتركه، وطلب أبو الأعور في عتبة بن الأخنس فوهبه له، وطلب حمزة من مائث الهمداني في سعيد بن نمران فوهبه له، وطلب حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جؤية التيمي فخلى سبيله. ثمانية. فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك فابروا من هذا الرحل يخل سلككم. قالوا: لسنا فاعلين؛ فأمر بقبودهم فحلت، وأتي بأكفاهم فقاموا الليل كله يصلون. فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية يا هؤلاء، قد رأييناكم البارحة أطلتم الصلاة، وأحسستم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان، قالوا: هو أول من جار في الحكم، وعمل بغير الحق. فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرف بكم. ثم قاموا إليهم وقالوا: تراءون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقنته، فوقع

قيصة في يدي أبي صريف البدرى، فقال له قيصة: إن الشر بين فومي وقومك أمين، أي آمن وليقتلني غيرك، فقال: برتك رحم. فأخذ الحصرمي فقتله وقتل القضاعي صاحبه، ثم قال لهم حجر: دعوني أصلي ركعتين، فإني والله ما توصأت قط إلا صليت، فقالوا له: صل، فصلى ثم بصرف، فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن يروا أن ما بي جزع^١ من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمونا فإني أول فارس من المسلمين سلك في واديهما، وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها، فمضى إليه هذبة بن العياض الأعور بالسيف، فأرعدت خصائله، فقال: كلا، زعمت أنك لا تجزع من الموت، فإن ندعك، فابراً من صاحبك. فقال: ما لي لا أجزع، وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب، فقتله. وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة نفر، فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: اثنتوني بهما. فالتفتا إلى حجر، فقال له العنزي: لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مثوك!

(1) ولما أمر معاوية بقتل حجر بن عدي الكندي في ثلاثة عشر رجلاً معه قال حجر: دعوني أصلي ركعتين. فتوضأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطول فليل أحرعت^٩ فقد ما توصأت قط إلا صليت، ولا صليت قط صلاة أحف منهم وإن أخرج فقد رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً. فقيل له: مذهبك فقال إن ذلك لدم ما كنت لأعين عليه. فقدم فضربت عنقه. وكان معاوية بعث رجلاً بقال له هدية لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خشم فقال: إن صدوت الطيرة قتل مصنعا. فلما قتل سبعة بعث معاوية رسولا أحر بعافيتهم فلم يقتل الباقون (ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، 63).

فعم أحو الإسلام كنت، وقال الخثعمي نحو ذلك. ثم مضى بهما، فالتفت العنري، فقال متمثلاً:

كفى بشماعة القبر بعداً لهالك وبالموت قطعاً لحبل القرائن
فلما دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية! إنك مقول من هذه
الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردت بقتلتنا، وفيما
سفكت دماءنا. فقال: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك، أئبراً من
دين علي الذي كان يدين الله به! وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه،
فقل: هو لك، غير أنني حابسه شهراً، فحبسه، ثم أطلقه على ألا يدخل
الكوفة ما دام له سلطان. فنزل الموصل، فكان ينتظر موت معاوية ليعود
إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر. وأقبل على عبد الرحمن بن حسان،
فقل له: يا أخا ربيعة، ما تقول في علي؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله
كثيراً والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والعافين عن الناس. قال:
فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب
الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، لا ربيعة بالوادي؛ يعني أنه
ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه. فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: إن
هذا شر من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة. فلما
قدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف، فدفعه حياً.

قال أبو مخنف، عن رجاله: فكان من قتل منهم سبعة⁽¹⁾ نهر: حجر بن

(1) فقتلوه وقتلوا ستة معه وهم: شريك بن شداد، وصيفي بن فضيل، وقبصة بن
حيفة، وعمر بن شهاب، وكرام بن حبان ودفعوهم وصلوا عليهم بعد الرحمن
من حسان المعتزي وجيء بكريم بن الخثعمي إلى معاوية فطلب منه الرأفة من علي
فسكت، واستوهبه سمرة بن عبد الله الخثعمي من معاوية فوهبه له، على أن لا يدخل

عدي^(١)، وشريك بن شداد الحضرمي^(٢)، وصيفي بن فسيل الشيباني^(٣)، وقبيصة بن صبيعة العبسي^(٤)، ومحرز بن شهاب المنقري^(٥)، وكدام بن حيان العنري وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن مسمي السحلي، وأرقم بن عبد الله الكندي، وعتبة بن الأخنس السعدي من هوازن، وسعيد بن نمران الهمداني^(٦).

قال: ولما بلغ الحسن البصري قتل حجر وأصحابه قال: أصلوا عليهم

الكوفة، فنزل إلى الموصل ثم سأل عبد الرحمن بن حسان عن علي فأثنى خبراً. ثم عن عثمان فقال: أول من فتح باب الظلم، وأغلق باب الحق فردّه إلى زياد ليقتله شر قتلة فدفنه حياً وهو سابع القوم. (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 757)

(1) وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حُجْرَ بن عدي الكِنْدِيُّ، وهو أولي من قتل صبراً في لإسلام. حملة زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها (المسعودي، مروج الذهب، 348). راجع: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 804

(2) شريك بن شداد (51 - 00 هـ - 671 م) شريك بن شداد الحضرمي: شجاع من الرؤساء. كان من أصحاب علي، ثم سكن الكوفة. وعمل للثورة على معاوية، متفق مع حجر بن عدي، فقبض عليه زياد، ووجهه إلى الشام، فقتله معاوية بمرج عذراء. (لزركلي، الأعلام، 409).

(3) صَيْفِي بن فسيل (51 - 00 هـ - 671 م) صيفي بن فسيل الشيباني: أحد الشعاعين المدكورين، من أصحاب علي بن أبي طالب. كان يقيم في الكوفة واشترك في ثورة الناس على بني أمية، فقتله معاوية صبراً بالشام مع عدي بن حجر (المراجع لسائق، 433).

(4) قَبِيصَةُ بن صبيعة العبسي: شجاع مقدم من أصحاب علي بن أبي طالب كانت إقامته بالكوفة وحرص الناس على مناواة بني أمية بعد مقتل علي فقتله معاوية مع حجر بن عدي بالشام (المراجع السابق، 786).

(5) محرز بن شهاب السعدي التميمي: من مقدمي أصحاب علي. كان موصوفاً بالشجاعة وحمولة الرأي. قتله معاوية بعد أن قبض عليه زياد بن أبيه في الكوفة مع حجر بن عدي (المراجع السابق، 839).

(6) الأصهباني، المرجع السابق.

وكفؤهم ودفنؤهم واستقبلوا بهم القبلة؟ قالوا: نعم. قال: ححوهم ورب الكعبة! (١).

«وبعث معاوية إلى مالك بن هيرة (٢) لما غضب بسبب حجر مائة ألف درهم، فرضي. قال أبو مخنف: فحدثني ابن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، قال: أدركت الناس يقولون: أول ذلك دخل الكوفة قتل حجر، ودعوة زياد، وقتل الحسين. قال: وجعل معاوية يقول عند موته: أي يوم لي من ابن الأدهر طويل! قال أبو مخنف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي أن عائشة (٣) بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت. (٤) قال: وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لولا أنا لم تغير شيئاً قط إلا آلت بها الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرن قتل

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415.

(٢) وقام مالك بن هيرة السكوني، فقال: دع لي ابن عمي حجراً، فقال: «هو رأس لقوم، وأخاف إن خبيت سيئه أن يفسد علي مصره، فأحتاج أن أشخصك إليه بالعراق! فقال: «والله ما أضعفتني يا معاوية! فأتيت معك ابن عمك يوم صفر حتى طعرت وعلا كعبك، ولم تخف الدوائر، ثم سألتك ابن عمي فمستني إياه». ثم انصرف فجلس في بيته (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415).

(٣) قال: ولما بلغ خبر حجر عائشة رضي الله عنها، أرسلت عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية فيه وفي أصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: «حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت!» وقلت عائشة: «لولا أنا لم تغير شيئاً إلا صارت بها الأمور إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر! أما والله إن كان ما علمت مسلماً حجلاً معتمراً! (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415). راجع أيضاً: (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 830).

(4) راجع: ابن سعد، طبقات، 1159.

حجر، أما والله إن كان لمسلماً ما علمته حاجاً معتمراً»⁽¹⁾

«قال أبو الأسود: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء، حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين، إني رأيت قتلهم صلاحاً للأمة، وأن بقاءهم فساد للأمة. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء. وعن علي بن أبي طالب قل: يا أهل الكوفة، سيقتل منكم سبعة نفر خياركم، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود، منهم حجر بن الأديب وأصحابه. قتلهم معاوية بالعذراء من دمشق كذبهم من أهل الكوفة. وروي أن الحسن بن علي أتاه ناس من أهل الكوفة من السبعة، فشكوا إليه ما صنع زياد بحجر وأصحابه، وجعلوا يبكون عنده، وقالوا: نسأل الله أن يجعل قتله بأيدينا. فقال: مه، إن في القتل كفارات، ولكن نسأل الله أن يميتته على فراشه. قال مروان بن الحكم: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت: يا معاوية: قالت حجراً وأصحابه، وفعلت الذي فعلت، أما خشيت أن أخبأ لك رجلاً فيقتلك! فقال: لا، إني في بيت أمان، سمعت رسول الله ﷺ يقول: الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك؟ قالت: صالح. قال: فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل. قال سفيان الثوري: قال معاوية: ما قتل أحد إلا وأنا أعلم فيم قتله، وما أردت به، إلا حجر بن عدي، فإنني لا أعرف فيم قتله. وكان قتل حجر بن عدي سنة إحدى وخمسين، وقيل: قتل سنة ثلاث وخمسين، وفيها مات زياد بن أبي سفيان. قال أبو بكر بن عياش: دخل عبد الله بن يزيد بن أسد على معاوية وهو في مرضه الذي مات فيه، فرأى منه جرعاً فقال: ما يجرعك يا أمير المؤمنين إن مت؟ قال: الحنة. وإن عشت، فقد علم الله حاجة الناس إليك. قال: رحم الله أباك إن كان لأصحاباً،

(1) الأصبهاني، المرجع السابق.

نهاني عن قتل ابن الأديب يعني حجرًا، ثم عاده عبد الله بن يزيد فعاد معاوية مثل ذلك القول»⁽¹⁾.

«ولما قتل حجر بن عدي وأصحابه استفظع أهل الكوفة ذلك استفظعاً شديداً، وكان حجر من عظماء أصحاب علي، وقد كان علي أراد أن يويه رياسة كندة ويعزل الأشعث بن قيس، وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المرار، فأبى حجر بن عدي أن يتولى الأمر والأشعث حي. فخرج نفر من أشراف أهل الكوفة إلى الحسين بن علي، فأخبروه الخبر، فاسترجع وشق عليه، فأقام أولئك النفر يختلفون إلى الحسين بن علي، وعلى المدينة يومئذ مروان بن الحكم، فترقى الخبر إليه، فكتب إلى معاوية يعلمه أن رجالاً من أهل العراق قدموا على الحسين بن علي ﷺ، وهم مقيمون عنده يختلفون إليه، فكتب إلي بالذي ترى. فكتب إليه معاوية: لا تعرض للحسين في شيء، فقد بايعنا، وليس بناقض بيعتنا ولا مخفر ذمتنا. وكتب إلى الحسين: أما بعد، فقد انتهت إلى أمور عنك لست بها حرياً، لأن من أعطى صفقة يمينه جدير بالوفاء؛ فاعلم رحمك الله أنني مني أنكرك نستكرني، ومتى تكذني أذكك، فلا يستفزك السفهاء الذين يحبون الفتنة والسلام»⁽²⁾.

«قام مالك بن هيرة، فسأله [معاوية] في حجر فلم يشفعه؛ وغضب وجلس في بيته»⁽³⁾. وبعث معاوية هذبة بن فياض القضاعي والحصين بن

(1) س مطور، مختصر تاريخ دمشق، 851.

(2) (أبو حذيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 88).

(3) وأما مالك بن هيرة السكوني حين لم يشفعه معاوية في حجر، فإنه جمع قومه وسارهم إلى عذراء ليخلص حجراً وأصحابه، فلقية قتلهم، فلما راوه علموا أنه جاء

عبد الله الكلابي، وآخر معهما يقال له أبو صريف [في الطبري، شريف] السدي، فأتوهم عند المساء، فقال الخثعمي حين رأى الأعور: يقتل نصف ويحرق نصفاً⁽¹⁾. فقال سعيد بن تمران: اللهم اجعلني ممن يسجد، وأنت

يخلص حجراً، فقال لهم: ما وراءكم؟ قالوا: قد ناب القوم وحبب شجر تمر المؤمنين. فسكت وسار إلى عذراء فلقية بعض من جاء منها فأحرقه بقتل القوم، فأرسل الخليل في قتلهم فلم يدركوهم، ودخلوا على معاوية فأحرقوه، فقل هم: إنها هي حررة يجدها في نفسه، فكأنها قد طففت. وعاد مالك إلى بيته ولم يأت معاوية، فلما كان الليل أرسل إليه معاوية مائة ألف درهم، وقال «ما تمنني أن أشفعك إلا خوف أن تعيدوا لنا حرباً، فيكون ذلك من اللاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر». فأخذها وطابت نفسه. (النويري، هاية الأرب في فنون الأدب، 2415)؛ أنظر أيضاً: وأما مالك بن هبيرة السكوني فلما لم يشعه معاوية في حجر، جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه، فلقى القتلة وسألهم، فقالوا: مات القوم، وسار إلى عدي فتيق قتلهم فأرسل في أثر القتلة فلم يدركوهم، وأحرق معاوية فقال: تلك حرارة يجدها في نفسه وكأنها قد طففت. ثم أرسل إليه بهيمة ألف وقال: خفت أن يعيد القوم حرباً فيكون على المسلمين أعظم من قتل حجر فطفت نفسه. (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 757).

(1) ولد صار إلى مرج عفرأ على اثني عشر ميلاً من دمشق تقدّم البريد بأخبارهم إلى معاوية، فبعث برجل أغور، فلما أشرف على حُجر وأصحابه قال رجل منهم: إن صدق الزُجر فإنه سيقتل منا النصف وينجو الباقي، فقبل له: وكيف ذلك. قل: أما ترون الرجل المقبل مُضاً بإحدى عيبيه، فلما وصل إليهم قال لبحر: إن أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب وقتل أصحابك، إلا أن ترجعوا عن كركم، وتلعنوا صاحبكم وتبرؤوا منه، فقل حُجر وجماعة ممن كان معه: إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا من تدعونا إليه، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار، وأحب نصف من كان معه إلى البراءة من علي، فلما قدّم حجر ليقتل قال: دعوني أصلي ركعتين، فجعل يطول في صلاته، فقيل له: أجزعاً من الموت؟ فقال: لا، ولكي ما نظهرت للصلاة قط إلا صليت، وما صليت قط أخف من هذه، وكيف لا أجزع، وإني لأرى قرأ محفوراً، وسيفاً مشهوراً وكُفناً منشوراً، ثم تقدم فنحر، وألقى به من واقفه على فوله من أصحابه، وقيل: إن قتلهم كان في سنة خمسين. (المسعودي، مروج الذهب،

عني راض. فقال عبد الرحمن بن حسان العتري: اللهم اجعلني ممن يكرم بهواهم وأنت عني راض، فطالما عرضت نفسي للقتل، فأبى الله إلا ما أريد. فحاء رسول معاوية إليهم فإنه لمعهم إذ جاء رسول بتخيلة ستة منهم وبقي ثمانية⁽¹⁾. فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عبيكم

(349)؛ أطر: حليفة بن حياط، تاريخ حليفة 50.

(1) كان هدبة أعور فلما رآه كريم بن عفيف الخثعمي قال: يقتل نصفكم ويسجو نصفكم، فقل ابن نمران. اللهم اجعلني ممن ينجو وأنت عني راض، وقال عبد الرحمن بن حبان العتري. اللهم اجعلني ممن يكرم بهواهم وأنت عني راض، فعزلوا الثمانية، وعرضوا على الباقيين الرأفة من علي رضي الله تعالى عنه، فقال كريم بن عفيف وعبد الرحمن بن حبان: انطلقوا بنا إلى معاوية فنحن نقول بقوله، فعزلوهما وأبى الآخرون. قالوا: وأخذ كل رجلاً قتلته، وسألم حجر أن يصلي ركعتين فأذنوا له في ذلك، فصلى وقصر ثم قال: والله ما صليت قط أقصر منها لأبي خفت أن تظنوا بي أني أصت صلاتي جزعاً من القتل، فقتله الأعور بن فياض بالسيف، ويقال: ذبحه ذبحاً، وجيء بكريم بن عفيف الخثعمي وعبد الرحمن بن حبان إلى معاوية، فأما الخثعمي فقد له ما تقول في علي؟ قال: مثل مقاتك أنا أبرأ من دين علي الذي يدين به فحبسه شهراً ليستبرئ أمره، فكلّمه فيه شمر بن عبد الله الخثعمي فحلى سبيله على أن لا يدخل الكوفة، فأتى الموصل فأقام بها ومات قبل معاوية بشهر، وأما ابن حبان فقد له: ما تقول في علي، قال. كان من الذاكرين كثيراً والأميرين بالحق سرا وجهراً، فلا تسألني عن هذا فهو حير لك، فبعث به إلى زياد وكتب إليه أن يقتله شر قتلة، فبعث إلى قس الناطف مدني حياً وقال المهشم بن عدي: حل هدبة بن فياض الأعور على حجر بالسيف فاقناه، فقال: ألم تزعم أنك لا تجزع من الموت؟ فقال: وما يسمي وأأرى سبعا مشهوراً وكفتاً منشوراً وقبراً محفوراً، ولا أدري على ما أقدم، فقتلوا وكفتمو ودموا وقال المهشم. قال عوانة: قال حجر: الله بيننا وبين أمّنا، أما أهل العراق فشهدوا عينا، وأما أهل الشام فقتلونا، والله لقد فتحت هذا الموضع وإي لأرحو أن أكون شهيداً فيه؛ وهو كان فتح مرج عذراء. قال: ولما صلى ركعتين فقصرهما فقد والله لئس كانت صلاتي فيما مضى لم تنفعني ما هاتان الركعتان نافعتي. وقال لدائني أحد زياد بعد مضي حجر رجلين: عتبة بن الأختس من بني سعد بن بكر، وسعيد بن عمران الحمذاني، فبعث بهما مع يزيد بن حجابة التيمي وعامر بن الأسود العجلي حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن ابن عوانة عن أبيه قال: دعا معاوية

البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وأمير المؤمنين يزعم أن دعاءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عما عن ذلك فابروا من هذا الرجل يخل سبيلكم. قالوا: لسنا فاعلين، فأمر بقيودهم فحلت، وأتي بأكفانهم فقاموا الليل كله يصون فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء، قد رأيناكم البرحة أظنتم الصلاة، وأحسستم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان، قالوا: هو أول من جاز في الحكم، وعمل بغير الحق. فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرف بكم. ثم قاموا إليهم وقالوا: تبرءون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله، فوقع قبيصة في يدي أبي صريف البدرى، فقال

عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري فقال: اذهب فاقتل حجراً وأصحابه، فقال: أما وجدت رجلاً أجهل بالله وأعمى عن أمره مني؟! فدعا هذبه بن الفياض الأعور فاعطاه سيفاً، وسرح معه عدته، وأمره أن يعرضهم على البراءة من علي، ففإن فعلوا ولا قتلهم، وبعث معه بأكفان وأمر أن يقبروا، فعرض عليهم ما أمر به معاوية، فلم يجيبوا، فقتلوا ودبح حجر ذبحاً، وبلغ ذلك أمه فشرفت وماتت... عن غيث بن إبراهيم قال: بعث معاوية ابن خريم المري جد أبي الهيثم ليقتلهم، فلما صدر إليهم قال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، فقال: على معاوية لعنة الله يأمرني بقتل المسلمين!! ثم انصرف، ثم بعث عبد الله بن يزيد أبا خالد بن عبد الله فقتلهم، وذلك غير ثبت. حدثني روح بن عبد المؤمن عن سعيد بن عامر عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال: لما أتى معاوية بحجر قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، قال: أو أمير المؤمنين أنا؟! اضربا عنقه، قال: دعوني أصل فصلى ركعتين خضعت ثم قال: لولا أن يطوا أن الذي بي غيره، يعني من خوف الموت، لأطلتهما، فلعمرى لئن كانت صلاتي لا تنفعني فيما مضى لا تنفعني الآن، ثم قال لأهله: لا تطلقوا عني حديثاً ولا تعملوا عني دعاء، فإني لاق معاوية عن أعلى الجادة، فكان ابن سيرين إذا سئل عن عمل الشهيد حدث بهذا الحديث. والمجتمع عليه أنه لم يدخل على معاوية وقال الهيثم بن عدي: كان الذي كفن حجراً وأصحابه هذبه من بني سلامان إحوة عدرة (البلاذري، أنساب الأشراف، 668).

له قيصة: إن الشر بين قومي وقومك أمين، أي آمن فليقتلني غيرك، فقال: برئت رحم فأخذ الحضرمي فقتله. وقتل القضاءي صاحبه، ثم قل لهم حجر: «دعوني أصلي ركعتين، فإني والله ما توفضأت قط إلا صليت،

(1) وقال هشام بن عمار سمعت مشايخنا يتحدثون أنه قيل لحجر بن الأدي: مد عتقك، قال: إنه دم ما كنت لأعين عليه، فأقيم وضربت عتقه، رحمه الله تعالى. حدثني عمر بن شبة عن سعيد بن عامر عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال: لما أتى معاوية بحجر قال: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله، قال: وأما عندك أمير المؤمنين؟! أضرع عتقه. قالوا: وجمع مالك بن هيرة هوعاً وغضب لقتل حجر، وأنه لم يجب إلى إطلاقه، فبعث إليه معاوية بائة ألف وداراه حتى رضي... عن شر حبيب بن مسلم قال: لما أتى معاوية بحجر بن عدي وأصحابه حسهم بمرج عذراء، فأوصى حجر فقام. ادفوني وما أصاب الأرض من دمي، ولا تطلقوا حديدي، فإني سألقى معاوية غداً، إني والله ما قتل أحداً، ولا أحدث حدثاً، ولا أوت حدثاً. حدثنا عمرو الناقد حدثنا سماعيل بن إبراهيم يعني ابن علي عن ابن عون عن نافع قال: لما بلغ ابن عمر قتل حجر بن عدي وهو محتب حل حوته وقام وقد غلبه النجيب. قالوا: فكان من قتل بعذراء: حجر بن عدي، شريك بن شداد الحضرمي ثم التيمي، صفي بن فصيل الشيباني، قيصة بن صبيعة بن حرملة العبسي، محرز بن شهاب المنفري، كدام بن حيان الغنزي من بني هميم وكان بعضهم يقول المصري من عبد القيس عبد الرحمن بن حيان دفن حياً بالكوفة. وكان من نجا منهم: كريم بن عفيف الخثعمي، عبد الله بن حوية السعدي، عاصم بن عوف البجلي، وقاء بن سمي البجلي، الأرقم بن عبد الله الكندي، عتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر، سعيد بن نمران الهمداني، وصلي على حجر ومن قتل معه ودفنوا، يرهمهم الله. وقد قيل: أن ربعي بن حراش كان ممن حمل مع حجر، فكلم فيه يزيد بن الحر العبسي، فعلى سبيله. وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال: مشى هذبة بن قياص إلى حجر بالسيف فأرعد فقلد كلا، زعمت أنك لا تجزع من الموت، قال: وإن جزع فتني لا أقول ما يسخط الرب، فعنه وحرقيقه.... عباس بن هشام عن أبيه قال: كان حجر فتح حين عز المسمون الشام مرج عذراء، فلما أرادوا قتله وهو بها قال: لئن قتلت بها إني لأول من نحتة كلاها، ومشى في أكتافها، وكبرا في وادها. حدثني العمري عن الميثم عن أبي جباب قال: لم يبعث معاوية إلى حجر وأصحابه بأكفان، ولكن عشائرهم حاوؤ، بأكفان فكسروهم فيها ودفنهم. وحدثني أبو فراس الشامي عن هشام بن الكلبي عن أبيه

أن مسروقاً قال قالت عائشة حين قتل حجر: لو علم معاوية أن عبد أهل الكوفة
معة وعبراً ما احتراً على قتل حجر وأصحابه، ولكن ابن أكلة الأكباد عدم أن لباس
قد ذهبوا، قالوا: وبعث معاوية رجلاً وقال له: امض حتى تجلس إلى الحسين وسعي
حجر، وانظر ما يقول، فقال له الرجل: إن معاوية قتل حجراً وأصحابه قال ثم
صع ماذا؟ قال: كفنهم ودفنهم، فقال: خصموه ورب الكعبة، ثم ترحم على حجر
قدوا وبعثت عائشة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية ليستأجره الصع عن
حجر وأصحابه، فوحده قد قتلهم، فقال له: أقتلت حجراً! فقال: إنه جلع يدا من
انطاعة وفارق الجماعة وفعل وفعل، فقال له: وابن كان حملك وأحلام بني حرب
عنت؟ قال: غابت عني حين عاب عني مثلك من حلفاء قومي. حدثنا أبو عبد الرحمن
الجعفي مشكدة عن عبد الله بن المبارك عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن أبي مبيكة
أن معاوية لما حج أتى باب عائشة رحماً الله يستأذن فلم تأذن له، فلم يزل بها ذكوان
غلامها حتى أذنت له، فذكرت أمر حجر فقال: خشيت فتنة فكان قتله حياً من حرب
تهراق فيه الدماء وتسحل المحارم، فدعيني يفعل الله بي ما يشاء، فعدت: ندعت
والله، بدعت والله. (البلاذري، أنساب الأشراف، 669). راجع أيضاً، السابق، 670؛
الذي يضيف: لما قتل حجر بن الأديب وأصحابه، ومعاوية بن حديج بفرقية، بغه
قتله فقام في أصحابه فقال: يا اشقائي في الرحم، وأصحابي في السفر، وجبرتي في
الحضر، نقاتل لقرش في الملك حتى إذا استقام لهم قتلونا!؛ وأخذ زياد حجر بن
عدي الكندي وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية، فكتب فيهم
أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، وزروا على الولاة، فخر حوا بذلك من الطاعة،
وأنفذ شهداء قوم أولهم بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فمما صاروا
بمرج هدرأ من دمشق على أميال، أمر معاوية بإيقافهم هناك، ثم وجه إليهم من
يضرب أعناقهم، فكلمه قوم في ستة منهم، فوقف عنهم، فقتل سبعة: حجر بن عدي
الكندي وشريك بن شداد الحصرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن صبيعة
العسي، وحرز بن شهاب التميمي، وكدام بن حيان العنزي، ولما أراد قتلهم قال
حجر بن عدي: دعوني حتى أصلي، فصلى ركعتين خفيفتين ثم أقبل عليهم فقال لو
لا أن نطوي، بي خلاف ما بي لأجيت أن تكوبا أطول مما هما، وإلى الأول من رمي سهم
في هذا الموضع، وأول من ملك فيه. فقيل له: أجزعت؟ فقال: ولم لا أجزع، وأنا أرى
مبعأ مشهوراً، وكفناً منشوراً، وقبراً محفوراً؟ ثم ضربت عنقه وأعاق القوم، وكفوا
ودعوا، وكان ذلك في سنة اثنان وخسين. وقال معاوية للحسين بن علي ما أرا عبد
الله! علمت أننا قتلنا شيعة أبيك، فحنطناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم، ودعاهم؟

فقالوا له: صل، فصلى ثم انصرف، فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولو لا أن يروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أمتكر منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمونا فإني أول فارس من المسلمين سلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها، فمضى إليه هدية بن الفياض⁽¹⁾ الأعور بالسيف، فأرعدت خصائله، فقال: كلا، زعمت

فقل حسين. حرك، ورب الكعبة، لكننا والله إن قتلنا شيعة ما كفناهم، ولا حفظناهم، ولا صلينا عليهم ولا دفناهم. وقالت عائشة لمعاوية حين حج، ودخل إليها: يا معاوية! أقتلت حجراً وأصحابه، فأبى عزب حلمك عنهم؟ أم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل بمرج عذراء نفر يفضب لهم أهل السموات. قال: لم يحصرني رجل رشيد، يا أم المؤمنين. وروي أن معاوية كان يقول: ما أعد نفسي حبياً بعد ثني حجراً وأصحاب حجر (البغوي، تاريخ البغوي، 20)، لا قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه، لقي في ذلك العام الحسين عليه السلام فقال: أما عبد الله هل بلغك ما صنعت بحجر وأصحابه من شيعة أبيك؟ فقال: لا. قال: إنا قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم، فضحك الحسين عليه السلام، ثم قال: خصمك القوم يوم القيامة يا معاوية. أما والله لو ولينا مثلها من شيعة ما كفناهم ولا صلينا عليهم. وقد بعثني وقورك بأبي حسن، وقيامك واعتراضك بني هاشم بالمعوية، وإيم الله لقد أوترت غير قوسك، ورميت عبر عرضك، وتناولتها بالمعوية مكار قريب، ولقد أطعت امرأة العاص (الأي، نثر الدر، 68).

(1) وبعث معاوية هدية بن فياض القضاعي، والحصين بن عبد الله الكلابي، وأما شريف السدي إلى حجراً وأصحابه، ليقتلوا منهم من أمر بقتله، فأتوهم وعرضوا عليهم الرءة من عبي، فأبوا وصلوا عامة ليلتهم، ثم قدموا من الغد للقتل، فتوصاً حُجر وصلى وقال: والله لو لا أن يظنوا بي الجزع من الموت، لاستكرت منها، اللهم إنا نستعديك على أمتنا، أهل الكوفة يشهدون علينا، وأهل الشام يقتلوننا، ثم مضى إليه هدية بن فياض بالسيف فارتعد، فقالوا له: كيف وأنت تزعم أنك لا تجزع من الموت، فداراً من صاحبك ونحن ندعك! فقال: وما لي لا أجزع، وأنا بين القبر والكفر والسيف، وإن حررت من القتل، لا أقول ما يسخط الرب فقتلوه، وقتلوا خمسة معه. شريك بن

أنك لا تجزع من الموت، فإننا ندعك، فأبرأ من صاحبك. فقال ما لي لا أجرع، وأن أرى قبراً محفوراً، وكفنّاً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وربي والله إن حرعت لا أقول ما يسخط الرب، فقتله. وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة نفر، فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف: اعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: اثنتي بهما. فالتفتا إلى حجر، فقال له العنزي: لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مثواك؛ فنعم أخو الإسلام كنت، وقار الخثعمي نحو ذلك. ثم مضى بهما، فالتفت العنزي، فقال متمثلاً:

كفى بشفاة القبر بعداً لهالك وبالموت قطعاً لحبل القرائن
فلما دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية! إنك منقول من هذه

شهاد، وصيفي بن فضيل، وقبيصة بن ضبيعة، ومحرز ابن شهاب، وكرام بن حيان، وصلفوا عليهم ودفنوه. وحيء بعبد الرحمن بن حيان العمري، وكريم الخثعمي إلى معاوية، فوعظه الخثعمي، وطلبه معاوية البراءة من علي، فسكت واستوبه سمرة بن عبد الله الخثعمي، فوجه له علي ألا يدخل الكوفة، فزل الموصل، ثم سأل معاوية عبد الرحمن بن حسان عن علي، فأثنى خيراً، ثم عن عثمان، فقال: أول من فتح باب الظلم، وأغلق باب الحق، فردّه إلى زياد ليقتله شر قتلة، فدفعه زياد حياً، فهو سبع القوم. وأما مالك من هيرة السكوني، فلما لم يشفعه معاوية في حجر، جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه، فلفي القتلة وسألهم، فقالوا: تاب القوم، وسار إلى عذرة فتيقن قتلهم، فأرسل في أثر القتلة، فلم يدركوهم، وأخير معاوية بها فعل مالك، فقال: تلك حرارة يجدها في نفسه، وكأني بها قد طفئت، ثم بعث إليه بائة ألف، وقال: حمت أن يعيد القوم حرباً؛ فتكون على المسلمين أعظم من قتل حجر، فطابت نفس مالك ولما بيع عائشة حر حجر وأصحابه، أرسلت عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية تشفع، فحاج وقد قتلوا، فقال لمعاوية: أين غاب عنك حلم أبي سفيان. قال: حين غاب عني مثلث من حلماة قومي، وحلني ابن سمية فاحتملت وأسفت عائشة على قتل حجر وكانت تبتني عليه. (العصامي، سبط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتواي، 552)

الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردت بقتلك، وفيما سفكت دماءنا. فقال: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك، أتبراً من دين علي الذي كان يدين الله به! وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك، غير أنني حابسه شهراً، فحبسه، ثم أطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان. فنزل الموصل، فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر. وأقبل على عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا أخا ربيعة، ما تقول في علي؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً والأمريين بالمعروف والناهين عن المنكر، والعافين عن الناس. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، لا ربيعة بالوادي؛ يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه. فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: إن هذا شر من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة. فلما قدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف، فدفنه حياً⁽¹⁾.

راجع أيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 294؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 1635؛ الرركلي، الأعلام، 247؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2936؛ البخاري، التاريخ الكبير، 196؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ص ص 214، 688.

(1) الأصبهاني، السابق.

الفصل الخامس

محمد بن أبي بكر الصديق

«محمد بن أبي بكر (10 - 38 هـ - 632 - 658 م) محمد بن عبد الله - أبي بكر - بن عثمان بن عامر التيمي القرشي أمير مصر، وابن الحليفة الأول أبي بكر الصديق. كان يدعى عامر قريش؛ ولد بين المدينة ومكة، في حجة الوداع وشأ بالمدينة، في حجر علي بن أبي طالب، وكان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه، وشهد مع علي وقتي الحمل وصهين.

(1) وتزوج علي بأمه أسماء بنت عميس، بعد وفاة أبي بكر، وكان أبو بكر تزوجها بعد قتل جعفر بن أبي طالب، وكان رسه في حجره، وشهد مع علي حمل، وكان على الرحالة، وشهد معه صهين، ثم ولده مصر فقتل بها، وكان ممن حصر عثمان بن عفان ودخل عليه ليقتله، فقال له عثمان لو رأيتك نوك لساء فقلت 'فركه وحره، وما ولي مصر، سار إليه عمرو بن العاص فاقتلوه، فهرم محمد ودخل حرية، فأخرج منه وقتل، وأحرق في خوف جد ميت، قبل فتنه معاوية بن حذيف السكوي، وقيل قتله عمرو بن العاص صراً، ولم ينع عائشة قتله، شتد عليها، وقالت كنت أعده وهداً واحداً، ومد أحرق لم تأكل عائشة لحماً مشوياً، وكان له فصل وعادة، وكان عي يشي عليه، وهو آخر عبد الله بن جعفر لأمه، وأخو يحيى بن علي لأمه (أهيشمي، مجمع الروائد، 979)

وولاه على إمارة مصر⁽¹⁾، بعد موت الأشتر⁽²⁾، فدخلها سنة 37 هـ ولما اتفق عليّ ومعاوية على تحكيم الحكمين، وت عليّ أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر. وانصرف علي يريد العراق، فبعث معاوية عمرو بن العاص بحيش من أهل الشام إلى مصر، فدخلها حرباً، بعد معارك شديدة، واحتفى ابن أبي بكر، فعرف معاوية من حديق مكانه، فقبض عليه وقتله وأحرقه، لمشاركته في مقتل عثمان بن عفان، وقيل: سم يحرق⁽³⁾. ودفنت جثته مع رأسه في مسجد يعرف بمسجد رمام حارح

(1) وقال الوفاي: ولم ير عبد الله بن سعد ولب [عن مصر] حتى علم محمد بن أبي حذيفة على مصر، وهو كبر أبعثه على عثمان، ثم إن عليّ بن أبي قيس بن سعد بن عذرة الأنصاري مصر، ثم عثره و ستعمل عليه محمد بن أبي بكر الصديق، ثم عثره وولى مالك الأشتر، فاعتز بالقلزم ثم ولى محمد بن أبي بكر ذبه ورده عليه فقتله معاوية من حديق وأحرقه في جوف حمار وكان الوفاي عمرو بن العاص من قبل معاوية من أبي سفيان اللادي، فتوح البلدان، 92، راجع بن حلدون، تاريخ حلدون، 2، 182، راجع حليفة بن حياط، تاريخ حبيقة، 44

(2) عن عمرو بن دينار ابن عمر، قتل محمد بن أبي بكر وفيها مات لأشتر بجعي واسمه مالك بن الحارث بعثه عليّ على مصر فهلك في الطريق فيقال إنه سم، وإن عمداً لعثمان لقبه فسقاه عسلاً مسموماً وكان الأشتر من لأطول لكار وكان سيد قومه وحظيهم ودارسهم (الذهبي، المعبر في خبر من عمر، 8)

(3) واحتلوا في قتله، فقبل قتله معاوية من حديق صبرا، ودث في سنة ثمان وثلاثين؛ وقيل: إنه لما ولاه على مصر سار إليه عمرو بن العاص من قبل معاوية فافتنوا، فاهزم أصحاب محمد وفر هو، دخل حربة فيها حمار ميت، فدخل في حوفه، فأحرق في جوف الحمار، وقيل: كبل قتله معاوية من حديق في المعركة، ثم أحرق في جوف الحمار بعد ذلك، وقيل: إنه أتى عمرو بن العاص فقتله صبرا بعد إلى قتل له، هل معك عهد؟ هل معك عقد من أحد؟ فقال لا، فأمر فقتل وكان عي شني على محمد حبر، وبعضه؛ لأنه كانت له عذرة واحتهاد؛ وكان ممن دخل على عثمان حين أرادوا قتله، فقال له عثمان لو رأيك أنوك لم يرص هذا المقام منك فخرج عنه وتركه روى محمد بن طلحة، عن كنانة مولى صعبة بنت حبي - وكان شهد يوم الدار - أنه لم يزل محمد بن أبي بكر دم عثمان شيئا قال محمد بن طلحة فقلت: لكأنة فلم قيلك إنه قتله؟ قال

مدينة الفسطاط. قال ابن سعيد: وقد زرت قبره في الفسطاط. [ويقال به] أقبل عمرو بن العاص بنحو محمد بن أبي بكر، وقد تفرق عنه أصحابه¹ لما بلغهم قتل كنانة، حتى بقي وما معه أحد من أصحابه، فلما رأى ذلك محمد خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق، فأوى إليها، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج في قارع الطريق، فسألهم: هل من بكم أحد تنكرونه؟ فقال أحدهم: لا والله، إلا أنني دخلت تلك الخربة، فإذا أنا برجل فيها جالس، فقال ابن حديج: هو هو ورب الكعبة؟ فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً؛ فأقبلوا به نحو فسطاط مصر. قال: ووثب أخوه عبد الرحمن بن

معذ الله أن يكون قتله! إنما دخل عليه، فقال له عثمان: يا بن أخي، لست بصاحب، وكلمه عثمان بكلام فحرج ولم يزل دمه بشيء. فقلت لكانة: فمن قتله؟ قل: رجل من أهل مصر يقال له: حيلة بن الأيهم... (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2216). واختلفوا في صفة قتل محمد هذا، قيل في المعركة وقيل مل قتل أسيراً بعده وقبل وجد بعدها في خربة في جوف حمار ميت فأحرقوه (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 86.6؛ راجع. تاريخ ابن خلدون، 744).

(1) ووجه معدوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له، فقد مها سة ثمان وثلاثون، ومعه جيش عظيم من أهل الشام، فكان على دمشق يزيد بن أسد لبيحي، وعلى أهل فلسطين شمير الحنمعي، وعلى أهل الأردن أبو الأعور السلمي، ومعدوية بن حديج الكندي على الخارجة، فلقبهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له لمساء، فحارهم محاربة شديدة، وكان عمرو يقول: ما رأيت مثل يوم المساة، وقد كان محمد استند إلى الهائية، فإبل عمرو بن العاص الهائية، فخلقوا محمد بن أبي بكر وحده، فجالد ساعة، ثم مضى فدخل منزل قوم خرابة، واتبعه ابن حديج الكندي، فأحذه وقتنه، وأدخله جيفة حمار، وحرقه بالنار في زقاق يعرف بزقاق الخوف وبلغ عليا صعب محمد بن أبي بكر وملااة الهائية معاوية وعمرو بن العاص. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 184).

أبي بكر إلى عمرو بن العاص - وكان في جنده؛ فقال: أقتل أحبي صراً! ابعت إلى معاوية بن حديج فانهه، فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر، فقال معاوية: أذكاك! قتلتم كنانة بن بشر وأحلي أنا عن محمد بن أبي بكر! هيهات، «أكفاركم خير» من أولئك أم لكم براءة في الرب؟ [فقال معاوية: أذكاك قتلتم كنانة بن بشر وأحلي أنا عن محمد بن أبي بكر؟ هيهات! أكفاركم خير من أولئك أم لكم براءة في الرب؟^١]. فقال لهم محمد: اسقوني من الماء! قال له معاوية بن حديج: لا سقاه الله إن سقاك فطرة أبداً! إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً، فتلقاه الله بالرحيق المختوم، والله لأقتلنك بآبن أبي بكر فيسقيك الله الحميم والفساق! قال له محمد: يا ابن اليهودية النساجة، ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت، إنما ذلك إلى الله عز وجل يسقي أوليائه، ويظمي أعداءه؛ أنت وضرباؤك ومن تولاه، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغت مني هذا! قال له معاوية: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار؛ فقال له محمد: إن فعلتم بي ذلك، فطالما فعل ذلك بأوليائه الله! وإنني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله علي برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه، إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك - يعني معاوية، وهذا - وأشار إلى عمرو بن العاص - بنار تلظى عليكم؛ كلما خست زادها الله سعيراً. قال له معاوية: إني إنما أقتلك بعثمان^٢ قال

(1) ابن حبان، الثقات، 2: 297.

(2) حول مقتل عثمان يمكن أن يقرأ: وجاء محمد بن أبي بكر، وسبه الحسن حتى حتم على ركني عثمان، ثم أخذ بلحيته، وكان طويل اللحية حسن اللمة، فهرما حتى سمعت صوت أصراسه، وقال: ما أغنى عنك معاوية؟ وما أغنى عنك ابن أبي سرح؟ وما

له محمد: وما أنت وعثمان! إن عثمان عمل بالجور، ونفذ حكم القرآن. وقد قال الله تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الماسقون». فقام ذلك عليه فقتلناه، وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك، فقد برأنا الله إن شاء الله من ذنبه، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه، وجعلك على مثاله. قال: فغضب معاوية فقدمه فقتله، ثم ألقاه في جيفة حمير، ثم أحرقه بالنار⁽¹⁾؛ فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وفتنت عليه في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمر، ثم قبضت عيال محمد إليها. فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها. وأما الواقدي فإنه ذكر... أن عمرو بن العاص خرج في أربعة آلاف، فيهم معاوية بن حديج، وأبو الأعور السلمي، فالتقوا بالمسناة، فاقتلوا قتالاً شديداً، حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي، ولم يجد محمد بن أبي بكر مقاتلاً، فانهزم، فاختبأ عند جبل بن مسروق، فدل عليه معاوية بن حديج، فأحاط به. فخرج محمد فقاتل حتى قتل. قال الواقدي: وكانت المسناة في صفر سنة ثمان

أغني عنك «بن عامر؟ قال: يا ابن أخي مهلاً والله لو كان أبوك ما جلس هذا المجلس مني، قال: فغمز بعضهم فأشعروه بسهم وتماوروا عليه فقتلوه؛ قال: في أغلث منهم عجز فأنى مصر فأخذ عامل مصر فقدمه ليقتله، فقالوا ابن أبي بكر وأخو عائشة، فقال: والله لا أنظر فيه أحداً بعد قتل عثمان فقتله، قال الحسن أو قتادة أو كلاهما فأدحموه في جوف حمار فأحرقوه. (النووي، شرح مسلم، 12: 212)

(1) وعن الحسن قال: أخذ القاسم محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر، فأدخل في جوف حمار فأحرق، رواه الطبراني ورأى حاله ثقات. (راجع: الطبراني - المعجم الكبير - سن عثمان ووفاته: أبو نعيم الإصبهاني - معرفة الصحابة - معرفة سنة وولايته: عند ابن سعد - الطبقات الكبرى - طبقات البديين من المهاجرين: يقال: «الحسن قال لما أدركوا بالعقوبة، يعني قلة عثمان بن عفان، قال: أحد القاسم ابن أبي بكر، قال أبو الأشهب: وكان الحسن لا يسميه باسمه إنما كان يسميه القاسم، قال: فأخذ فحمل في خوف حمار ثم أحرق عليه.» (ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، ما روي عن علي بن أبي طالب)

وثلاثين، وأدخلك في شعبان منها في عام واحد... وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية عند قتله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر: أما بعد، فإننا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر في جموع جمعة من أهل مصر، فدعوناهم إلى الهدى والسنة وحكم الكتاب، فرفضوا الحق، وتوركوا في الصلال، فجاهدناهم، واستنصرنا الله عليهم، فضرب الله وجوههم وأدبارهم، ومنحونا أكتافهم، فقتل الله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر وأماثل القوم، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك⁽¹⁾.

وذكر ابن خلكان وغيره أن «علي بن أبي طالب» ولي محمد بن أبي بكر الصديق مصر، فدخلها سنة سبع وثلاثين وقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام، ومعهم معاوية بن حديج... ووقع في كثير من نسخ تاريخ ابن خلكان معاوية بن حديج... وأصحابه أي أصحاب معاوية بن حديج، فاقتتلوا، فانهزم محمد بن أبي بكر واختبأ في بيت مجنونة⁽²⁾؛ فمر أصحاب معاوية بن حديج بالمجنونة⁽³⁾

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1128؛ راجع: البلاذري، فتوح البلدان 1: 269؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 988.

(2) قيل إنه اختفى في بيت امرأة من غافق أواه فيه أخوها وكان الذي يطلبه معاوية بن حديج فلقيتهم أخت الرجل الذي كان أواه في بيتها وكانت ناقصة العقل عطبت أنهم يطلبون أخواها؛ فقالت: أي شيء تلتسمون ابن أبي بكر أدلكم عليه على أن لا تقتلوا أخي قالوا: نعم فدلّهم عليه فقال: احفظوني لأبي بكر فقال له معاوية بن حديج قتلتم ثمانين رجلاً من قومي في دم عثمان وأتركك وأنت صاحبه فقتله ثم جعله في حبيبه حمار ميت وأحرقه بالنار. (المري، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 2846)

(3) ما اهرم المصريون فقيل: إنه اختفى في بيت امرأة من غافق أواه فيه أخوها وكان يطلعه معاوية بن حديج فلقيتهم أخت الرجل الذي كان أواه في بيتها وكانت ناقصة العقل عطبت أنهم يطلبون أخواها فقالت: أي شيء تلتسمون ابن أبي بكر أدلكم عليه على أن لا تقتلوا أخي؟ قالوا: نعم فدلّهم عليه فقال: احفظوني لأبي بكر! فقال له

وهي قاعدة على الطريق، وكان لها أخ في الحبس فقالت: أتريد قتل أخي؟ قال لا ما أقتله. قالت: فهذا محمد بن أبي بكر داخل بيتي، فأمر معاوية أصحابه فدخلوا إليه وريطوه بالحبال وجروه على الأرض وأتوا به معاوية، فقال له محمد: احفظني لأبي بكر! فقال له: قتلت من قومي في قصة عثمان ثمانين رجلاً، وأتركك وأنت صاحبه لا والله. فقتله في صفر سنة ثمان وثلاثين. وأمره معاوية أن يجر في الطريق ويمر به على دار عمرو بن العاص لما يعلم من كراهته لقتله، وأمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار. وقال غيره: بل وضعه حباً في جيفة حمار وأحرقه بالنار، وكان سبب ذلك دعوة أخته عائشة عليه لما أدخل يده في هودجها يوم وقعة الجمل، وهي لا تعرفه فظنته أجنبياً فقالت: من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله ﷺ أحرقه الله بالنار؟ فقال: يا أختاه قولي بنار الدنيا! فقالت: بنار الدنيا... ودفن في الموضع الذي قتل فيه. فلما كان بعد سنة من دفنه، أتى غلامه وحفر قبره فلم يجد فيه سوى الرأس فأخرجه ودفنه في المسجد تحت المنارة. ويقال إن الرأس في القبلة. قال: وكانت عائشة ؓ قد أنفذت أخاها عبد الرحمن إلى عمرو بن العاص في شأن محمد فاعتذر بأن الأمر لمعاوية بن خديج. ولما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه مسالم، ومعه قميصه، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء فأمرت أم حبيبة بنت

معاوية بن خديج: قتلت ثمانين رجلاً من قومي في دم عثمان وأتركك وأنت صاحبه فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 2846). فوجدت أخت الرجل الغافقي الذي كان أواه كانت صعبة العقل فقالت أي شيء تلمسون ابن أبي بكر أدلكم عليه ولا تقتلون أخي. هدلتهم عليه. ثم أمر به بجاد التجبي فأحرقه في جيفة حمار. (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، الولاة والقضاة، 7).

أبي سميان زوج النبي ﷺ بكبش فشوي وبعثت به إلى عائشة، وقالت هكذا قد شوي أخوك! فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت وقلت همد بنت شمر الحضرمية: رأيت نائلة امرأة عثمان بن عفان تقص رجل معاوية بن حديج وتقول: بك أدركت ثأري! ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيط حتى شخبت ثديها دماً. ووجد عليه علي بن أبي طالب عليه السلام، وجداً عظيماً وقال: كان لي ربيباً وكنت أعده ولداً ولبي أخاً. وذلك لأن علياً كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة الصديق ورباه كما تقدم⁽¹⁾.

في نص ابن أبي الحديد توجد بعض الإضافات: «فأمر [معاوية] عمرو بن العاصي أن يتجهز إلى مصر في ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة فزل أدنى أرض مصر واجتمعت إليه العثمانية، وبعث كتابه وكتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر بالتهديد، وأن الناس اجتمعوا عليك وهم مسلموك فاخرج؛ فبعث بالكتابين إلى علي فوعده بإنفاذ الجيوش وأمره بقتال العدو والصبر، فقدم محمد بن أبي بكر كساة بن بشر في ألفين، فبعث معاوية عمرو بن حديج وسرحه في أهل الشام، فأحاطوا بكساة فترجل عن فرسه وقاتل حتى استشهد؛ وجاء الخبر إلى محمد بن أبي بكر فاقترب عنه أصحابه وآوى في مقره إلى خربة واستتر في تلك الخربة، فقبض عليه فأخذ به ابن حديج وجاء به إلى القسطنطينية وطلب أخوه عبد الرحمن من عمرو أن يبعث إلى ابن حديج في البقاء عليه، فأبوا طلب محمد الماء فمتعه ابن حديج جزاء بما فعل بعثمان، ثم أحرقه في جوف حمار بعد أن لعنه ودعا عليه وعلى معاوية وعمرو».

(1) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 246؛ راجع: أبو عمر الكندي، ولاية مصر، 8.

وكانت عائشة تقنت في الصلاة بالدعاء على قتلته، ويقال: إنه لما انهمر اختفى عند حلة بن مسروق حتى أحاط به معاوية بن حديج وأصحابه، فخرج إليهم فقاتل حتى قتل؛ ولما بلغ الخير علياً خطب الناس وندبهم إلى أعدائهم، وقال: أخرجوا بنا إلى الجرة بين الحيرة والكوفة وخرج من الغد إلى منتصف النهار يمشي إليها حتى نزلها فلم يلحق به أحد فرجع من العشي وجمع أشراف الناس. ويقال: ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص، وكان في جنده، فقال: لا والله لا تقتل أخي صبراً، بعث إلى معاوية بن حديج فأنه، فأرسل عمرو بن العاص: أن اتني بمحمد، فقال معاوية: أقتلت كنانة بن بشر، ابن عمي، وأخلي عن محمد؛ هيهات! «أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر». فقال محمد: «سقوني قطرة من الماء»، فقال له معاوية بن حديج: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً؛ إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً، فسقاه الله من الرحيق المختوم؛ والله لأقتلك يا ابن أبي بكر وأنت ظمآن، ويسقيك الله من الحميم والغسلين، فقال له محمد: يا ابن اليهودية النساحة؛ ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان، إنما ذلك إلى الله يسقي أوليائه ويظمئ أعداءه؛ وهم أنت وقرناؤك ومن تولاك وتوليته، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغت مني ما بلغت. فقال له معاوية بن حديج: أتدري ما أصنع بك؛ أدخلتك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار. قال: إن فعلتم ذلك بي فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله، وأيم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً، كما جعلها الله على إبراهيم خليله، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك، كما جعلها على سرود وأوليائه، وإني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية، وهذا

- وأشار إلى عمرو بن العاص - بنار تلظى، كلما خبت زادها الله عليكم سعيّاً فقال له معاوية بن حديج: إني لا أقتلك ظلماً، إنما أقتلك بعثمان بن عفان، قال محمد: وما أنت وعثمان! رجل عمل بالجور، وبدل حكم الله والقرآن، وقد قال الله عز وجل: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»، «فأولئك هم الظالمون»، «فأولئك هم العاسقون»؛ فنقمنا عليه أشياء عملها، فأردنا أن يخلع من الخلافة علناً، فلم يعمل، فقتله من قتله من الناس. فغضب معاوية بن حديج، فقدمه فصرب عنقه، ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار. فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج، وقبضت عيال محمد أخيها وولده إليها، فكان القسم بن محمد من عيالها. قال: وكان ابن حديج ملعوناً خبيثاً يسب علي بن أبي طالب ﷺ. دخل معاوية بن حديج على الحسن بن علي في مسجد المدينة، فقال له الحسن: ويلك يا معاوية! أنت الذي تسب أمير المؤمنين علياً ﷺ أما والله لئن رأيته يوم القيامة - وما أظنك تراه - لترينه كاشفاً عن ساق، يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل.

[و] حلفت عائشة لا تأكل شواء أبداً بعد قتل محمد، فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله، وما عثرت قط إلا قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ومعاوية بن حديج! - [و] أن أسماء بنت عميس، لما جاءها نعي محمد ابنها وما صنع به، قامت إلى مسجدها، وكظمت عيظها حتى تشجبت دماً. قال إبراهيم: وروى ابن عائشة التيمي عن رجالي عن كثير النواء، أن أبا بكر خرج في حياة رسول الله ﷺ في غزاة، فرأت أسماء بنت عميس وهي تحته؛ كأن أبا بكر مخضب بالحناء رأسه ولحيته، وعليه ثياب

يضر، وجاءت إلى عائشة فأخبرتها، فقالت: إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر، إن حصابه الدم، وإن ثيابه أكفانه، ثم بكيت، فدخل النبي ﷺ وهي كذلك، فقال: ما أبكاها؟ فقالوا: يا رسول الله، ما أبكاها أحد، ولكن أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبي بكر، فأخبر النبي ﷺ، فقال: «ليس كما عبرت عائشة؛ ولكن يرجع أبو بكر صالحاً، فيلقى أسماء، فتحمل منه بغلام، فتسميه محمداً، يجعله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين». قال: فكان كما أخبر ﷺ» (١).

يتضمن نص ابن تغري بردي إضافات هامة أيضاً: «فسار عمرو حتى وصل إلى مصر واجتمعت العثمانية إليه، فكتب عمرو إلى محمد بن أبي بكر صاحب مصر: أما بعد، فتح عني بدمك يا ابن أبي بكر فزني لا أحب أن يصيبك مني قلامة ظفر، والناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك، وبدموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقت البطان فأخرج منها إني لك من الناصحين؛ ومعه كتاب معاوية يقول: يا محمد، إن غب البغي والظلم عظيم الوبال، وسفك الدماء الحرام لا يسلم صاحبه من النقرة في الدنيا والآخرة؛ وأنا لا نعلم أحداً كان على عثمان أشد منك، فسعيت عليه مع الساعين وسفكت دمه مع السافكين؛ ثم أنت تظن أنني نائم عنك وناس سيئاتك؛ وكلام طويل من هذا النمط حتى قال: ولئن يسلمك الله من القصاص أينما كنت والسلام. فطوى محمد الكتابين وبعث بهما إلى علي بن أبي طالب وفي ضمنهما يستنجد به ويطلب منه المدد والرجال، فرد عليه الجواب من عند علي بن أبي طالب بالوصية والشدّة، ولم يمهّد بأحد. ثم كتب محمد إلى معاوية وعمرو كتاباً

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 561.

حشس لهما فيه في القول. ثم قام محمد في الناس خطيباً فقال: أما بعد، فإن القوم الذين يتهكون الحرمة وينعشون الصلاة ويشبون نار لعنة ويتسلطون بالحرية قد نصوا لكم العداوة وساروا إليكم بحبوشهم، فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إليهم فليجاهدهم في الله، انتدبوا مع كنانة بن بشر؛ فانتدب مع كنانة نحواً من ألفي رجل، ثم خرج محمد ابن أبي بكر في ألفي رجل؛ واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد، وكنانة يسرح لعمرو الكتاب. فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج السكوني وفي رواية: لما رأى عمرو كنانة سرح إليه الكتاب من أهل الشام كتيبة بعد كتيبة وكنانة يهزمها فاستجد عمرو بمعاوية بن حديج السكوني فسار في أصحابه وأهل الشام فأحاطوا بكنانة. فلما رأى كنانة ذلك ترجل عن فرسه وترجل أصحابه، وقرأ: وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً إلى قوله: وسنجزى الشاكين، فقاتل حتى قتل بعد أن قتل من أهل الشام مقتلة عظيمة؛ فلما رأى أصحاب محمد ذلك تفرقوا عنه فنزل محمد عن فرسه ومشى حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها، وجاء عمرو بن العاص ودخل القسطنطين؛ وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد ابن أبي بكر، فسأل قوماً من العلوح وكانوا على الطريق فقل: هل رأيتم رجلاً من صفته كذا وكذا؟ فقال واحد منهم: قد دخل تلك الخربة، فدخلوها فإذا رجل جالس، فقال معاوية بن حديج: هو ورب الكعبة، فدخلوها واستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فأقبلوا به على القسطنطين، ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق إلى عمرو بن العاص - وكان في جده، فقال: أيقتل أخي صبراً؟ فأرسل عمرو إلى معاوية بن حديج يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر كرامة لأخيه عبد الرحمن بن أبي بكر،

فقال معاوية: أقتل كاتبة بن بشر وأخلي أنا محمداً! هيهات هيهات! فقال محمد: اسقوني ماء؛ فقال معاوية بن حديج: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة؛ إنكم معتم عثمان الماء، ثم قتلتموه صائماً فتلقي الله بالرحيق المحترق؛ والله لأقتلك يا ابن أبي بكر فليسفك الله من الجحيم؛ فقال محمد لمعاوية: يا بن اليهودية النساجة، ليس ذلك إليك؛ وأما والله لو كان سيمي يدي ما بلغت بي هذا؛ فقال له معاوية: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلت في جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار؛ قال محمد: إن فعلتم ذلك لطلما فعلمتموه بأولياء الله تعالى؛ ثم طال الكلام بينهما حتى أخذ معاوية محمداً ثم ألقاه في جيفة حمار ميت ثم حرقه بالنار؛ وقيل: إنه قطع رأسه وأرسله إلى معاوية بن أبي سفيان بدمشق وطيف به، وهو أول رأس طيف به في الإسلام. ولما بلغ عائشة - رضي الله عنها - قتل أخيها محمد بن أبي بكر هذا وحدث عليه وجداً عظيماً وأخذت أولاده وعياله وتولت تربيتهم. وقال أبو مخنف بإسناده: ولما بلغ علي بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر وما كان من الأمر بمصر وتملك عمرو لها واجتماع الناس عليه وعلى معاوية قم في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والسبر إلى أعدائهم من المشركين والمصريين، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة⁽¹⁾.

في مرجع ثالث نجد بعض الإضافات: «واسمقي محمد ماء فقال له ابن حديج: منعتم عثمان أن يشرب حتى قتلتموه صائماً فتلقي الله بالرحيق المحترق، والله لأقتلك ظمآن حتى يلقى الله بالحميم والخساق. فقال له: ليس هذا إليك لا أم لك، أما والله لو أن سيمي في يدي ما بلغت بي هذا - وكان ألقى سيفه ليختلط بالناس فلا يعرف - فقال معاوية بن حديج، إني

(1) اس نمرى بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 45

قاتلك عثمان الخليفة المظلوم، فقال محمد: إن عثمان عمل بالحق، وترك حكم الكتاب فتقمنا ذلك عليه، فقدمه فقتله وجعله في جوف حمار وحرقه بالنار. فلما بلغ ذلك عائشة رضي الله عنها جزعت عليه، وقبضت عبالة وولده إليها، ولم تأكل مذكاً شواءاً حتى توفيت، ولم تعثر قط إلا قالت: تعس معاوية بن حديج.. وبلغ علياً مقتل ابن أبي بكر؛ فخطب الناس فقال: ألا إن محمد بن أبي بكر رحمه الله قتل، وتغلب ابن الناعة - يعني عمرو بن العاص - على مصر، فعند الله نحتسب محمداً، فقد كان ممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء فتكلم بكلام كثير وبخ فيه أصحابه واستبأهم وقال لهم: دعوتكم إلى غياث أصحابكم بمصر مذ بضع وخمسون ليلة فخرجتم جرجرة البعير الأسر، وتناقلتم إلى الأرض تناقل من ليست له نية في الجهاد ولا اكتساب الأجر في المعاد، ثم خرج إليه منكم جنيد ضعيف «كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون». وقيل لعلي: لشد ما جزعت على ابن أبي بكر؟! فقال: رحم الله محمداً انه كان غلاماً حدثاً، ولقد أردت تولية مصر، هاشم بن عتبة ولو وليته إياها ما خلا لهم العرصة، بلا ذم لمحمد، فقد كان لي ريباً وكان لبني أخي جعفر أخاً، وكنت أعهده ولداً. وكانت أم عبد الله بن جعفر أسماء بنت عميس فخلف عليها أبو بكر، ثم علي رضي الله عنه، وكان محمد ربيب علي رضي الله عنه.... [وكان عليّ] بعث قيس⁽¹⁾

(1) ضبط قيس مصر وكان ممتنعاً بالمكيدة والدعاء من معاوية وعمرو وادر الأوراق عبيهم ولم يحضر بن أهل الشام طعاماً... فمكروا بعلي وكتب معاوية كتاباً من قس إليه يذكر فيه ما أتى إلى عثمان من الأمر العظيم وإني على السمع والطاعة ثم نادى معاوية «الصلاة جامعة» صطبت وقال: يا أهل الشام إن الله ينصر خليفته المظلوم ويخذل عدوه أشروا. هذا قيس بن سعد نائب العرب قد أبصر الأمر وعرفه على نفسه ورجع إلى الطلب بدم خليفكم وكتب إليّ فأمر بالكتاب ققرئ؛ وقد أمر محمد لطعام إليكم فادعوا الله لقيس وارفعوا أيديكم! ففعلوا وعج معاوية ورفعوا أيديهم ساعة.

بن سعد بن عبادَة أميراً على مصر، فكتب إليه معاوية وعمرو بن العاص كتاباً أغلظ فيه وشتماه فكتب إليهما بكتاب لطيف قاريهما فيه، فكتب إليه يذكران شرفه وفضله، فكتب إليهما بمثل جوابه كتابهما الأول، فقالا إن لا نصيق مكر قيس بن سعد، ولكننا نمكر به عند علي، فعثا بكتابه الأول إلى علي فلما قرأه قال أهل الكوفة: غدر والله قيس فاعزله فقال عبي. ويحكم أنا أعلم بقيس إنه والله ما غدر ولكنها إحدى فعلاته. قالوا: فإن لا نرضى حتى تعزله. فعزله وبعث مكانه محمد بن أبي بكر، فلما قدم عليه قال: إن معاوية وعمرو سيمكران بك، فإذا كتبنا إليك بكذا فاكذب بكذا، فإذا فعلا كذا فافعل كذا ولا تخالف ما أمرك به فإن خالفته قتلت.

قالوا: وكتب علي إلى عبد الله بن عباس بمقتل محمد بن أبي بكر وعبد الله بالبصرة، قبل أن يكتب أبو الأسود الديلي إلى علي فيه، وقبل أن تقع بينهما المنافرة، وكان عبد الله قد نافر علياً بالنهروان ولحق بمكة. وأما محمد بن أبي حذيفة: فإن محمد بن أبي بكر خلفه حين زحف إلى عمرو

فقد معاوية وعمرو حين خروج العيون معي سبع أو ثمان يصل الخبر إلى علي فيعلم قيساً وكل من ولى مصر كان أهون علينا! فلما ورد على علي الخبر دخل عليه محمد بن أبي بكر والأشتر ودما قيساً وجعل علي لا يقبل ثم عزله وولى الأشتر فمات قبل أن يصل إليها. قلت. فقيل سم وولى محمد بن أبي بكر فقتل بها وعلب عليها عمرو قال ضمرة بن ربيعة: جعل معاوية يقول: ادعوا لصاحبكم - يعني قيساً - فنه عن رأيكم فعزله علي وولاهها محمد بن أبي بكر. وتقدم إليه أن لا يعرض لابن حذيف وأصحابه وكسوا أربعة آلاف قد نزلوا بنحيلة وتنحوا عن الفريقين بعد صميم فبعث بهم قال ورحل قيس إلى المدينة وعيشت به بنو أمية فلحق به علي فكتب معاوية إلى مروان ماذا صنعتم من إحراجكم قيساً إليه؟ قال: وكب ابن حذيف وأصحابه إلى معاوية ابعت أميراً فبعث عمرو بن العاص إليهم فلجأ محمد بن أبي بكر إلى عجموز فأقر عليه اسما فقتلوه وأحرق في بطن حمار وهرب محمد بن أبي حذيفة فقتل أبوه (الدهلي، سير أعلام النبلاء، 287).

بن العاص على ما تحت يده، فلما قتل ابن أبي بكر؛ جمع من الناس مثل ما كان مع ابن أبي بكر وزحف نحو عمرو وأصحابه فأمته عمرو؛ ثم عذر به وحمته إلى معاوية ومعاوية بفلسطين، فحبسه في سجن له، فمكث عير طويل ثم إنه هرب وكان معاوية يحب نجاته، فقال رجل من خشمه يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام - وكان عثمانياً - أنا أتبعه، فخرج في حبل فلاحقه بحوران وقد دخل غاراً فدل عليه فأخرجه وخاف أن يستقبه معاوية - إن أتاه به - فضرب عنقه. ويقال أيضاً: إن ابن أبي حذيفة نواري، فطلبه عمرو بن العاص حتى قدر عليه وحملة إلى معاوية فحبسه، ثم هرب من حبسه فلحق فقتل⁽¹⁾.

يقول نص جديد: «فلما بلغ علياً وفاة الأشتر تأسف عليه لشجاعته، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر، وكان ضعف جأشه مع ما فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد خربت، وقد كانوا استفحل أمرهم؛ وكان أهل الشام حين انقضت الحكومة سلموا على معاوية بالخلافة، وقوى أمرهم جداً، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه، واستشارهم في المسير إلى مصر، فاستجابوا له؛ وعين نيابته لعمر بن العاص إذا فتحها، ففرح بذلك عمرو، فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج - وهما رؤساء العثمانية ببلاد مصر - يخبرهم بقدم الجيش إليهم سريعاً، فأجابوه، فجهز معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف، فسار إليها، واجتمعت عليه العثمانية وهم عشرة آلاف. فكتب عمرو إلى محمد بن أبي بكر: أن تنح عني بدمك، فإني لا أحب أن يصيبك مني طهر، وإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك. فأعظ محمد

(1) اللادري، أنساب الأشراف، 354؛ راجع: اس الأثير، أسد الغابة 4: 324.

س أبي بكر لعمره في الجواب، وركب في ألفي فارس من المصريين، فأقبل عليه الشاميون، فأحاطوا به من كل جانب، وتفرق عنه المصريون، وهرب هو فاحتفى في خربة، ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر، ثم دس على محمد بن أبي بكر، فجيء به؛ وقد كاد يموت عطشاً، فقدمه معاوية بن حديج فقتله، ثم جعله في جيفة حمار، فأحرقه بالنار؛ وذلك في صفر سنة ثمان وثلاثين⁽¹⁾.

«وتوفي الأشتر سنة تسع وثلاثين من الهجرة في طريق مصر، وذلك أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام ولي محمد بن أبي بكر مصر وعزل عنها قيس بن سعد بن عباد، وكان قيس مشهوراً بالشجاعة والسياسة؛ وكان معاوية بن حديج النجيب وسر بن أرطاة انحازا بعد قتل عثمان إلى قرية منها اسمها خربنا (?) ومعهما عشرة آلاف رجل من العثمانية قد عظموا قتل عثمان وامتنعوا من بيعه علي عليه السلام وباع سائر جند مصر علياً عليه السلام، وكان قيس يتألفهم ويرجو رجوعهم، فأشاع معاوية أن قيس معه وأنه ينفق علياً، وبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إليه: أن لم يبايع ابن حديج والمعتزله معه وإلا فأذنهم بالحرب على سواء، فلم يحاربهم قيس ورحل انحيازهم إليه بالسياسة وظن أن ذلك يوافق رأي أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن على علم بما نقل عليه من مكر معاوية، فلما بلغه ذلك كتب إلى علي عليه السلام يعتذر عن مصر، فأشار عبد الله بن جعفر بولاية محمد بن أبي بكر لأنه ابن حائه أسماء بنت عميس، وأشار عبد الله بن العباس بالأشتر؛ فولى محمد وكتب له عهداً، فلقية قيس بن سعد بالعريش، فقال له فيما أوصاه إنك تقدم إلى بلد مغتن وبها لمعاوية بن حديج معتزلين، فألن لهم حاسك،

(1) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، 196.

وعد مريضهم، وصل على ميتهم، وأجر أرزاقهم، تنقلب لك طعهم وقلوبهم، فإنه لا يعنني عزل أمير المؤمنين لي عن نصحك، وكُنِّيْكَ قد حالتني واتكلت على حسن رأي أمير المؤمنين فيك، وهو بالكوفة فأحدث وقتلت وأدخلت في جوف حمار! ثم ودعه وانصرف إلى الكوفة، فجرى لمحمد ﷺ ما تفرس قيس، فإنه باين العثمانية ولم يقبل منهم إلا البيعة أو الحلاء أو الحرب، فاستنجد ابن حديج معاوية فأنجده بعمر بن العاص في عشرين ألف فارس، فاجتمعوا مع العثمانية ولم يحضر القتال مع محمد من أصحابه إلا ألفا فارس، وكان شجاعاً شهماً رئيساً، فنهزم أصحابه فاخترى في خربة فدلّت عليه عجوز كان ابنها من أصحابه، فأسروه بشرط أن يطلقوا ولدها، فأطلقوا ولدها ثم جيء بمحمد، وقد أنهكه العطش فقبل: إن ابن العاص لم يرد قتله، فقلبه معاوية بن حديج وضرب عنقه بيده، ثم بعثوا به إلى خربة فيها حمار ميت فأدخلوه جوفه ثم أحرقوا الحمار فحرق فيه، رحمه الله تعالى»⁽¹⁾.

«فكتب إليه علي: اصبر لعدوك وإن كانت فتك أفل الفتتين، فإني باعث إليك الناس، وانتدب إلى القوم كنانة بن بشر، وقام علي ﷺ فحث الناس على مصر، فتقاعدوا، فعاد يحشهم، فخرج نحو من ألفين، فقال: أف لكم، وقام محمد خطيباً، فقال: إن القوم الذين كانوا يتهكون الحرمة قد ساروا إليكم بالجنود فمن أراد فليخرج إليهم، انتدبوا رحمكم الله مع كنانة بن بشر. فانتدب معه نحو من ألفي رجل، وخرج محمد في ألفي رجل، وأقبل عمرو فطرد أصحابه كنانة، فبعث إلى معاوية بن حديج فأحاط أصحابه بكنانة فقاتل حتى قتل، وتفرق عن محمد أصحابه، فحرق

(1) مؤلف مجهول، كتاب مجهول، 3.

يمشي حتى انتهى إلى خربة، فأوى إليها، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قارة الطريق، فسألهم: هل مر بكم أحد نستكرونه؟ فقال أحدهم: لا والله إلا أنني دخلت تلك الحربة فإذا فيها رجل جالس، فقال ابن حديج: هو هو ورب الكعبة، فدخلوا عليه واستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً وأقبلوا به نحو الفسطاط، فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر - وكان في جند عمرو بن العاص - وقال: أيفتل أخي صبراً؟ ابعث إلى معاوية بن حديج فانه!! فبعث إليه: إن عمرو بن العاص يأمرك أن تأتيه بمحمد بن أبي بكر، فقال: أؤكدك قتلتم كنانة بن بشر وأخلي أنا عن محمد، هيهات. فقال محمد: اسقوني من الماء، فقال معاوية: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً، إنكم منعم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً، أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه بالنار. فلما بلغ الخبر عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية وعمرو، وقبضت عيال محمد إليها وولده، وكان القاسم بن محمد في عيالها، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بقتل محمد وكنانة. أخبرنا محمد ... بعث معاوية بن حديج بمولى له يقال له سليم إلى المدينة بشيراً بقتل محمد بن أبي بكر ومعه قميص محمد بن أبي ودخل به دار عثمان، فاجتمع إليه آل عثمان من رجال ونساء وأظهروا السرور بمقتله، وأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان بكبش يشوي، وبعثت بذلك إلى عائشة وقالت: هكذا شوي أخوك، فلم تأكل عائشة شواء حتى لحقت بالله عز وجل. وأما محمد بن أبي حذيفة فقد زعم قوم أنه قتل بعد قتل ابن أبي بكر. وقال آخرون: بل قتل قبل ذلك في سنة ست وثلاثين، وقد سبق ذكر ذلك فيما قدمنا. وفي هذه السنة بعد مقتل محمد

من أبي بكر وجه معاوية عبد الله بن عمرو بن الحضرمي إلى البصرة، فوجه علي عليه السلام أعين بن ضبيعة المجاشعي لإخراج ابن الحضرمي من البصرة مددًا، لزياد شرح القصة: لما قتل محمد بن أبي بكر خرج ابن عباس من البصرة إلى علي بالكوفة واستخلف زيادًا، وقدم ابن الحضرمي من قبل معاوية، فنزل في بني تميم، فأرسل زيادًا إلى حُصَيْن بن المدر، ومدد بن مسمع، فقل: أنتم يا معاشر بكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين، وقد رل ابن الحضرمي حيث ترون، وأناه من أناه، فامعوني حتى يأتيني رأي أمير المؤمنين، فقال حُصَيْن: نعم، وقال مالك - وكان رأيه مائلًا إلى سي أمية، وكان مروان لجأ إليه يوم الجمل: هذا امرٌ لي فيه شركاء، أمتشير وأنظر. فلما رأى زياد تتأقل مالك خاف أن تختلف ربيعة، فأرسل إلى رفع بن خالد فسأله أن يمنعه، فأشار عليه نافع بصبرة بن شَيْمان الحُدائي، فأرسل إليه زياد فقال: ألا تجيرني بيت مال المسلمين، قال: بلى إن حملته إلي ونزلت داري، ففعل وحول معه المنبر، وتحول معه خمسون رجلًا، فكان زياد يصلي الجمعة في مسجد الحُدائي⁽¹⁾.

وكتب محمد إلى عمرو بن العاص جواب كتابه: «أما بعد فقد فهمت ما ذكرت في كتابك يا بن العاص، زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر، فأشهد بالله إنك لمن المبطلين، وترعم أنك لي نصيح، واقسم إنك عندي ظنين، وترعم أن أهل البلد قد رفضوا رأيي وأمري وندموا على اتباعي، أولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء فحسبنا الله رب العالمين. ونوكلنا على الله العزيز الرحيم، رب العرش العظيم، والسلام». ثم نشب القتال بين العريقين، ودارت الدائرة على جيش محمد بن أبي بكر، وأسلمه

(1) اس الحوري، المنتظم، 624 ابن الجوري، المنتظم، 624.

أصحابه وتفرقوا عنه حين بلغهم قتل كنانة بن بشر، حتى بقي محمد وما معه أحد منهم، فلما رأى ذلك خرج يمشي في الطريق، حتى انتهى إلى حربة فأوى إليها، وخرج معاوية ابن حديج في طلبه حتى اهتدى إليه فاستخرجه وقتله، ثم ألقاه في جيفة حمار، ثم أحرقه بالنار⁽¹⁾.

«وبعث أم حديج بقميصه الذي قتل فيه إلى عائشة ليغيظها، ثم إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان، أخت معاوية، فأمرت بضرب الدف، واجتمع بنات عثمان ونساؤه وفيهن نائلة بنت الفرافصة التي قتل عثمان عنده فلبسهن كلهن ورقصن به، ثم أن أم حبيبة أمرت بكيش فسلح وشوي وبعثت به في طبق إلى عائشة، وقالت للرسول: قل لها هكذا شوي أحوك فحلفت عائشة لا تأكل الشوي ما عاشت، وبلغ قتل محمد علياً عليه السلام، فحزن ثم صعد المنبر فنعاه وترحم عليه وقال: كان لي ربيباً، وبني حفيماً، وكنت أعده ولداً، ولقد كنت لهذا كارهاً، ولكنكم أكرهتموني على ولايته، «وكان أمر الله قدراً مقدوراً»⁽²⁾.

(1) تاريخ الطبري 6: 59؛ شرح ابن أبي الحديد م: 2 ص 32؛ أحمد ركي صعوت، حمرة

رسائل العرب في عصور العربية، 140

(2) مؤلف مجهول، كتاب مجهول، 4.

الفصل السادس:

عمرو بن الحمق الخزاعي

عمرو بن الحمق الخزاعي:

يقول البركاني «عمرو بن الحمق بن كهل، أو كاهن، الخزاعي الكعبي. صحابي»⁽¹⁾.

«عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن العيز بن رراح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي هاجر إلى النبي ﷺ بعد الحديبية²، وقبل بل أسلم عام حجة الوداع، والأول أصح. صاحب النبي ﷺ»⁽³⁾، وحفظ عنه أحاديث⁽⁴⁾، وسكن الكوفة، وانتقل

(1) الأعلام، 722.

(2) «وقد التهيب تابع في حجة الوداع، وصحب بعد ذلك» (السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، 75)، أنظر أيضا «من بني كعب عمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب هجري، سبي بعد الحديبية وقبل أسلم عام حجة الوداع، والأول أصح» وصاحب السبي، وحفظ عنه أحاديث وسكن لشم، ثم نقل إلى الكوفة فسكنها» (الري، خواصرة في سب النبي وأصحابه العشرة، 127).

(3) عمرو بن الحمق، الكاهن، صاحب السبي، وشهد المشاهد وعي، وقته معاوية بالحريرة لصحاري، الأسب، 196.

(4) «عمرو بن الحمق، صاحب السبي عليه الصلاة والسلام» (اس عبد ربه الأندلسي،

إلى مصر، قاله أبو نعيم وقل أبو عمر. سكن الشام، ثم انتقل إلى الكوفة فسكنها، والصحيح أنه انتقل من مصر إلى الكوفة. عن عمرو بن الحنظل أنه سقى النبي ﷺ، فقال: «اللهم منعه شهاباً». فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء. «سمع عمرو بن الحنظل يقول قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بعد حيراً غسله! فليل لرسول الله وما عسفه؟ قال فتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضي عنه ما حوله»²¹ ويصيف مرجع آخر. «روى عن النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم... عن عمرو بن الحنظل أنه سقى النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله وسلم لبناً؛ فقال: «لهم أمتعه شهاباً» فمرت به ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء»²² قت هذا لا يصح وإسحاق بن أبي فروه وأهمل الحديث ولم يعش هذا الرجل بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى سبع وأربعين سنة إلا أن يحمل أنه استكمل ثمانين سنة فإنه أعلم»²³

«وروى عنه حبيب بن نعيم ورفاعة بن شداد وغيرهما. وكان ممن سار

العقد العريد، (405)، فذكرت حديثاً حديثه عمرو بن الحنظل قال قال رسول الله ﷺ «أبنا مؤمن آمن مؤمناً على دمه فقتله، فإن من اقتل بريء» (اس الأثر مؤرخ، أسد العدة، 847)

(1) اس الأثر المؤرخ، أسد العدة، 846

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، 3480

(3) «سمع عمرو بن الحنظل عن النبي ﷺ قال «استكون فتنة حير الدس فيها أخذ العربي» وقال حوة عن نقيع بن حجير عن خالد بن الحنظل أن عمر الحنظل حدثه عن النبي ﷺ ولا يصح عمر» (الحجري، لتاريخ الكبير، 476)

(4) «روى اس أبي شبة في (مسنده) وأبو نعيم واس عسافر عن عمرو بن الحنظل أنه سقى رسول الله ﷺ لبناً فقال «لهم أمتعه شهاباً»، فمرت به ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء» (شمس الدين الشامي، سنن الهدى والرشاد في سيرة حبيب العباد، 359)

(5) اس حنظل لعسقلاني، تهذيب التهذيب، 1160

إلى عثمان. وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا ثم صار من شيعة علي عليه السلام، وشهد معه مشاهد كلها: الجمل، والنهروان، وصيفين، وأعان حجر بن عدي، ثم هرب في زمن زياد إلى الموصل، ودخل عاراً فنهشته حبة فقتلته، فبعث إلى الغار في طلبه، فوجد ميتاً، فأخذ عامل الموصل رأسه، وحمله إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية، وكان أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد. وكانت وفاة عمرو بن الحمق الخراعي سنة خمس مائة. وقيل: بل قتله عبد الرحمن بن عثمان لثقيفي عم عبد الرحمن بن أم الحكم سنة خمس مائة⁽¹⁾.

يقول أحد المراجع: «عن عمرو بن الحمق، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية، فقالوا: يا رسول الله انك تبعنا ولا لنا راد ولا لنا طعام ولا علم لنا بالطريق! فقال: إنكم ستمرون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلكم على الطريق وهو من أهل الجنة! فلم يزل القوم على جمل يشير بعضهم إلى بعض وينظرون إلي؛ قالوا: أبشر بشري من الله ورسوله فإن نعرف فيك نعت رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبروني بما قال لهم فأطعمتهم وسقيتهم وزودتهم وخرجت معهم حتى دللتهم على الطريق ثم رجعت إلى أهلي وأوصيتهم بإبلي ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: ما الذي تدعو إليه؟ فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان؛ فقلت: إذا أجبناك إلى هذا فتحن أمنون على أهلنا ودمائنا وأموالنا؟ قال:

(1) اس عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 363.

(2) «عمرو بن الحمق أسلم في حجة الوداع وكان من شيعة علي عليه السلام». (المظهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 291)

نعم! فأسلمت ثم رجعت فأعلمتهم بإسلامي فأسلم على يدي شر كثير منهم، ثم هاجرت إلى رسول الله ﷺ فبينما أنا عنده ذات يوم: فقال لي يا عمرو هل لك أن أريك آية الجنة تأكل الطعام وتشرب الشراب وتمشي في الأسواق؟ قلت: بلى! بأبي أنت! قال هذا وقومه وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب⁽¹⁾ ﷺ وقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية النار تأكل الطعام وتشرب الشراب وتمشي في الأسواق؟ قلت: بأبي أنت! قال: هذا وقومه آية النار وأشار إلى رجل! فلما وقعت الفتنة ذكرت قول رسول الله ﷺ ففررت من آية النار إلى آية الجنة ويرى بني أمية قاتلي بعد هذا! قلت: الله ورسوله أعلم! قال: والله إن كنت حجراً في جوف حجر لأستحرجني بنو أمية حتى يقتلونني! حدثني به حبيبي رسول الله ﷺ أن رأسي أول رأس يحتز⁽²⁾ في الإسلام وينقل من بلد إلى بلد. ﷻ⁽³⁾

«عمرو بن الحمق أسلم في حجة الوداع وكان من شيعة علي عليه السلام قتله عامل معاوية بالموصل»⁽⁴⁾.

«والحمق: زعموا الخفيف اللحية، والانحماق: الجزع»⁽⁵⁾

«له صحبة سكن الكوفة ثم انتقل إلى مصر وكان قد شهد مع علي

(1) «صاحب النبي ﷺ وبرل الكوفة وشهد مع علي رضي الله تعالى عنه مشاهدته». (س. سعد، الطقات الكبرى 1091)؛ أنظر أيضاً: «وصار بعد ذلك من شيعة علي. وشهد معه مشاهدته كلها: الجمل، وصفين، والنهر» (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 846).

(2) أنظر «وكان رأسه أول رأس نصب بالإسلام». الصحاري، الأنساب، 196.

(3) الحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 1814.

(4) المصهر من طاهر المقدمي، البدء والتاريخ، 291، 318.

(5) الصحاري، الأنساب، 196.

حروبه وقتل بالحرّة وقيل بل قتل سنة خمسين قبل الحرّة وقال حليمة قتل بالموصل سنة 51 قتل عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وبعث برأسه إلى معاوية وقال غيره كان أحد من ألب على عثمان روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وعنه رفاعة بن شداد القتياني وعبد الله بن عامر المعافري وجبير بن نفير الحضرمي وأبو منصور مولى الأنصار وأخرون⁽¹⁾

«فقال قوم حضروا هذا الكلام: ما نراه إلا كاهناً يتحدث بحديث الكهنة - فقال: يا عمرو، إنك المقتول بعدي، وإن رأسك لميقول؛ وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك! أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك، إلا هذا الحي من بني عمر بن عامر بن الأزد، فإنهم لن يسلموك ولن يخذلوك، قال: فوالله ما مضت إلا أيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب، خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه، فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد»⁽²⁾.

قتله عثمان بن عفان:

«وكان سبب ذلك أن الناس نقموا عليه أشياء فمن ذلك كلفه بأقاربه كما قاله عمر ؓ كما قاله عمر ؓ فأوى الحكم بن أبي العاص بن أمية طريد رسول الله ﷺ وكان سيره إلى بطن وج ولأنه كان يفشي سر رسول الله ﷺ ويطلع الناس عليه ومتمها أنه أقطع الحارث بن الحكم

(1) اس ححر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 1160؛ أنظر: ابن دريد، الاشتقاق، 147؛

اس عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 405؛ المقسوي، المعركة والتاريخ، 376

(2) ابن أبي الحديد، شرح تيج البلاغة، 204.

مهرقته موضع شرقي المدينة وكان النبي ﷺ لما قدم إلى المدينة ووصل إلى ذلك الموضع ضرب برجله وقال هذا مصلانا ومستمطرنا ومخرجنا لأصحابنا ومطرنا فلا تنقضوها ولا تأخذوا عليها كرى لعن الله من بقص من بعض سوقنا شيئاً ومنها أنه أقطع مروان بن الحكم ذلك قرية صدقة رسول الله ﷺ وأعطاه خمس الغنائم من إفريقية فقال عبد الرحمن بن حنبل الجمحي

أحلف بالله رب العباد ما ترك الحق شيئاً سدى ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبلى بك أو تبلى فما أخذنا درهما غيلةً ولا أعطيا درهماً في هوى وأعطينا مروان خمس العباد فهيهات شاؤك ممن سعى ومنها أنه أعطى عبد الله بن خالد بن أسيد بن رافع أربعمائة ألف درهم وأعطى الحكم بن أبي العاص مائة ألف درهم ومنها أن عبيد الله بن عمر قتل الهرمزان بأبيه عمر وقتل ابنين لأبي لؤلؤة عليه اللعنة فلم يقده ومنها أنه عزل عمال عمر وولى بني أمية وانتزع عمرو بن العاص عن مصر واستعمل عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح وانتزع سعد بن أبي وقاص عن الكوفة واستعمل العاصق الوليد بن أبي معيط وهو أخوه لأمه فوقع في الخمر فشربها ويصلي الصلاة لغير وقتها فصلى بالناس يوماً المجر أربعاً وهو ثمل فلما انصرف قال أزيدكم فإني نشيط فشغب الناس وحصبوه وفيه بقول الحطيفة:

شهد الحطيفة يوم يلقي ربه ان الوليد أحق بالعدر نادى وقد تمت صلاتهم أ أزيدكم ثملاً وما يدري

فلما شكاه الناس عزله واستعمل عليهم شراً منه سعيد بن العاص،
فقدم رجل عظيم الكبر شديد العجب؛ وهو أول من وضع العصور على
الحسور والقناطر؛ ومنها أن ابن سرح قتل سبعمئة رجل بدم رجل واحد
وأمر بعزله ولم ينكر عليه؛ منها أنه جعل الحروف كلها حرفاً واحداً وأكره
الناس على مصحفه؛ ومنها أنه ستر عامر بن قيس من البصرة إلى الشام
لتنزهه عن أعماله وشير أبا ذر الغفاري إلى الربرة وذلك أن معاوية شكه
أنه يطعن عليه فدعاه واستعته ولم يعتب فسيره إلى الربرة وبها مات رحمه
الله؛ ومنها أنه تزوج مائلة بنت الفرافصة الكلبي فاعطاها مائة ألف من بيت
الجمال وأخذ مطلقاً فيه حلي فاعطاه بعض نسائه واستسلف من بيت المال
خمس ألف درهم؛ وكان اشترط عليه عند البيعة أن يعمل بكتاب الله وسنة
رسوله وبسيرة الشيخين عليهما السلام، فسار بها ست سنين ثم تغير كما ذكر؛
ونبرأ إلى الله من عيب الصحابة قدس الله أرواحهم أجمعين؛ ومنها أنه لما
ولي صعد المنبر فتنسم ذروته حيث كان يقعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أبو
بكر ينزل عنه درجة تعظيماً لقدر النبي صلى الله عليه وآله، فلما ولي عمر نزل عن مقعد
أبي بكر بدرجة فصارت رجلاه في الأرض لأن المنبر درجتان، فتكلم
الناس في ذلك وأظهروا الطعن، فخطب عثمان وقال: هذا مال الله أعطيه
من أشاء وأمتعه من أشاء فأرغم الله أنف من رغم أنفه! فقام عمار بن ياسر
فقال: أنا أول من رغم أنفه من ذلك! فقال له: عثمان لقد احترأت علي
يا بن سمية؟! فوثبوا بنو أمية على عمار فضربوه حتى غشي عليه، فقال:
ما هذا بأول ما أوديت في الله! وضرب عيد الله بن مسعود في محالفته
فرأته! فسار الأشر النخعي في ماتي راكب من أهل الكوفة وسار حكيم
بن جلة العبدي في ماتي راكب من أهل البصرة وسار عبد الرحمن بن

عيسر السوي وكانت له صحبة في مائة راكب من أهل مصر فيهم عمرو بن الحمق ومحمد بن أبي بكر حتى نزلوا بذي خشب فرسخاً من المدينة، وبعثوا إلى عثمان من يكلمه ويستعته؛ فقال: ما تنعمون علي؟ فقالوا: نسقم عليك ضربك عماراً! قال: فوالله ما أمرت به ولا ضربت، هذه يدي بعمار فليقتص! قالوا: وننقم عليك إذ جعلت الحروف حرفاً واحداً! قال جاءني حذيفة؛ فقال: ما كنت صانعاً إذا قيل قراءة فلان وقراءة فلان فيختلفون كما اختلف أهل الكتاب؟ فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمن حذيفة!! وقالوا: ننقم عليك أنك استعملت السفهاء من أقاربك! قال: فليقم أهل كل مصر فليسالوني صاحبكم فأوله عليهم؛ فبعث علي عليه السلام إلى ذي خشب فأرضاهم وردهم فانصرفوا حتى بلغوا حسمي مر بهم راكب معه كتاب إلى ابن أبي سرح بقتل القوم، ولما انصرف الراكب تكلم الناس أمرهم وأرجفوا بالأراجيف؛ فخطب عثمان وقال: قد بعثني ما تحدثتم وإنما جاؤوا في صغير من الأمر! فقال عمر بن العاص: بل جاؤوا في كبير من الأمر وقد ركبت ما بك نهابر فيما أن تعتدل وإما أن تعتزل! فقال عثمان: يا بن النابغة هذا الآن عزلتك عن مصر! قالوا: ولما أعطي عثمان القوم ما أرادوا قال مروان بن الحكم لحمران بن أبان كاتب عثمان، فكان خاتم عثمان مع مروان بن الحكم: إن هذا الشيخ قد وهن وخرف وقم فكتب إلى ابن أبي سرح أن يضرب أعناق من ألب على عثمان!! فعلا وبعث الكتاب مع غلام لعثمان يقال له مدس على ناقة من بوقه، فمر بالقرم وهم نزول بحسمي فاتهموه وأخذوه وقرروه وأخرجوا الكتاب من إداوة له وانصرفوا إلى المدينة، ويدؤوا بعلي بن أبي طالب عليه السلام لأنه كان راضهم وضمن لهم، فجاء علي معهم إلى عثمان؛ فقالوا: فعلت

وفعلت؟ فأنتكر ذلك لعن الله الكاتب والمملي والأمر به؛ فقالوا: فما تظن؟ قال: أظن كاتبني غدر! وارتجت المدينة برجوع القوم، فحقق سو مخروم لضربه عمار وحقق بنو زهرة لحال عبد الله بن مسعود وحقق بنو غفر حكاك أبي ذو الغفاري؛ وكان أشد الناس طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشة، وحذلتهم المهاجرون والأنصار؛ وتكلمت عائشة في أمره واطلعت شعرة من شعر رسول الله ﷺ ونعله وثيابه وقالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم؟ فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال وغضب حتى ما كاد يدري ما يقول! فقال عمر بن العاص: سبحان الله؛ وهو يريد أن يحقق طعن الناس على عثمان! فقال الناس: سبحان الله! ثم صعد عثمان المنبر وهو يريد أن يتكلم بعهده فقام رجل فثبته وعابه وقال: فعلت وفعلت وعثمان يلتفت⁽¹⁾.

«ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم، وأن أهل الأمصار يسبرون إليهم اعتزموا على قتل عثمان ؓ وتقبل شهادتهم يرجون في ذلك خلاصهم، واشتغال الناس عنهم، فقاموا إلى الباب ليفتحوه فمنعهم الحسن بن علي وابن الزبير ومحمد بن طلحة مروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة، وقتلوهم وغلبوهم دون الباب. ثم صدهم عثمان في القتال وحلف ليدخلوا فدخلوا وأغلق الباب فجاءوا بالنار وأحرقوه، ودخلوا وعثمان يصلي وقد افتتح سورة طه. وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ وجلس إلى المصحف يقرأ فقرأ «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل». ثم قال لمن عنده: إن رسول

(1) المظهر من طاهر المقلبي، البدء والتاريخ، 318.

الله ﷻ قد عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه ومتعمهم من القتال، وأدبر للحس في لحاق أبيه وأقسم عليه، فأبى وقاتل دونه. وكان المغيرة بن لأحس بن شريق قد تعجل من الحج في عصابة لنصره فقاتل حتى قتل. وجاء أبو هريرة بندي: يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، وقاتل ثم اقتحمت الدار من ظهرها من جهة دار عمرو بن حزم فامتألت قوماً ولا يشعر الذين بالباب، وانتدب رجل فدخل على عثمان في البيت فحاوره في الخلع فأبى، فخرج ودخل آخر ثم آخر كلهم يعطه فيخرج ويفارق القوم. وجاء ابن سلام فوعظهم فهموا بقتله. ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلاً بما لا حاجة إلى ذكره، ثم استحيا وخرج، ثم دخل عليه السفهاء فضربه أحدهم وأكبت عليه نائلة إمرأته تنقي الضرب بيدها، فنفحها أحدهم بالسيف في أصابعها. ثم قتلوه وسال دمه على المصحف. وجاء غلمانهم فقتلوا بعض أولئك القاتلين وقتلوا آخر وانتهبوا ما في البيت وما على النساء حتى ملاءة نائلة، وقتل الغلمان منهم، وقتلوا من الغلمان. ثم خرجوا إلى بيت المال فانتهبوه وأرادوا قطع رأسه فمنعهم النساء. فقال ابن عديس: أتركوه. ويقال إن الذي تولى قتله كنانة بن بشر التميمي. وطعنه عمرو بن الحمق طعنات. وجاء عمير بن ضابئة وكان أبوه مات في سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعاً من أضلعه⁽¹⁾.

كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر بن عتاب الكندي وعمرو بن الحمق الخراعي، والذين قدموا من الكوفة مائتين عليهم مالك بن الأشتر النخعي، والذين قدموا من البصرة مائة رجل رئيسهم حكيم بن جيلة العبدي

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 721.

وصوت إليه حثالة من الناس قد مرجت أماناتهم وسفهت أحلامهم، وكان أصحاب النبي ﷺ الذين خذلوه لا يرون أن الأمر يبلغ به القتل فلما قتل ندموا، ولعمري لو قام بعضهم فحثا التراب في وجوه أولئك لانبصر فوا وقال الواقدي في روايته: تسور على عثمان من دار عمرو بن حزم. عن ابن سيرين قال: جاء ابن بدليل إلى عثمان، وكان بينهما شحنة، ومعه السيف وهو يقول: لأقتلنه، فقالت له جارية عثمان: لآنت أهون على الله من ذاك، فدخل على عثمان فضربه ضربة لا أدري ما أخذت منه. وقال الواقدي في روايته: لما ضرب محمد بن أبي بكر عثمان بمشاقصه قال عثمان: بسم الله توكلت على الله، وإذا الدم يسيل على لحيتي وعلى المصحف حتى وقع على: «فسيكفيكمهم الله» وأطبق عثمان المصحف⁽¹⁾.

«وكان محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة لا يفتران من التحريض على عثمان بمصر، فخرج عبد الرحمن بن عديس البديوي، وسودان بن حمران التُّرادي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعروة بن شبيب الليثي في خمسمائة، وأظهروا أنهم يريدون العمرة، وكان خروجهم في رجب، ووجه عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان بخبرهم رسولاً سار إحدى عشرة ليلة، وساروا المنازل حتى نزلوا بدِّي خُشب، فقال عثمان: هؤلاء يُظهرون أنهم يريدون العمرة ووالله ما يريدون إلا الفتنة، لقد طل على الناس عمري، ولئن فارقتهم ليمتنون يوماً من أيامي. فأثنى عثمان علماً في منزله فقال له: يا بن عم إن قرابتي قريبة وحقي عظيم، والقوم فيما بلعني على أن يصبحوني ليقتلونني، وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً وأنهم يسمعون منك، فأحب أن تركب إليهم فتردهم على أن أصير إلى

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 796.

ما تُشير به وتراه ولا أخرج عن أمرك ولا أخالفك. فركب عليّ ومعه عيس بن ريد، عمرو بن نُقيل أبو الأعور، وأبو الجهم بن حُذيفة لعدوي، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ومن الأنصار: أبو حميد الساعدي، وأبو أسيد السعدي، وزيد بن ثابت، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومحمد بن مسلمة - وقل بعضهم: إن عمار بن ياسر كان معهم - فكلهم عليّ ومحمد بن مسلمة حتى انصرفوا راجعين إلى مصر، ثم لم يشبوا أن رجعوا وادعوا أموراً، فأقسم عثمان أنه لم يفعلها.... عن الزهري أن الناس كانوا يأتون علياً لسابقته وقربته وفضله، لا أنه أراد ذلك منهم، وكان مروان يأتي عثمان فيخبره أنه يؤلب الناس عليه ويعصب كل شيء يكون من أهل مصر وغيرهم له، وأبلغه عنه أن قوماً قدموا من مصر فاستقل عدتهم فقل لهم: ارجعوا فتأهبوا فإني باعث إلى العراق من يأتيني من أهله بجيش يُبطل الله به هذه السيرة الجائرة ويُريح من مروان وذويه، فقال عثمان: اللهم إن عبداً أبي إلا حب الإمارة فلا تُبارك له فيها⁽¹⁾.

«وكان رؤسائهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البلوي وسودان بن حمران المرادي وابن البياع وعمرو بن الحمق الخزاعي؛ لقد كان الاسم غلب حتى يقال جيش عمرو بن الحمق؛ فاتأهم محمد بن مسلمة فقال: إن أمير المؤمنين يقول كذا ويقول كذا، وأخبرهم بقوله، فلم يرل بهم حتى رجعوا! فلما كانوا بالبويب رأوا جملاً عليه ميسم الصدقة فأحدوه فإذا علام لعثمان فأخذوا متاعه فقتشوه فوجدوا فيه قسبة من رصاص فيها كتاب في خوف الإدواة في الماء إلى عبد الله بن سعد، أن افعل بفلان كذا»

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 780.

وفلان كذا من القوم الذين شرعوا في عثمان؛ فرجع القوم ثانية حتى برلوا
بدي حشب فأرسل عثمان إلى محمد بن مسلمة، فقال: اخرج فارددهم
عني! فقال: لا أفعل! قال: فقدموا فحصبوا عثمان؛ أنكر عثمان أن يكون
كتب الكتاب أو أرسل ذلك الرسول وقال: فعل ذلك دوبي!!⁽¹⁾

حول مقتل عثمان بن عفان، يقول أحد المراجع: «فجاء محمد بن أبي
بكر في ثلاثة عشر رجلاً حتى انتهى إلى عثمان؛ فأخذ بلحيته، فقال بها
حتى سمع وقع أضراسه؛ فقال: ما أغنى معاوية! ما أغنى عنك ابن عامر!
ما أغنت كتبك! فقال [عثمان]: أرسل لي لحيتي يا ابن أخي! أرسل لي
لحيتي يا ابن أخي! قال: فأنا رأيت استعداء رجل من القوم بعينه فقام إليه
بمشقص حتى وجأ به في رأسه؛ قال: ثم قلت: ثم مه! قال: ثم تغاؤوا
والله عليه حتى قتلوه رحمه الله!!... عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد أن
محمد بن أبي بكر تسور على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن
بشر بن عتاب وسودان بن حمران وعمرو بن الحمق، فوجدوا عثمان عند
امراته نائلة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة، فتقدمهم محمد بن أبي
بكر فأخذ بلحية عثمان، فقال: قد أخزأك الله يا نعثل! فقال عثمان: لست
بنعثل ولكن عبد الله وأمير المؤمنين؛ فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية
وفلان؟ فقال عثمان: يا بن أخي دع عنك لحيتي فما كان أبوك ليقبض على
ما قبضت عليه! فقال محمد: ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك!
فقال عثمان: أستنصر الله عليك وأستعين به؛ ثم طعن جبينه بمشقص في
يده ورفع كنانة بن بشر بن عتاب مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل
أذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله! قال

(1) اس سعد الطقات الكبرى، 444؛ راجع: النهي، تاريخ الإسلام، 443

عبد الرحمن بن عبد العزيز فسمعت ابن أبي عون يقول: ضرب كنانة بن بشر حبيته ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه وضربه سودا من حمران امر دي بعدما خر لجنبه فقتله وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات؛ وقال: أما ثلاث مهر مني طعنتهن لله وأما ست فإني طعنت إياهن لما كان في صدري عليه!... لما ضربه بالمشاقص قال عثمان: بسم الله توكلت على الله؛ وإذا الدم يسيل على اللحية بقطر والمصحف بين يديه فاتكأ على شقه الأيسر وهو يقول: سبحان الله العظيم؛ وهو في ذلك يقرأ المصحف والدم يسيل على المصحف حتى وقف الدم عند قوله تعالى: فسيفكفيهم الله وهو السميع العليم! وأطبق المصحف وضربوه جميعاً ضربة واحدة⁽¹⁾. «وأرادوا قطع رأسه، فوقعت نائلة عليه وأم النين مصحن وضرب الوجوه. فقال ابن عديس: أتركوه. وأقبل عمير بن صابئ فوثب عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه؛ وقال: سجت أبي حتى مات في السجن»⁽²⁾. «وقال غيره [عن عمرو]: كان أحد من ألّب على عثمان»⁽³⁾.

فتناول لحيته وقال: يا نغثل. فقال: شس الوضع وضعت يدك، ولو كان أبوك مكانك لأكرمي أن يضع يده مكان يدك. فأهوى بمشاقص كانت معه إلى وجهه، وهو يريد بها عينيه، فزلت فأصابت أوداجه وهو يتلو القرآن ومصحف في حجره فجعل يتكفف الدم فإذا راحته منه نفعه وقال: اللهم ليس لهذا

(1) ابن سعد الطبعات الكبرى، 448.

(2) اس الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 519.

(3) اس حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 1160؛ أنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى،

1091. «نري، الجوهر» في نسب النبي وأصحابه العشرة، 127؛ الطبري، تاريخ

موسى والملوك، 997؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2774.

طالب في شرا سيف عثمان حتى خالط جَوْفَهُ، ودخل عمرو بن الحمق، وكنانة بن بشر، واس رومان، وعبد الرحمن بن عُدَيْس فمالوا عليه بأسيا فهم حتى قتلوه وخرج حارِجٌ إلى المسجد فأخبر بقتله، فقال قاتل: ما أطعمكم فَعَلْتُمْ، فَعُدُّوا وعدوا وقد حَسَرَت نائلة بنت الفرافصة عن رأسها لِنَكْفِهِمْ وفتحوا، فقالت: يا أعداء الله، وكيف لا تدخلون عَلَيَّ وقد ركبتم الذنب العظيم!! وتناولت سيف أحدهم فاجتذبه فقطع إصبعين من أصابعها⁽¹⁾.

«دخل عليه محمد بن أبي بكر بِشْرِيَّان كان معه فَضْرَبَهُ في حشائه حتى وَقَعَتْ في أَوْذَاجِهِ فخر، وَضَرَبَ كَنَانَةُ بن بِشْرِ جَبْهَتَهُ بِعُمُود، وَضَرَبَهُ أَشْوَدَان بن حُمْرَانَ بالسيف»⁽²⁾. لكنه [محمد] هو الذي أدخلهما يعني الرجلين كنانة بن بشر، وسودان بن حمران، ورفع كنانة مشاقص فوجأ بها في أذن عثمان فمضت حتى دخلت حلقه ثم علاه بالسيف وضرب جبينه بعمود حديد وضربه سودان بن حمران المرادي، فقتله ووُثِب عليه عمرو بن الحمق وبه رمق قطعته تسع طعنات»⁽³⁾.

«قال الواقدي: ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان حتى جلس بين يديه وأخذ بلحيته فقال: يا نعل - ونعل دهقان أصبها كان جميلاً جيد اللحية فشبهوا عثمان به - كيف ترى صنع الله بك؟ قال: خيراً أنقي الله يا بن أخي ودع لحبتي فإن أباك لو كان حياً لم يقعد مني هذا المقعد ولم يأخذ بحبتي، فقال محمد: إن أبي لو كان حياً ثم رآك تعمل هذا العمل لأنكره عليك، وتناول عثمان المصحف فوضعه في حجره فقال: عباد الله لكم

(1) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، 394.

(2) السابق، 372.

(3) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 472.

ما فيه والعتبي مما تكرهون، اللهم أشهد. فقال محمد بن أبي بكر «ألا» وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» ثم رفع جماعة قذاح كانت في يده فوحاً بها خششائه حتى وقعت في أوداجه فحرت ولم تقطع فقال: عباد الله لا تقتلوا بني فتنتموا وتختلفوا، فرفع كنانة بن بشر بن عتاب التحيبي عموداً من حديد كان معه فضرب به جبهته فوق، وضربه سودان بن حمران - ويقال سيدان بن حمران - المرادي بالسيف ضربة فكانت أول قطرة قطرت من دمه في المصحف على «فسيكفيهم الله وهو السميع العليم» وقعد عمرو بن الحمق الخزاعي على صدره فوجأه تسع وجأت بمشقص... وانصرف الناس عن عثمان وترك قتيلاً في داره يوماً أو يومين حتى حمله أربعة فيهم امرأة، أحد الأربعة جبير بن مطعم»⁽¹⁾.

«وأرادوا قطع رأسه، فوقعت عليه زوجته: نائلة بنت الفرافصة وأم البنين، ابنة عينة بن حصن الفزاري، فصحن وضربن الوجوه، فقال ابن عديس: اتركوه، وأقبل عمير بن ضائب البرجمي فوثب عليه، فكسر ضلعين من أضلاعه، وقال له: سجت أبي حتى مات في السجن!... وكان عمره ستاً وثمانين سنة»⁽²⁾.

«فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته، فقال: يا محمد، والله لو رآك أبوك لساء مكانك فتراخت يده، وخرج عنه إلى الدار، ودخل رجلان فوجده فقتلاه، وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فصعدت امرأته فصرخت وقالت: قد قتل أمير المؤمنين»⁽³⁾.

(1) ابلادي، أنساب الأشراف، 790.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 158.

(3) مروج الذهب، المسعودي، 311.

«وكان فيمن مال عليه عمير بن ضبابي البرجمي التميمي، وخصخص سبيه في بطنه»⁽¹⁾.

وفي حديث آخر: أن محمد بن أبي بكر أخذ بلحيته، وأهوى بمشاقص معه ليحبأ بها في حلقه، فقال: مهلاً يا بن أخي فوالله لقد أحدث ماأحد م كان أبوك ليأحد به، فتركه وانصرف مستحياً نادماً، فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلاً حتى غلبوه، فدخلوا، وخرج محمد راجعاً فأتاه رجل بيده جريدة، تقدمهم حتى قام عثمان، فضرب بها رأسه فشجه، فقطر دمه على المصحف حتى لطخه، ثم تفاووا عليه، فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف، فسقط، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه وقالت: يا بنت شيبه، أيقتل أمير المؤمنين؟! فأخذت السيف، فقطع الرجل يدها، وانتهبوا متاع البيت، ومر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف، فضرب رأسه برجله ونجاه عن المصحف وقال: ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم... وقال في آخر الحديث: وانتهبوا بيته، فهذا يأخذ الثوب، وهذا يأخذ المرأة، وهذا يأخذ الشيء. وعن كنانة مولى صفية بنت حيي قال: شهدت مقتل عثمان عليه السلام وأنا ابن أربع عشرة سنة، قلت: هل أئدى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه فقال عثمان: يا بن أخي، لست بصاحبي فخرج، ولم يند من دمه شيء، فقلت لكنانة: من قتله؟ قال: رجل من أهل البصرة، وقيل من أهل مصر يقال له: حيلة بر الأيهم، وقيل جبلة بن الأهتم، وقيل: من أهل مصر يقال له: حمار. وعن عائشة قالت: دخل محمد بن أبي بكر على عثمان متأبطاً سبيه، قد

(1) مروج الذهب، للمسعودي، 312.

علق كنانته في هميّاته حتى جلس بين يديه فقال: يا نعثل، فقال: لست نعثل ولكني عثمان أمير المؤمنين. فأهوى يده إلى لحيته، فقال: مه يا بن أخي! كف يدك عن لحية عمك وأجلها، فإن أباك كان يجلها. فغضب فأحد مشقصاً من كنانته فضربه في وجهه، فأسرع السهم فيه، ثم دخل النحبي ومحمد بن أبي حذيفة فضرباه بأسيا فهما حتى أثبتاه وهو يقرأ المصحف⁽¹⁾.

«عن الشعبي قال: جاء رجل من تجيب من المصريين، والناس حول عثمان، فاستل سيفه، ثم قال: افرجوا، ففرجوا له، فوضع ذباب سيفه في بطن عثمان، فأمسكت نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بالسيف لمنع عنه، فحز السيف أصابعها... وعن المغيرة قال: حصروه اثنين وعشرين يوماً، ثم أحرقوا الباب، فخرج من في الدار»⁽²⁾.

«وكان ممن سار إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار، فيما ذكروا، وصار بعد ذلك من شيعة علي، وشهد معه مشاهدته كلها: الجمل، وصفين، والنهروان»⁽³⁾.

«وقال ابن الربيع: دخل مصر في خلافة عثمان، ولهم عنه حديث في الجند الغربي. وقال التهذيب: بايع في حجة الوداع، وصحب بعد ذلك، وقتل بالحرّة. وقال ابن سعد: كان فيمن سار إلى عثمان، وأعان على قتله، ثم قتله عبد الرحمن بن أم الحكم. وعن الشعبي قال: أول رأس حمل الإسلام وأس عمرو بن الحمق»⁽⁴⁾.

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2222.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، 447.

(3) ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 846.

(4) لسبوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، 75.

مقتل عمرو:

يقول الرركلي: وشهد مع علي حروبه. وكان على خراعة⁽¹⁾ يوم صمين. ورحل إلى مصر ثم إلى الموصل، فطلبه معاوية، فدخل غاراً فنهشته حية⁽²⁾ فمات.

وأخذ عامل الموصل رأسه فأرسله إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية، فكان أول رأس حمل في الإسلام⁽³⁾.

(1) «ومن القبائل التي أقامت على مقربة من مكة «خزاعة»، ومن رجالهم عد صهور الإسلام، «عمرو بن الحقم» الكاهن، صاحب السبي وشهد المشاهد مع «علي» وقتله «معدوية» بالجزيرة» (د. حواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 872).

(2) «أنه حرق مع عمرو بن الحقم حين طلبه معاوية قال. فقال لي يا ردة أن تقوم فاني، إن رسول الله ﷺ أحبري أن الحزن والإس تشترك في دمي، قل رفاعة: فما تم حديثه حتى رأيت أمة الخيل فودعته وواثته حية فلسعته وأدركوه فحزوا رأسه وكان أول رأس أهدي في الإسلام» (شمس الدين الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، 333). من المراجع التي تحدثت عن «الحية» التي قتلت قبل قطع رأسه: نذكر ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 1160؛ ابن الأثير المؤرخ، أسد الغدة، 846؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2611؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 363؛ البري، الجوهرة في نسب السبي وأصحابه العشرة، 127.

(3) «حدثني به حبي رسول الله ﷺ أن رأسي أول رأس يجتر في الإسلام وينقل من بلد إلى بلد». (الحافظ المشي، جمع الزوائد ومنع الموائد، 1814) أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحقم إلى معاوية - قال سفيان: أرسل معاوية ليؤني به، فسرع. وكأنهم خافوا أن يتهمهم، فأتوا برأسه. (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغدة، 846) وعن شعبي قال: أول رأس حمل الإسلام رأس عمرو بن الحقم (السيرطي، حسن المحاصرة في أحبار مصر والقاهرة، 75). «لعل لإرسال رأس الحسين ومن معه كد قس رأس عبد الله بن أبي الحقم فلا يتأني قول ابن الحوزي أول رأس حمل في الإسلام رأس عبد الله بن أبي الحقم وذلك أنه لدغ فمات فخشيت الرسل أن تتهم فقطعو رأسه فحملوه... نصب معاوية ﷺ رأس عمرو بن أبي الحقم ونصب يريد من معدوية رأس الحسين ﷺ، وقول الزهري إلى المدينة لا يخالف ما في النور ما تقدم

وقيل في خبر مقتله: إن عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي عامل الموصل ظفر به، فكتب إلى معاوية، فجاءه من معاوية: إن ابن الحمق رعم أنه طمس عثمان بن عفان تسع طععات، فأطعته مثلها»⁽¹⁾.

وضرب رجل من الحمراء رأس عمرو بن الحمق بعموده فوقع، وحممه أصحابه إلى الأزد فاختموا عندهم حتى خرج، (ابن الأثير لمؤرخ، الكامل في التاريخ، 631).

«عن أبي إسحق أن حجر بن عدي لما قفي به من عند رباد نادى بأعلى صوته: اللهم إني على بيعتي لا أقبلها ولا أستقبلها، سميع الله والذسر، وكان عليه برنس في غداة باردة فحبس عشر ليال وزياد يطلب رؤوس أصحاب حجر، فخرج عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل فأتيا جبلاً فكمنا فيه وبلغ عمل ذلك الرستاق أن رحلين قد كمنا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما، وهو رجل من همدان يقال له عبد الله بن أبي تلعة، فسر إليهما في الخيل ومعه أهل البلد فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو بن الحمق

في غزوة بدر كم من رأس حمل بين يدي رسول الله ﷺ لأن تلك الرؤوس لم تحمل إلى رسول الله ﷺ بالمدينة على أن فيه أنه لم يحمل إليه ذلك اليوم إلا رأس أبي جهل عن م تقدم ٩ (بور الدين الخليلي، السيرة الحلبية، 850). عن الشعبي قال أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق (الطبقات الكبرى، ابن سعد، 1091). ولصحيح أن أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق (ابن الأثير لمؤرخ، الكامل في التاريخ، 679) وقال الشعبي وهو أول رأس نقل وكان عمرو بن الحمق أحد الرؤوس الذين ساروا إلى أمير المؤمنين. (تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، 140). وأول مسلم حمل رأسه عمرو بن الحمق الخزاعي رحمه الله. (شمس لدين الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، 1515)

(1) الزركلي، الأعلام، 722.

فكان مريضاً وكان بطنه قد استسقى، فلم يكن عنده امتناع، وأما رفاعه بن شداد فكان شاباً قوياً فوثب على فرسه فقال أقاتل عنك، فقال وما ينفعني أن تقتل، انج بنفسك إن استطعت، فحمل على القوم فأفروا له، وحرص يتعدى به فرسه، وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فأخذ لا يلحق به فارس إلا رماه فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه وأخذ عمرو بن الحمق فسألوه: من أنت؟ قال: إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضمر عليكم، فبعث به ابن أبي تلعة إلى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، وهو ابن أم الحكم، فلما رأى عمرأ عرفه فكتب إلى معاوية يخبره، فكتب إليه إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات وإنما لا يزيد عليه فاطمته تسع طعنات، فأخرج فطعن تسع طعنات فمات في الأولى أو في الثانية، فبعث برأسه إلى معاوية، وكان أول رأس حمل في الإسلام⁽¹⁾.

«فلما ولي قال زياد: والله لأحرصن على قطع خبط رقبته! وطلب أصحابه، فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعه بن شداد فاختلفا بجبل هناك... فبعثوه إلى عامل الموصل، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي الذي يعرف بابن أم الحكم، وهو ابن أخت معاوية، فعرفه فكتب فيه إلى معاوية. فكتب إليه: إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه فاطمته كما طعن عثمان. فأخرج وطعن. فمات في الأولى منه أو الثانية⁽²⁾.» وعنه قال: تطلب زياد رؤساء أصحاب حجر، فخرج عمرو إلى الموصل هو ورفاعة بن شداد، فكمنا في جبل، فبلغ عامل ذلك

(1) اس العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 1503؛ راجع: إبراهيم الیهقي، المحاسن والمساوي، 162.

(2) اس الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 632.

لرستق، فاستنكر شأنهما، فسار إليهما في الخيل... عن هنيذة الحراعي قال: أول رأس أهدي في الإسلام رأس عمرو بن الحمق. وقال عمر الدهني: أول رأس نقل رأس ابن الحمق، وذلك لأنه لدغ فمات، فخشيت الرسل أن تتهم به، فحزوا رأسه وحملوه. وقلت: هذا أصح مما مر، فإن ذلك من رواية ابن الكلبي، فالله أعلم هل قتل أولدغ. وقال حليفة قتل سنة خمسين⁽¹⁾.

«ثم صار من شيعة علي عليه السلام، وشهد معه مشاهدته كلها: الجمل، والنهر، وأعان حجر بن عدي، ثم هرب في زمن زيد إلى الموصل، ودخل غاراً فنهشته حية فقتلته، فبعث إلى الغار في طلبه، فوجد ميتاً، فأخذ عامل الموصل رأسه، وحمله إلى زياد فبعث به زيد إلى معاوية، وكان أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد. وكانت وفاة عمرو بن الحمق الخزاعي سنة خمسين. وقيل: بل قتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي عم عبد الرحمن بن أم الحكم سنة خمسين⁽²⁾.

«وأعان حجر بن عدي، وكان من أصحابه، فخاف زياداً، فهرب من العراق إلى الموصل، واختفى في غار بالقرب منها، فأرسل معاوية إلى العامل بالموصل ليحمل عمر إليه، فأرسل العامل على الموصل ليأخذه من الغار الذي كان فيه، فوجده ميتاً، كان قد نهشته حية فمات، وكان العامل عبد الرحمن بن أم الحكم، وهو ابن أخت معاوية.... سفیان قال:

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 507، 518.

(2) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 363؛ راجع العصامي، سمط الحوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 551؛ ابن كلب، نسب معد واليمن الكبير، 102؛ بن دريد، الاشتقاق، 147؛ ابن أبي عاصم، الأوائل، 12.

سمعت عماراً الدهني - إن شاء الله - قال: أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق إلى معاوية - قال سفيان: أرسل معاوية ليؤتى به، فلدغ، وكانهم حافوا أن يتهمهم، فأتوا برأسه⁽¹⁾.

«فقام زياد ينظر إليهم وهو على المنبر، فغشوا بالعمد، فضرب رجل من الحمراء - يقال له بكر ابن عبيد - رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقه، وأثناء أبو سفيان بن عويمر والعجلان بن ربيعة - وهما رجلان من الأزد - فحملاه؛ فأثبا به دار رجل من الأزد - يقال له عبيد الله بن مالك - فخبأ بهما، فلم يزل به متوارياً حتى خرج منها⁽²⁾.

«أن حجراً لما قفي به من عند زياد نادى بأعلى صوته: اللهم إني على بيعتي، لا أقبلها ولا أستقبلها، سماع الله والناس. وكان عليه برنس في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزياد ليس له عمل إلا طلب رؤساء أصحاب حجر، فخرج عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل، فأثبا جبلاً فكمنا فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق أن رجلين قد كمنا في جانب الجبل، فاستكر شأنهما - وهو رجل من همدان يقال له عبد الله بن أبي بلتعة - فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد⁽³⁾.

«وعن الأجلح بن عبد الله الكندي قال: وكان رسول الله ﷺ قال له: «يا عمرو أنتحب أن أريك آية الجنة؟» قال: نعم يا رسول الله؛ فمرّ على علي فقال: «هذا وقومه آية الجنة». فلما قتل عثمان وبايع الناس علياً لزمه فكان

(1) ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 846.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1195.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1195.

معه حتى أصيب؛ ثم كتب معاوية في طلبه وبعث من يأتيه به.. وكان مؤحياً لعمر بن الحمق أنه خرج معه حين طلب، فقال لي يا رفاعه، إن القوم قاتلي، وإن رسول الله ﷺ أخبرني أن الجن والإس تشترك في دمي؛ وقال لي: «يا عمرو إن أمك رجل على دمه فلا تقتله فتلقى الله بوجه عذرة». قال رفاعه: فما أتم حديثه حتى رأيت أعتة الحيل فودعته، وواشته حية فسعته، وأدركوه فاحتزوا رأسه فكان أول رأس أهدي في الإسلام⁽¹⁾. «وأول رأس حمل من بلد إلى بلد رأس عمرو بن الحمق الحزاعي»⁽²⁾.

«هرب عمرو بن الحمق إلى الموصل وعليها ابن أم الحكم، فصار إلى غار في جبل، فعثر عليه وأخبر عبد الرحمن بن أم الحكم بمكانه، فبعث إليه خيلاً فدخل أقصى الغار فنهشته حية فقتلته وأخذ رأسه فحمل إلى زياد، فحملة زياد إلى معاوية، فكان أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد. حدثنا محمد بن الصباح عن شريك عن أبي اسحاق قال: أول رأس أهدي في الإسلام رأس عمرو بن الحمق أهدي إلى معاوية. وروي أن ابن الحمق أتى أذربيجان فنزل على رجل من بجيله فمات عنده، فاحتز رأسه فأتى به ابن أم الحكم، فبعث به إلى معاوية، فنصبه للناس، ثم بعث به إلى امرأته أمنة بنت سويد وكانت محبوسة عند معاوية، فقالت: لقد نفيتموه طويلاً وأهديتموه قتيلاً، فمر حباً به من هدية غير مقبلة؛ ونفاه إلى حمص فماتت بحمص»⁽³⁾.

(1) بر منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2611.

(2) مرسفة الدينوري، 126.

(3) سلاذري، أنساب الأشراف، 673.

أمنة بنت الشريد:

أمنة بنت الشريد زوج عمر بن الحمق؛ كانت بدمشق ذكر أبو الحسن علي بن محمد الكاتب الشابشي: أن عمرو بن الحمق، لما قتل حمل رأسه إلى معدوية، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد، وكانت أمنة بنت الشريد زوجته بدمشق، فلما حمل رأس عمرو إليه أمر أن يلقي في حجرها وأن يسمع منها تقول، فلما رأته ارتاعت له. وأكت عليه قبله، وقالت: واضيعنا في دار هون! بقيتموه طويلاً، وأهديتموه إلي قتيلاً، فأهلاً وسهلاً، كنت له غير قالية، وأنا له غير ناسية، قل لمعاوية: أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر الله ذنبك، فعاد الرسول إليه بما قالت، فأمر به فأحضرت، وعنده جماعة وفيهم إياس بن شرحبيل وكان في شذقيه نبؤ لعظم لسانه. فقال لها معاوية: يا عدوة الله أنت صاحبة الكلام. قالت: نعم، غير فازعة ولا معتذرة، قد لعمرى اجتهدت في الدعاء، وأنا أجتهد إن شاء الله إن نفع الاجتهاد والله من وراء العباد. فأمسك معاوية.

فقال إياس: اقتل هذه، فما كان زوجها بأحق بالقتل منها. فقلت له: تبا لك ويلك! بين شديق جثمان الضفدع وأنت تأمره بقتلي كما قال تعالى: «إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين»؛ فضحك معاوية والجماعة، ويان الخجل من إياس، ثم قال معاوية: اخرجني عني فلا أسمع بك في شيء من الشام. قالت: سأخرج عنك، فما الشام لي بموطن، ولا أعرج فيه على حميم ولا سكن، ولقد أعظمت في مصيبي، وما قرت به عيني، وما أنا إليك بعائدة ولا لك حيث كنت بحامدة، فأشار إليها بيده أن اخرجني، فقالت: عجبا لمعاوية يسط علي غرب لسانه ويشير إلي بيتانه، فلما خرجت قال معاوية: يحمل

إليها ما يقطع بها عرب لسانها ويحفظ به إلى يدها فقصت ما أمر لها به وحرحت تريد الكوفة، فلما وصلت إلى حمص توفيت ⁽¹⁾

«كان تحت عمرو بن الحقم آمنة بنت الشريد، فحسبها معاوية في سجن دمشق رماناً، حتى وحه إليها رأس عمرو بن الحقم، فألقي في حجرها، فارتاعت لذلك، ثم وصعته في حجرها، ووصعت كمها على حبيبها، ثم لثمت به ثم قالت: عيتموه عني طويلاً ثم اهديتموه إليّ قتيلاً! فأهلاً بها من هدية غير قالية ولا مقببة» ⁽²⁾. «وقرره مشهور بظاهر الموصل برار، وعليه مشهد كبير، ابتداء عمارته أبو عبد الله سعيد بن حمدان، وهو ابن عم سيف الدولة - وباصر الدولة أبي حمدان، في شعبان من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وحرى بين السنة والشيعة فتنة سبب عمارته» ⁽³⁾.

(1) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، 66.

(2) ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 847.

(3) السابق.

الفصل السابع

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

من هو خالد بن الوليد؟ إنه «خالد بن الوليد بن المعيرة سيف الله، ويكنى أب سيمان أسلم في هذة الحديبية وكان له بشام من الولد عدد كثير باد أكثرهم بالطاعون وأشهر ولده. المهاجر وعبد الرحمن. وكان المهاجر محباً في عني، وشهد معه الجمل وصفين، ورؤي عنه الحديث وكان لعبد الرحمن فضل وهدي وكرم، إلا أنه كان مُحرفاً عن علي وسي هاشم مُحرفة لأخيه المهاجر وشهد صفين مع معاوية وله رواية عن النبي ﷺ عن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أنه اخنحم في رأسه، وبين كتفيه، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال «من أهرق منه هذه الدماء فلا يضره ألا يتداوى بشيء»¹

أولاد خالد، كما يذكرهم أحد المراجع، هم: «وولد خالد بن الوليد بن المعيرة عبد الرحمن، وكان عظيم القدر في أهل الشام؛ وشهد مع معاوية صفين؛ وكان كعب بن جعيل مدحاً له؛ وزعموا أن معاوية قال لكعب بن جعيل بعد موت عبد الرحمن «ليس للشاعر عهد» قد كان عبد الرحمن لك صديقاً، فلما مات سيته»² قال «ما فعلت، ولقد قلت فيه بعد موته:

(1) الري، لخواصرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 27

والمهاجر بن خالد، وعبد الله، قتل بالعراق، وأمهم ست أنس بن مدرّك الحثعمي، وسليمان بن خالد، وبه كن يكي، وأمّه كشة ست هودة بن أبي عمرو، من ولد رراح بن ربيعة؛ وعبد الله بن خالد، وأمّه. أم تميم الثقفية؛ وأخوه لأمّه يزيد بن عبيد الله بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف".

لم يجد كثيراً من المصوص حول عبد الرحمن وأخيه المهاجر قبل المرحلة العثمانية؛ مع ذلك، ثمة نص هدم من المرحلة العمرية، يقول: "وبلغ عمر بن الخطاب عليه السلام أن أدساً من رواة الأشعر وحملة الآثار يعيون الناس، ويثلبونهم في أسلافهم، فقام على المنبر، وقال: إياكم وذكر العيوب، والبحث عن الأصول، فلو قلت: لا يخرج اليوم من هذه الأبواب إلا من لا وصمة فيه لم يحرج منكم أحد. فقام رجل من قريش - نكره أن نذكره - فقال: إذا كنت أد وأنت يا أمير المؤمنين نحر، فقلت: كذبت، بل كان يقال لك، يا قين اس قين، فقلت: الرجل الذي قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المعيرة المخزومي، كان عمر يبعثه لبعثه أبه خالدًا، ولأن المهاجر كان علوي الرأي جداً، وكان أخوه عبد الرحمن حلافه، شهد المهاجر صفين مع علي عليه السلام، وشهدا عبد الرحمن مع معاوية، وكان المهاجر مع علي عليه السلام في يوم الجمل، وفقت ذلك اليوم عينه ولأن الكلام الذي بلغه عن المهاجر، وكان الوليد بن المغيرة مع حلالته في قريش - وكونه يسمى ربيعة قريش، ويسمى العدل، ويسمى الوحيد - حداداً يصح الدروع وغيرها بده... وقال: إنه روى عند جعفر بن محمد عليه السلام بالمدينة، فقال لا تلمه يا بن أخي، به أشفق أن يحدث بقضية

نميل من عبد العزى وصهاك أمة الزبير بن عبد المطلب. ثم قال: رحم الله عمر فإنه لم بعد السنة، وتلا: «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ». أما قول ابن جرير الأملّي الطبرستاني في كتاب «المسترشد». إن عثمان والد أبي بكر الصديق عليه السلام كان ناكحاً أم الحير ابنة أخته، فليس بصحيح، ولكنها ابنة عمه، لأنها ابنة صخر بن عامر، وعثمان هو ابن عمرو بن عامر؛ وكيف تتصور هذه الواقعة في قريش، ولم يكن أحد منهم مجوسياً ولا يهودياً، ولا كان من ملههم حل نكاح بنات الأخ ولا بنات الأخت»⁽¹⁾.

تضيف نصوص أخرى حول عبد الرحمن بن خالد أنه «عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحفظ عنه ولا سمع عنه، وأبوه خالد بن الوليد من كبار الصحابة وجلتهم؛ وكان عبد الرحمن من فرسان قريش وشجعانهم وكان له فضل وهدي حسن وكرم إلا أنه كان منحرفاً عن علي وبني هاشم مخالفة لأخيه المهاجر بن خالد؛ وكان أخوه المهاجر محباً لعلي وشهد معه الجمل وصفين وشهد عبد الرحمن صفين مع معاوية»⁽²⁾.

أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورآه، ولأبيه صحبة، أمه أسماء بنت أسد بن مدرك، الخثعمي، يكنى أبا محمد. وكان عبد الرحمن من فرسان قريش وشجعانهم، له هدي حسن وفضل وكرم، إلا أنه كان منحرفاً عن علي وبني هاشم مخالفة لأخيه المهاجر بن خالد، فإن المهاجر كان محباً لعلي، وشهد معه الجمل وصفين، وشهد عبد الرحمن صفين مع معاوية. وسكن

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1153.

(2) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 250.

حمص، وكان مع أبيه يوم اليرموك، وكان معاوية يستعمله على عزو الروم^(١)، له معهم وقائع. ولما ولي العباس بن الوليد حمص قال لأشراف أهل حمص: يا أهل حمص، ما لكم لا تذكرون أميراً من أمرائكم مثل ما تذكرون عبد الرحمن بن خالد؟ فقال بعضهم: كان يذني شريفاً، ويعمر ديننا، ويجلس في أفئتنا، ويمشي في أسواقنا، ويعود مرضانا، ويشهد جنازتنا، وينصف مظلومنا^(٢).

كان عبد الرحمن بن خالد أمير حمص^(٣)، كما رأينا في البص السابق؛ ويعتقد كثيرون أن أباه، خالد بن الوليد، مات ودفن في حمص، وهذا مناف لما وجدناه في بعض النصوص الهامة؛ يقول ياقوت الحموي: «وبحمص من المزارات والمشاهد: مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام، فيه عمود فيه موضع إصبه رآه بعضهم في المنام؛ وبها دار خالد بن الوليد عليه السلام وقبره فيما يقال؛ وبعضهم يقول: إنه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح؛ وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القرشي الذي فتح بلاد الجزيرة، وفيه قبر زوجة خالد بن الوليد وقبر ابنه عبد الرحمن، وقيل: بها قبر عبيد الله بن عمر بن الخطاب؛ والصحيح أن عبيد الله قُتل بصفين فإن كان نُقلت جثته إلى حمص فالله أعلم، ويقال: إن خالد بن الوليد مات بقرية على نحو ميل من حمص؛

(١) عن أبي أيوب قال غرونا مع عبد الرحمن بن خالد فأثنى بأربعة أعلاج من لعدو فأمرهم فقتلوا صبراً بالبل؛ فبلغ ذلك أبا أيوب فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهني عن قتل الصبر ولو كانت دجاجة ما صبرتها؛ فبلغ ذلك عبد الرحمن فأعتز أربع رقاب. (أس حجر العقلاي، الإصابة في معرفة الصحابة، 844)

(٢) ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 693.

(٣) ولعدوية عمال وهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على حمص (الويري، هدية الأرب في فنون الأدب، 2322).

وإن هذا الذي يزار بحمص إنما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية وهو الذي بنى القصر بحمص وأثار هذا القصر في غربي الطريق باقية⁽¹⁾.

ويؤكد البلاذري أن خالد «توفي بحمص ودفن في قرية على ميل منها. قال الواقدي: فسألت عن تلك القرية فقليل دثرت، وأوصى إلى عمر بن الحطاب وكان موته سنة إحدى وعشرين... وقال عمر: ما عشت على خالد إلا في المال»⁽²⁾.

ويؤكد أحد المراجع: «قال أبو زرعة: وسأل محمود بن إبراهيم عبد الرحمن بن إبراهيم عن موت خالد بن الوليد، فقال: بالمدينة»⁽³⁾.

يجمل مرجع نادر الآراء السابقة كلها في حديثه عن حمص، فيقول: «مدينة كبيرة أكبر من حماة، لا تضايقها الجبال مثلها بل الجبال من جهاتها الأربع على مسافة ميل واحد وأكثر! لطيفة المنظر محاطة بالبساتين على فواصل قليلة، أكثر عمارتها على الطراز القديم، فيها عمائر قليلة على الطرز الحديث؛ وأسواقها كثيرة جميلة عارية السقوف واسعة الشوارع ومن جملتها شارع فخم أنيق تقوم على جانبيه عمارات جليلة واسعة تحيط بها الحدائق والجنيات وهو منتزه المدينة؛ ومنتزهها الثاني نهر العاصي. وفي حمص جامع فاتها خالد بن الوليد وفيه قبره؛ وفي بعض الآثار التاريخية أن أصل هذا الجامع دار خالد بين الوليد؛ وقال بعضهم: إنه مات في المدينة ودفن فيها، قال ياقوت، وهو الأصح! وصحن الجامع مربع طول كل ربيع منه 50 قدماً وقد عقدوا سقف قسم من الجامع طوله

(1) معجم البلدان، 617.

(2) البلاذري، أسباب الأشراف، 1359.

(3) أبو زرعة الدمشقي، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، 84.

40 قدماً وعرضه كذلك على أربع اسطوانات من الرخام الأبيض بن كل سارية وأخرى عشرون قدماً بنيت على طراز خاص نفيس، وفي الجهة الغربية من الجامع قبر خالد بن الوليد عليه شباك من النحاس الأصفر وقبة ومئذنان من أعلا الجامع، وعلى القبر قناديل عظيمة، وهو مرار أهل حمص ونواحيها؛ ودخل الشباك محراب ثان لابنه عبد الرحمن، وفي الجهة الشرقية قبر آخر لا شباك عليه يزعم أهل حمص أنه قبر عبيد الله بن عمر، والصحيح أن قبر عبيد الله بن عمر في مكة المكرمة في طريق أدنى الحل وهو ميقات العمرة المفردة وقد رأيت. وحمص من مدن الشام القديمة بناها اليونانيون على قول أهل السير وأما فتحها فذكر المنذر عن أبي مخنف أن أبا عبيدة بن الجراح لما فرغ من دمشق قدم أمه خلدأ بن الوليد وملحان بن زيار الطائي ثم تبعهما، فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجئوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح فصالحوه على 170 ألف دينار؛ قال أبو مخنف أول راية وافت للعرب حمصاً ونزلت حول مدينتها راية ميسرة بن مسرور العبسي وأول مولد ولد للإسلام بحمص أدهم بن محرز وللواقدي وغيره في فتحها كلام حسن مبسوط فراجعه إذا شئت وقد ذكر ياقوت أن في حمص كثيراً من مشاهد الصحابة والتابعين ومزاراتهم سوى ما تقدم ذكره، فمن ذلك على ما ذكره: مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فيه عمود فيه موضع أصبعه ورآه بعضهم في المنام؛ ومن ذلك قبر قبر مولى الإمام، ويقال إن قبر قتله الحجاج وقتل ابنه مع ميشم التمار في الكوفة؛ وقبور لأولاد جعفر بن أبي طالب وهو جعفر الطيار وغير ذلك. وقال أيضاً قيل بها قبر عبيد الله بن عمر بن الخطاب والصحيح أن عبيد الله قتل بصفين فإن كانت نقلت جثته إلى حمص فالله أعلم! ويقال

إن خالد بن الوليد مات بقرية على نحو ميل واحد من حمص وأن هذا الذي يزار بحمص قبر خالد بن يزيد بن معاوية؛ وبالجملية ففي هذه القبور كلام مختلف على القارئ اللبيب والباحث المتقرب تمييزه وتحريره وفي حمص من الآثار القديمة قلعة دارسة لم يبق منها إلا الرسوم على جبل وسط المدينة ويحيط بها خندق؛ ومن آثارها سور محقق بالبلدة وهي مركز لواء من أعمال دمشق يحكمها متصرف⁽¹⁾.

مكانة عبد الرحمن بن خالد عند الأمويين:

يبدو أن عثمان بن عفان كان قد جعل على كل الشام «معاوية بن أبي سفيان، ونوابه: علي حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد»⁽²⁾.

قبل حمص، يبدو أن عبد الرحمن كان نائباً على الجزيرة. وفي ذلك يذكر أحد المراجع أن معارضي عثمان «لما خرجوا من دمشق آووا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان نائباً على الجزيرة. ثم ولي حمص بعد ذلك - فهددهم وتوعدهم، فاعتذروا إليه وأنابوا إلى الإقلاع عما كانوا عليه، فدعا لهم وسبر مالكا الأشر النخعي إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخبرهم أن يقيموا حيث أحبوا، فاختاروا أن يكونوا في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقدموا عليه حمص فأمرهم بالمقام بالساحل، وأجرى عليهم الرزق، ويقال: بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص

(1) عمن أبو طيخ، الرحلة المحسنة، 11.

(2) «س كثير، البداية والنهاية، 2802

بالكوفة، فردهم إليه، فلما رجعوا كانوا أزلق السنة، وأكثر شراً، فصح منهم سعيد بن العاص إلى عثمان فأمره أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص، وأن يلزموا الدروب»⁽¹⁾.

ويصيف المصدر ذاته: «في هذه السنة: تكتب المنحرفون عن طاعة عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة، وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص متغيون عن الكوفة، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتآلبوا عليه، ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه، وأغلظوا له في القول. وطلبوا منه أن يعزل عماله، ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة، حتى شق ذلك عليه جداً، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم»⁽²⁾.

«فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا، وكتب سعيد إلى عثمان يضح منهم، فكتب عثمان إلى سعيد: أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أميراً على حمص»⁽³⁾.

«كتب عثمان إلى معاوية أن يغزو بلاد الروم. فوجه يزيد بن الحر العبسي، ثم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على الصائفتين جميعاً ثم عزله. وولى سفيان بن عوف الغامدي فكان سفيان يخرج في البر. ويستحلف على البحر جنادة ابن أبي أمية فلم يزل كذلك حتى مات

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 2760

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 2761

(3) أحمد ركي صعوت، جهرة رسائل العرب، 77

سفين. فولى معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ثم ولى عبيد الله بن رباح وشتى في أرض الروم⁽¹⁾.

«ومات عثمان رضي الله عنه وعلى الشام معاوية، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد⁽²⁾.

بمجيء علي بن أبي طالب خليفة توّثر الوضع مع معاوية بن أبي سفيان، وهو ما تأوَّج بمعركة صفين، التي كان دور عبد الرحمن بن خالد بارزاً فيها للغاية، كما تخبرنا المراجع، إلى جانب معاوية. يُقال: «ثم غدوا على الحرب، ورأى أهل الشام العظمى مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان يحمل بها فلا يلقاه شيء إلا هده، وكان من فرسان العرب⁽³⁾. إذن، «كان على ميمنة معاوية عمرو بن العاص، وعلى ميسرة حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وكان لواؤه مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي⁽⁴⁾.

«استعمل معاوية على الخيل عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى الرجالة مسلم بن عقبة، لعنه الله، وعلى الميمنة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى الميسرة حبيب ابن مسلمة، دفع اللواء الأعظم⁽⁵⁾ إلى عبد

(1) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 41

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1009.

(3) أبو حنيفة الديوري، الأخبار الطوال، 73

(4) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 494

(5) حمص معاوية لواءه الأعظم مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فأمر عبيد الله بن رباح به جارية من قدامه السعدي أن يلقاه بأصحابه (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 813)، وصحنا علي عليه السلام غدوة سائراً نحو معاوية ... ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 297)، لواء معاوية مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (خليفة بن خياط، تاريخ

الرحمن بن خالد بن الوليد⁽¹⁾.

«ثم إن معاوية عقد لرجال من مضر، منهم بسر بن أرطاة، وعبيد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد⁽²⁾.

في صفين، كان عبد الرحمن يقي معاوية الشمس بترس مذهب، حتى أن أحد أتباع علي، أبو شداد، أراد قتله كما تخبرنا الروايات: «قالوا: ما نريد غيرك. قال [أبو شداد]: فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب قال: وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستر به معاوية من الشمس! فقالوا له: اصنع ما شئت. فأخذ الراية ثم زحف، فجعل يطاعنهم حتى انتهى إلى صاحب الترس، وكان في خيل عتيمة، فاقتتل الناس هناك قتالاً شديداً، وكان على خيل معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فشد أبو شداد بسيفه نحو صاحب الترس فعارضه دونه رومي لمعاوية، فضرب قدم أبي شداد فقطعها، وضربه قيس فقتله، وأشرعت إليه الرماح، فقتل رحمة الله تعالى عليه⁽³⁾.

خليفة، 46؛ توفي عبد الرحمن بن خالد وكان شريفاً حوادم معدوحاً مطعاً، وعليه كان لواء معاوية يوم صفين. (اليافعي، امرأة الحنان وعبرة البقطان في معرفة حوادث الزمان، 56)؛ وكان لواءه مع عبد الرحمن بن خالد بن خالد بن الوليد المخرومي (الذهبي، تاريخ الإسلام، 466).

(1) أبو حيفة الدبنوري، الأخبار الطوال، 68؛ أنظر: واستعمل معاوية على الخيل عبيد الله بن عمرو بن الخطاب، وعلى الرجالة مسلم بن عقبة المري، وعلى البيمة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى المصرة حبش بن مسleme القهري، وأعطى اللواء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، (ابن مزاحم، وقعة صفين، 61).

(2) ابن مزاحم، وقعة صفين، 124

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 403؛ أنظر. الصغد، الوالي بالوفيات، 3262؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2792

في صفين، «كان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأن الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة الفهري، وابن ذي الكلاع الحميري، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وشرحيل بن السمط الكندي، وحمزة بن مالك الهمداني»⁽¹⁾.

«حدثنا عمر بن سعد قال: ولما تعاظمت الأمور على معاوية قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب دعا عمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال لهم: إنه قد غمني رجال من أصحاب علي، منهم سعيد بن قيس في همدان والأشتر في قومه، والمرقال وعدي بن حاتم وقيس بن سعد في الأنصار، وقد فتنكم يمانيتكم بأنفسها أياما كثيرة حتى لقد استحييت لكم، وأنتم عدتكم من قريش: وقد أردت أن يعلم الناس أنكم أهل غناء، وقد عبأت لكل رجل منهم رجلا منكم، فاجعلوا ذلك إلى. فقالوا: ذلك إليث. قال: فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غدا، وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة المرقال، وأنت يا بسر لقيس بن سعد، وأنت يا عبيد الله للأشتر النخعي، وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيء - يعني عدي بن حاتم - ثم ليرد كل رجل منكم عن حماة الخيل. فجعلها نواصب في خمسة أيام، لكل رجل منهم يوم».

ثم «أن أهل الشام لما انصرفوا عن صفين... وباع أهل الشام معاوية بالحنيفة لم يزد معاوية إلا قوة... فدعا من كان معه من قريش؛ وهم عمرو بن العاص السهمي، وحبيب بن مسلمة الفهري وبسر بن أبي أرطاة

(1) التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2350؛ أنظر: ابن مزاحم، وقعة صفين، 57

العمري، والضحاك بن قيس الفهري، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمخزومي⁽¹⁾.

بعد انتهاء صفين واستشهاد علي بن أبي طالب، «وتسليم الحسن»⁽²⁾ الأمر إليه، [سئل] الوليد بن عقبة: أي بي عمك كان أفضل يوم صفين يا وليد، عند وقدان الحرب، واستشاعة لظاها حين قاتلت الرجل عني الأحساب؟ قال: ... عبد الرحمن بن خالد بن الوليد... فقال معاوية: نعم إنه كان يقاتل عن برة له وعليه⁽³⁾.

ويذكر ابن كثير أنه «ثم كتب معاوية بن أبي سفيان - وقد استوثق له أمر الشام بحذافيره - إلى أقصى بلاد الروم والسواحل، وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمه، وبعض بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسيا وغيرها، وقد ضوى إليها الذين هربوا يوم الجمل من العثمانية، وقد أراد الأشتر انتزاع هذه البلاد من يد نواب معاوية، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشتر⁽⁴⁾».

لذلك، كان علي «يلعن في قنوته معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والوليد بن عتبة»⁽⁵⁾ ويضيف مرجع يخر: «كان علي عليه السلام إذا صلى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة يقول: «اللهم العن معاوية،

(1) م أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 557؛ أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1125؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 1727؛ ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، 744؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 353.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 812.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 2819؛ أنظر - البلاذري، أنساب الأشراف، 369.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، 2842.

وعمر، وأبا موسى، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، والوليد بن عقبة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن عيا، وابن عباس، وقيس بن سعد، والحسن والحسين⁽¹⁾.

«فلما قتل علي تداعى أهل الشام إلى بيعة معاوية، فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: نحن المؤمنون ومعاوية أميرنا وهو أمير المؤمنين، فبايع له أهل الشام وهو بإبيليا لخمس ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربعين⁽²⁾».

ويقول أحد النصوص: «وأتى أهل الشام قتل علي فقام معاوية خطيباً فذكر علياً وقال: إن الله أتاح له من قتله بقطيعته وظلمه وقد ولي الكوفة بعده ابنه وهو حدث غر لا علم له بالحرب، وقد كتب الي وجوه من قبله يتمسون الأمان فانتدب معه أهل الأجناد، فأقبل عمرو بن العاص في أهل فلسطين، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد في أهل الأردن، فكتب الحسن إلى معاوية يعلمه أن الناس قد بايعوه بعد أبيه ويدعوه إلى طاعته، فكتب إليه في جواب ذلك يعلمه أنه لو كان يعلم أنه أقوم بالأمر وأضبط للناس وأكيد للعدو وأحوط على المسلمين وأعلم بالسياسة، وأقوى على جمع المال منه لأجابه إلى ما سأل لأنه يراه لكل خير أهلاً⁽³⁾».

ثم نعرف أنه حين «دخلت سنة ثمان وأربعين: كان فيها مشى أبي عبد الرحمن القيني أنطاكية، وصاتفة عبد الله ابن قيس الفزاري وغزوة مالك بن هبيرة السكوني البحر، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر البحر،

(1) ابن مراحم، وقعة صفين، 167؛ أنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 338.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 373؛ أنظر: ابن قتيبة الديوري، الإمامة والسياسة، 89.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 383.

وبأهل المدينة، وعلى أهل المدينة المنذر بن الزهير، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد⁽¹⁾.

لكن هذا لم يمنع على الإطلاق أن يظل موقف عبد الرحمن غير آمن في عيني معاوية؛ قال الزبير بن بكار في الموقفيات: حدثني علي بن عبد الله عن عوانة بن الحكم أن معاوية استعمل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على الصائفة⁽²⁾ ثم قال له: ما تصنع بعهدي؟ قال: أتخذه إماماً لا أعصيه! وقال: اردد على عهدي علي بسقيان بن عوف. فكتب له ثم قال له: ما تصنع بعهدي؟ قال: أتخذه إماماً أمام الحرم فإن خالف خالفت؛ قال: سر على بركة الله! فسار فهلك بأرض الروم واستخلف عبد الله بن مسعود الفزاري⁽³⁾.

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1184

(2) وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي وابن الكلبي عن عوانة عن أبيه والمدايني عن عياث بن إبراهيم أن معاوية ولي الصائفة - وقد جاشت الروم - عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكتب له عهداً ثم قال له: ما أنت صانع بعهدي - قل: سأخذه إماماً ومثلاً فلا أتجاوز، فقال رد علي عهدي. فقال أت عزلني وم تجبرني - أما والله لو كنا بطن مكة على السواء ما فعلت بي هذا، فقال معاوية: لو كنا بطن مكة لكنت معاوية من أبي سفيان بن حرب وكنت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان منزلي بالأطح وكان منزلك بأجباد أعلاه مدرة وأسفله عذرة. (البلادري، أسدب لأشراف، 1359)؛ في الموقفيات أن عبد الرحمن قال لمعاوية أت عزلني بعد أن وليتني غير حدث أحدثه؟ والله لو أنا بمكة على السواء لاتصفت منك! فقال معاوية. ولو كنا بمكة لكنت معاوية من أبي سفيان بن حرب منزلي بالأطح ينشق عنه الوادي وأنت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد منزلك بأجباد أسفله عذرة وأعلاه مدرة (ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 844).

(3) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 670.

مقتل عبد الرحمن بن خالد:

كثيرة هي النصوص التي تتناول مقتل عبد الرحمن بن خالد، وانتقام أس أخيه، خالد بن المهاجر، من قاتل عمه، ودور معاوية في هذه القصة. نبدأ بالأغاني الذي يبدأ بدوره بالحديث عن خالد بن المهاجر: «فولد المهاجر بن خالد خالداً، وأمّه مريم ابنة لحاء بن عوف بن حارثة بن سنان بن أبي حارثة؛ وكان خالد بن المهاجر بن خالد مع عبد الله بن الزبير، وكان اتهم معاوية بن أبي سفيان أن يكون دسّ إلى عمه عبد الرحمن بن خالد متطلياً يقال له: ابن أثال؛ فسقاه في دواء شربة فمات فيها؛ فاعترض لابن أثال فقتله، ثم لم يزل مخالفاً لبني أمية وكان شاعراً.

[و]عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد، وعن أبي ذئب، عن أبي سهيل أو ابن سهيل: أن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد، قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورق جلده، ودق عظمه، واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم⁽¹⁾، فمن ترون؟ فقالوا⁽²⁾: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. فسكت وأضمرها، ودسّ ابن أثال الطبيب⁽³⁾

(1) وقيل إن معاوية خطب الناس حين كبر وأسن واستشارهم فيمن يستخلف وكان مراده أن يشيروا بيزيد فأشاروا بعبد الرحمن بن خالد وعرا عبد الرحمن الروم غير مرة (ابن العباد، شذرات الذهب، 26).

(2) وكان عبد الرحمن بن خالد يلى الصوائف فيبلى ويحس أثره، معظم شأنه بالشام، ومال الناس إليه فحسده معاوية وحافه، فدسّ إليه متطلياً يقال له: ابن أثال، وحمل له حراج حمص فسقاه شربة فمات، فاعترض خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، ويقال خالد بن عبد الرحمن، ابن أثال وكان يعرف بالأركون، والأركون كالرئيس في الحية، فقتله فرفع ذلك إلى معاوية فحبسه أياماً ثم أعمره دينه ولم يقده (اللاذري، أساطير الأشراف، 1359).

(3) ثم إن عبد الرحمن اشتكى فدعا معاوية ابن أثال وكان من عطاء الروم وكان متطلياً

إليه، فسفاه سمّاً فمات. وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد حبره وهو بمكة، وكان أسوأ الناس رأياً في عمه، لأن أباه المهاجر كان مع علي السلام بصفين، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه: هاشمي المنسوب، ودخل مع نبي هاشم الشعب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه، فألقى عليه زق خمر، وصب بعضه على رأسه، وشنع عليه بأنه وجده ثملاً من الخمر، فضر به الحد. فلما قتل عمه عبد الرحمن مَرَّ به عروة بن الزبير، فقال له: يا خالد: أتع ابن أثال ينقي أوصال عمك بالشأم وأنت بمكة مسبل إزارك، تجره وتخطر فيه متخايلاً؟ فحمي خالد، ودعا مولى له يدعى نافعاً، فأعلمه الخبر، وقال له: لا بد من قتل ابن أثال؛ وكان نافع جلدأ شهماً. فخرجا حتى قدام دمشق، وكان ابن أثال يمسي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى، حتى خرج. فقال خالد لنافع: إياك أن تعرض له أنت، فلاني أضربه، ولكن إحفظ ظهري، واكفني من ورائي، فإن رابت شيء يريدني من ورائي فشأنك. فلما حاذاه وثب عليه فقتله، وثار إليه من كان معه، فصاح بهم نافع فأنفروا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه، فلما غشوهما حملاً عليهم، ففترقوا، حتى دخل خالد ودفع زقاً قاصباً، ففغتا القوم. وبلغ معاوية الخبر، فقال: هذا خالد بن المهاجر، اقبلوا الرقاق الذي دخل فيه. فقتش عليه، فأتي به. فقال: لا جزأك الله من رائر خيراً، قتنت طيبني. قال: قتلت المأمور وبقي الأمر. فقال له: عليك لعنة

يختلف إلى معاوية فقال: انت عبد الرحمن فاحتل له، فأتى عبد الرحمن فسفاه شره فاحرق عبد الرحمن ومات، فقال حين بلغه موته: لا جد إلا من أقمص عنك من نكره. (ابن حبيب، المنقب في أخبار قريش، 103).

الله لو كان تشهد مرة واحد لقتلتك به، أمعك نافع؟ قال: لا. قال بلى والله ما احترأت إلا به. ثم أمر بطلبه فوجد، فأتي به، فضربه مئة سوط. ولم يهج خالد شيء أكثر من أن حبسه⁽¹⁾، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال، اثني عشر ألف درهم. أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف درهم، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد، حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وأثبت الذي يدخل بيت المال⁽²⁾.

ثمة نص مختصر يجدر إيراده: «وكان عبد الرحمن بن الوليد عاملاً على حمص، فطالت إمرته، فخافه معاوية أنما يبايع له أهل الشام بالخلافة، لما كان عندهم من آثار أبيه، خالد بن الوليد، ولقائه عن المسلمين في أرض

(1) وقد انقضى ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد وورثهم أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المعيرة دارهم بالمدينة وذكر الواقدي أن معاوية ضرب خالداً وأعرمه وحبس حتى مات معاوية وقيل أن الذي قتل ابن أثال خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وذكره بن حبان في الثقات له في مسلم حديث واحد في المنعة. (ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 368)، فضربه معاوية أسوأطاً وحبسه وأعرمه ديتين ألفي دينار. فألقى ألعاً في بيت المال وأعطى ورثة ابن أثال ألعاً. ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وبقي الذي يدخل بيت المال. ولم يخرج خالد من الحبس حتى مات معاوية. وكان شاعراً، ولذلك يقول ما انصرف من دمشق إلى المدينة، وقد قتل اليهودي الطيب بن أثال لأنه كان قد سقى عمه عبد الرحمن وسيأتي ذكره سباً فقتله. وقال الزبير بن نكار وقد انقضى ولد خالد بن الوليد ولم يبق منهم أحد. وكان وفاة خالد هذا في حدود المائة، وروى له مسلم. (الصفدي، الوافي بالوفيات، 1850)؛ ثم إن عبد الرحمن مرض فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فسقاه فاحرق بطنه ودخل أحوه المهاجر دمشق مستخفياً هو و غلام له فرصد ذلك اليهودي، فحرج ليلاً من عند معاوية فقتله المهاجر. (الصفدي، الوافي بالوفيات، 2569)؛ أنظر (المري، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 774).

(2) أبو المرحج الأصبهاني، الأغاني، 1812.

الروم، فدرس إليه ابن أوثال من سقاه سمات. فجلس المهاجر بن خالد بن الوليد مع عروة بن الزبير بالمدينة، فقال عروة للمهاجر: هذا ابن أوثال يفجر بقتل عبد الرحمن. فخرج المهاجر من فوره حتى أتى دمشق، فسأل عن ابن أوثال، فأخبر إنه من كتاب معاوية، فوقف ناحية حتى خرج من ديوانه، فلما رآه المهاجر قال له: إن لي إليك حاجة، فاعدل معي، فعدل معه إلى زقاق يعرف بزقاق عطف بدمشق، وكان معه سيف، فعلاه به فقتله. فأخذ معاوية فحبسه سنة، ثم خلا⁽¹⁾.

من هو ابن أثال؟ يقول أحد المراجع: «كان طبيباً متقدماً من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب، ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه، والمحادثة معه ليلاً ونهاراً، وكان ابن أثال خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها⁽²⁾، وما منها سموم قاتل، وكان معاوية يقربه لذلك كثيراً، ومات في أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والأمراء المسلمين بالسم⁽³⁾».

يقدم ابن كثير رواية أخرى لا تخلو من بعض الفوارق: «سنة ست وأربعين: فيها شتى المسلمون ببلاد الروم مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. وقيل: كان أميرهم غيره والله أعلم. عبد الرحمن بن خالد بن الوليد القرشي المخزومي، وكان من الشجعان المعروفين، والأبطال المشهورين كأبيه، وكان قد عظم ببلاد الشام لذلك حتى خاف منه معاوية،

(1) الحنظلي، كتاب الوزراء والكتاب، 7

(2) واشتكى عبد الرحمن، فأمر ابن أثال طبيباً كان له من عطاء الروم مسقاه شرناً فمات (أبو هلال العسكري، جهرة الأمثال، 214).

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 99.

ومات وهو مسموم رحمه الله وأكرم مثواه. وكان كعب بن جعيل مداحاً له ولأخويه مهاجر وعبد الله. وقال الزبير بن بكار: كان عظيم القدر في أهل الشام، شهد صفين مع معاوية. وقال ابن سميع: كان يلي الصوائف زمن معاوية، وقد حفظ عن معاوية. وقد ذكر ابن جرير وغيره أن رجلاً يقال له: ابن أثال - وكان رئيس الذمة بأرض حمص - سقاه شربة فيها سم فمات ورغم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصح⁽¹⁾. وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد قدم المدينة، فقال له عروة بن الزبير: ما فعل ابن أثال؟ فسكت ثم رجع إلى حمص فثار على ابن أثال فقتله. فقال: قد كفيتك إياه، ولكن ما فعل ابن جرموز⁽²⁾؟ فسكت عروة ومحمد بن مسلمة⁽³⁾.

يضيف ابن أبي الحديد بضع تفاصيل: «عبد الرحمن بن خالد بن

(1) ثم إن عبد الرحمن مرض فدخل عليه ابن أثال النصراني فسقاه سماً، فمات. فقبيل: إن معاوية أمره بذلك. وذلك سنة سبع وأربعين. قال محمد بن سعد: لا بقية لعبد الرحمن بن خالد. ثم إن المهاجر بن خالد دخل دمشق مستخفياً، هو وعلام له، فرصد الطبيب فخرج ليلاً من عند معاوية، فأقصده المهاجر .. وقال الزبير بن بكار: كان خالد بن المهاجر بن خالد اتهم معاوية أنه دس إلى عمه عبد الرحمن متطبباً، يقال له: ابن أثال، فسقاه في دواء فمات، فاعترض لابن أثال فقتله. (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 693)، وفيها أعني سنة خمس وأربعين، توفي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أهل الشام قد مالوا إليه جداً، فدس إليه معاوية سماً مع نصراني يقال له أثال، دعتاه به (أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 129)؛ اتهم [خالد] معاوية بأن يكون سقى عمه عبد الرحمن بن خالد سماً، فتأبذ بني أمية، وكان عم ابن الزبير. اتهم معاوية أن يكون دس إلى عمه عبد الرحمن بن خالد طبيباً يقال له ابن أثال، فسقاه في شربة سماً، فاعترض ابن أثال فقتله. (الذهبي، تاريخ الإسلام، 746).

(2) أنظر ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 1050

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 2919

الوليد، وكان عظيم القدر في أهل الشام، وخاف معاوية منه أن يثب على الخلافة بعده، فسمه، أمر طبيياً له يدعى ابن أثال فسقاه فقتله»⁽¹⁾

يقدم السوري رواية هامة تختلف عن سابقتها في أن ابن أثال يهودي² هـا، وفي ما قدم معاوية للطبيب من مغريات لقتل عبد الرحمن؛ إضافة إلى أسباب التفاف الناس على ابن خالد: «سنة ست وأربعين: وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان قد عظم أمره عند أهل الشام ومالوا إليه لغنائه بالروم ولائار أبيه»⁽³⁾، فخافه معاوية، فأمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله، ضمن له أن يضع عته خراج⁽⁴⁾ مال عاشر، ويوليه خراج حمص⁽⁵⁾. فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن

(1) شرح نهج البلاغة، 1954.

(2) ثم إن عبد الرحمن مرض فأمر معاوية طبيياً عده يهودياً وكان عنده مكيت أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها فأثاه فسقاه فاحرق بطنه فمات ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً هو وغلام له مرصداً ذلك اليهودي فخرج ليلاً من عند معاوية فهجم عليه. (ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 250).

(3) وفيها توفي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لما رجع من بلاد الروم إلى حمص، وكان قد شنى بالروم وفتح حصوناً كثيرة، فسقاه ابن أثال النصراني شربة مسمومة فمات منها (ابن عمري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 53).

(4) وستمعمل معاوية ابن أثال النصراني على خراج حمص، ولم يستعمل البصري أحد من الخلفاء قتله فاعترضه خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالسيف، فقتله، فحسبه معاوية أياماً، ثم أغرمه دينه، ولم يقده منه.

(البغوي، تاريخ البعقوبي، 198).

(5) واستعمل معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على غزو الروم، ولشدة بأسه حافه معاوية، وخشي منه، وأمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله. وضمن له أن يضع عته خراج م عاشر، وأن يوليه خراج حمص. فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض عمالكة فشرها، فمات بحمص سنة ست وأربعين (ابن العديم، ردة الحلب في تاريخ حلب، 6). أنظر: ابن الأثير المؤرخ، أسد العادة، 692.

أثان شربة مسمومة مع بعض مماليكه، فشربها، فمات بحمص، فوفى له معاوية ثم قدم خالد بن عبد الرحمن⁽¹⁾ المدينة، فجلس يوماً إلى عروة بن الزبير فقال له عروة: ما فعل ابن أثان؟ فقام من عنده ومار إلى حمص فقتل ابن أثان، وحمل إلى معاوية فحبسه أياماً وغرمه ديته، ورجع إلى المدينة فأثنى عروة فقال له ما فعل ابن أثان؟ فقال: قد كفيته ولكن ما فعل ابن جرموز؟ يعني قاتل الزبير فسكت عروة.

وقد روى في خبر عبد الرحمن بن خالد أن معاوية لما أراد البيعة ليزيد خطب أهل الشام وقال: «يا أهل الشام، إني قد كبرت سني وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، وإنما أنا رجل منكم، فارتؤا رأيكم». فأصفقوا واجتمعوا. وقالوا: رضينا عبد الرحمن بن خالد. فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه، ثم مرض عبد الرحمن فأمر معاوية طبيباً عنده مكيئاً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأثاه فسقاء فانخرق بطنه فمات. ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً، هو وغلّام له، فرصدا ذلك اليهودي، فخرج ليلاً من عند معاوية، ومعه قوم، فهجم عليه المهاجر فهربوا عنه فقتله المهاجر. وقد قيل إن الذي قتل ابن أثان أو اليهودي خالد بن المهاجر بن خالد، وأن عروة بن الزبير، كان يعيره بترك الطلب بثأر عمه، فخرج خالد ونافع ملاء من المدينة حتى أتيا دمشق. فرصد الطبيب ليلاً عند مسجد دمشق، وكان يسهر عند معاوية، فلما انتهى

(1) خالد بن المهاجر . قدم دمشق بعد وفاة عمه عبد الرحمن بن خالد، فقتل ابن أثان الطبيب، لأنه كان متهاجراً بقتل عمه، ثم لحق بالحجاز فسكنه.

كان خالد بن المهاجر مع عبد الله بن الزبير، وكان اتهم معاوية بن أبي سفيان أن يكون دس إلى عمه عبد الرحمن بن خالد متطلياً يقال له: ابن أثان، فسقاء في دواء شربة فمات فيها، وعرّض لابن أثان قتلته، ثم لم يزل غلاماً لبني أمية. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1031).

إليهما ومعه قوم من حشم معاوية حملاً عليه، فانفرجوا، وضرب خالد بن المهاجر اليهودي فقتله، ثم انصرف إلى المدينة⁽¹⁾.

ثمة نصر آخر يقدم تفاصيل إضافية: «[خالد] ابن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وكان المهاجر ولد خالد مع علي عليه السلام بصفين، وكان خالد على رأي أبيه هاشمي المذهب، ودخل مع بني هاشم الشعب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه، فألقى عليه رق خمر وصب بعضه على رأسه، وشنع عليه بأنه وجده ثملاً من الخمر فضربه الحد. وكان عمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية في صفين، ولهذا كان ابن المهاجر أسوأ الناس رأياً في عمه. ثم إن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد قال لأهل الشام: إني قد كبرت سني، ورق جلدي ودق عظمي، واقترب أجلي؛ وأريد أن أستخلف عليكم، فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد. فسكت وأضمرها، ودس إلى ابن أثال الطليب، فسقاه سمًا فمات، وبلغ ابن أخيه خالد ابن المهاجر خبره، وهو بمكة، فقال له عروة ابن الزبير: أتدع ابن أثال يعني أوصال عمك بالشام وأنت بمكة مسبل إزارك. تجره وتخطر فيه متخايلاً؟! فحمي خالد، ودعا مولى له يدعى نافعاً، فأعلمه الخبر وقال له: لا بد من قتل ابن أثال فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يسمى عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله، وثار إليه من كان معه، فحملاً عليهم فتفرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً ففاتا القوم. وبلغ معاوية الخبر فقال: هذا خالد بن المهاجر! اقتلوا الزقاق الذي دخل فيه فأتي به. فقال له معاوية: لا جزاك الله من زائر حير! قتلت طيبتي! فقال خالد: قتلت المأمورة، وبقي الأمر فقال: عليك لعنة الله!

(1) الويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2409

والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك به! أمعك نافع؟ قال: لا. قال: بلى، والله ما احترأت إلا به. ثم أمر بطلبه فأتى به فضربه مائة سوط، وحبس خالدًا، وألرم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر ألف درهم. ولما بلغت معاوية هذه الأنباء رق له وأطلقه. فرجع إلى مكة؛ ولما لقي عروة ابن الزبير قال: أما ابن أثال فقد قتلته، وذلك ابن جرموز يعني أوصال الزبير بالبصرة فاقتله إن كنت ناثراً! (1).

ثمة مثل شهير استخدمه معاوية بعد قتله عبد الرحمن؛ المثل هو «لا جد إلا ما أقعص عنك من تكره: خاف معاوية ميل الناس إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالشام فاشتكى فسقاه الطبيب شربة حرقة فقال ذلك، والإقعاص قتل الرجل مكانه، يضرب في الجد يعطاه الإنسان» (2).

«ثم فرض ولده يزيد على الناس فرضاً، وحملهم على بيعته قسراً، وأوعز إلى رجل من الأزد، اسمه يزيد بن المقفع، فقام خطيباً وقال: أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية، فإذا مات فهذا وأشار إلى يزيد، ومن أبي فهذا وأشار إلى السيف، فقال له معاوية: أقعد، فأنت سيد الخطباء العقيد الفريد 4- 370 ومروج الذهب 2- 21. اقرأ بعض أخبار معاوية في تاريخ اليعقوبي 2- 217 وفي الامتاع والمؤانسة 2- 75 و3- 178 وفي محاضرات الأدباء 1- 353 وفي كتاب التاج للجاحظ 205 وفي المحاسن والمساوي 2- 148 وفي البيان والتبيين للجاحظ 2- 87 و110 و4- 133 وفي الأغاني 4

(1) عبد القادر المغدادي، خزنة الأدب، 237؛ راجع أيضاً: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 100؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، الأمثال، 36؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2919؛ ابن الكلبي، جهرة أنساب العرب، 18؛ أبو هلال العسكري، حمرة الأمثال، 214؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 615؛ الميداني، مجمع الأمثال، 291.

(2) الرعشري، المستقصى في أمثال العرب، 131.

189- و6- 266 و15- 168، 197 و198 و17- 144 وفي وفيات الأعيان 2-
169 وفي المحرري 106- 110 وفي البصائر والذخائر م2 ق2 ص71 و702
وفي فح الطيب 2- 542 وفي خزانة الأدب للبعدادي 2- 518 و519⁽¹⁾

«وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر
إلى المصلى في العيدين، وخطب الحطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس،
إذا صبوا، انصرفوا ثلثا يسمعون لعن علي، فقدم معاوية لخطبة قبل
الصلاة، ووهب فدكا لمروان بن الحكم ليعيظ بذلك آل رسول الله»²

(1) المفاسي التوحي، العرج بعد الشدة، 215

(2) البعقوي، تاريخ البعقوي، 198؛ أنظر أيضاً «الدهبي، تاريخ الإسلام، 495، الدهبي،
العبر في خبر من عر، 9، مصعب البربري، سب فريش، 108، ابن حمدون، لتذكره
الحمودية، 270، الدهبي، سير أعلام السلاء، 466؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار
لشر، 129؛ عبد السلام هارون، نوادر المحطوطات، 122

الفصل الثامن.

الأشر النخعي^١

«مدت من الحارث أعني الأشر النخعي كان من أشجع الأبطال المشهورين، وكان من أصحاب علي وكان معه في يوم وقعة الجمل»^٢.
«وكان الأشر من الأبطال الكبار. وكان سيد قومه وخطيبهم وفارسهم»^٣.

كان علي بن أبي طالب قد ولي مصر محمد بن أبي بكر، لكن «فسدت مصر على محمد بن أبي بكر، وبلغ علماً فساد أمره وانتشاره. وكان علي قد ولي قيس بن سعد - بعد أمر ليهروان - أدريج وولي الأشر الحريرة، فكان مقامه بصيبين، فقال ما لمصر إلا أحد هذين الرجلين، فكتب إلى مالك الأشر: إليك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع بأسه ونجدته بحوة الأئيم، وأسده وجزم رأيه الشعر المحوف وأجره بأمر ابن أبي بكر، وشرحه له، وأمره أن يستحلف على عمله بعض ثقاته ويقدم عليه، ففعل فولاه مصر وأنت معاوية عيونه بشخوص الأشر والياً على مصر، فبعث إلى رأس أهل الخراج^٤ قال لهم: إن الأشر قادم عليكم؛ فإن

(١) ابن عري بردي، الحجوم الراهرة في ملوك مصر و لقاهرة، 42

(٢) الذهبي، العبر في خبر من عبر، 8

(٣) وقد معاوية أيضاً حين بلغه أن الأشر سفي شريرة غسل فيها سم فمات إن الله حود منها العسل ويقلت من تاريخ أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي قال لما كان في سنة ثمان

أنت لطفت لكهيتي إياه لم اخذ منك خراجاً ما بقيت، واحتل له بما قدرت عليه. فخرج الأشر حتى إذا أتى القلزم - وكان شحوصه من العراق في البحر - استقله الرجل فأنزله وأكرمه وأتاه طعاماً، فلما أكل قل له أي الشراب أحب إليك أيها الأمير؟ قال. العسل. وأتاه شربة منه قد جعل فيها سمّاً، فلما شربها قتلته من يومه أو من عده. ودعت معاوية وفاته فقال كنت لعلّي يدا - يعني قيس بن سعد والأشتر - فقد قطع إحداهما، وجعل يقول. إن لله لجنداً من عسل. عن صالح بن كيسان قال وحه علي الأشتر إلى مصر والياً عليها حين وهن أمر ابن أبي بكر، فلما صار عين شمس شرب شربة من عسل - يقال. أنه سم فيها - فمات، فكان عمرو بن العاص يقول: إن لله لجنداً من عسل قالوا. ولما ورد على علي خسر الأشتر، كتب إلى محمد بن أبي بكر وقد كان وجد من تولية الأشتر مكانه. أما بعد فإني لم أول الأشتر عملك استبطاء لك في الجهد، ولا استقصاراً لأمرك في الحد، ولو بزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أسير عليك مؤبودة، وأحب إليك ولاية منه، وإن الرجل الذي وليته أمر مصر؛ كان لنا نصيحاً، وعلى عدوك وعدواً شديداً، فقد استكمل أيامه ولاقي حماته وبحر راصون عنه¹.

وثلاثين بحث عيسى بن أبي طالب رضي الله عنه لأشتر ولياً على مصر، بعد قتل محمد بن أبي بكر، وبلغ معاوية مسيره فدرس إلى دهقان بالعريش، فقال إن قتلت لأشتر منك حرك عشرين سنة، فلفظ له الدهقان فسأل أي الشراب أحب إليه؟ فقيل العسل، فقد عدي عسل من عسل بركة، فسمه وأتاه به فشربه فمات (بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 100، راجع أيضاً الميداني، مجمع لأمثال، 3، الويزري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 253، البرمشر، المستقصى في أمثال العرب، 79، نري، لخواهرة في نسب السبي وأصحابه العشرة، 243، أبو عبيد القاسم بن سلام، الأمثال، 36).

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 352

ويقال إن عهد علي عليه السلام إلى الأشر، نسيج وحده، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة؛ وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشر ومات قبل وصوله إلى مصر؛ فكان ينظر فيه ويعجب منه، وحقيق من مثله أن يقتنى في خزائن الملوك. قال إبراهيم فلما بلغ علياً عليه السلام أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية، اشتد عليه حزناً. فقلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني استعملت محمد بن أبي بكر على مصر؛ فكتب إلي أنه لا علم لي بالسنة، فكتبت إليه كتاباً فيه أدب وسنة، فقتل وأخذ الكتاب... فلم يلبث محمد بن أبي بكر شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعاً لهم، فقال: يا هؤلاء، إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا. فبعثوا إليه: إنا لا نفعل، فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس، فلا تعجل علينا. فأبى عليهم، فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم.... وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر؛ فبلغ علياً توبئهم عليه، فقال ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين: صاحبنا الذي عزلنا بالأمس - يعني قيس بن سعد بن عباد - أو مالك بن الحارث الأشر. وكان علي حين رجع عن صفين، رد الأشر إلى عمله بالجزيرة، وقال لقيس بن سعد: أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة، ثم أخرج إلى أذربيجان، فكان قيس مقيماً على شرطته، فلما أن انقضى أمر الحكومة كتب علي إلى الأشر، وهو يومئذ بنصيبين. أما بعد، فإني ممن استظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأئيم، وأسد به الشعر المخوف. وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر مصر، فخرجت عليه حوارج، وهو غلام حدث السن، ليس بذئ تجرئة للحروب، فأقدم علي لنظر فيما ينبغي، واستخلف على عمالك أهل الثقة والنصيحة من

أصحابك. والسلام. فأقبل الأشتر إلى علي، واستخلف على عمله شبيب بن عامر الأردني - وهو جد الكرمانى الذي كان يخراسان صاحب بصرى سيار - فلما دخل الأشتر على علي حدثه حديث مصر وخبره خبر أهلها، وقال له ليس لها غيرك، فأخرج إليها رحمك الله، فأبى لا أوصيك اكتفاء برأيك؛ واستعن بالله على ما أهمك، واخبط الشدة بالليل والرفق ما كان الرفق أبلغ، واعتزم على الشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة فحرج الأشتر من عنده، فأتى برحله وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر مصر، فعظم ذلك عليه، وقد كان طمع في مصر، فعلم أن الأشتر إن قدم عليها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر، فبعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به، وقال له إن الأشتر قد ولي مصر، فإن كميته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت وبقيت؛ فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه. فخرج الأشتر حتى انتهى إلى القلزم حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز، فأقام به، فقال له ذلك الرجل، وكان ذلك المكان مكانه: أيها الأمير؛ هذا منزل فيه طعام وعلف، وأن رجل من أهل الخراج، فأقم واسترح، وأثناء الطعام حتى إذا طعم سقاه شربة عسل؛ قد جعل فيها سمًا، فلما شربها مات» (1).

كنت المصاعب قد انفجرت في وجه علي بن أبي طالب في خربنا بمصر، و«بنغ ذلك علياً فانهم قيساً [بن سعد بن عبادة] وكتب إليه يأمره بقتال أهل خربنا، وأهل خربنا يومئذ عشرة آلاف، فأبى وكتب إلى علي: إنهم وحوه أهل مصر، وقد رضوا مني أن أؤمن سريهم، وأجري عليهم أعطياتهم، وقد علمت أن هواهم مع معاوية، فأبى علي عليه السلام إلا قتالهم، وأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى علي: إن كنت تهمني فاعزلي عن

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 555.

عملت، وابعث عليه غيري، فبعث الأشر إلى مصر أميراً عليها حتى إذا صار بالقلم سقي شربة عسل فيها سم كان فيها حتفه. فلما بلغ علياً وفاة الأشر بالقلم بعث محمد بن أبي بكر أميراً على مصر. هذا قول الزهري. وقال هشام بن محمد: إنما بعث الأشر بعد هلاك محمد بن أبي بكر، ولما جاء علياً مقتل محمد بن أبي بكر علم أن قيساً كان ينصحه فأطاعه في كل شيء. قال علماء السير: وكان علي عليه السلام قد كتب عهد محمد بن أبي بكر لغرة رمضان، فلم يلبث محمد شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك الذين كان قيس وادعهم، وقال: يا هؤلاء، إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه: دعنا حتى ننظر، فأبى وبعث إليهم رجلاً فقتلوه، ثم بعث آخر فقتلوه⁽¹⁾.

«وقد كان أمير المؤمنين كتب على يد الأشر كتاباً إلى أهل مصر؛ روى ذلك الشعبي عن صعصعة بن صوحان: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بمصر من المسلمين: سلام الله عليكم، فإني أحمد الله إليكم، الذي لا إله إلا هو؛ أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينم أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر. لا نأكل من قدم، ولا واه في عزم، من أشد عباد الله بأساً، وأكرمهم حساً، أضر على الفجار من حريق النار، وأبعد الناس من دنس أو عار، وهو مالك بن الحارث الأشر، حسام صارم، لا نابي الضريبة، ولا كليل الحد، حلیم في السلم، رزين في الحرب، ذو رأي أصيل، وصبر جميل. فاسمعوا له وأطيعوا أمره، فإن أمركم بالنفر فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى. وقد أثر تكلم به على نفسي؛ بصيحة لكم، وشدة شكيمة

(1) ابن الجوزي، المتطعم، 602.

على عدوكم. عصمكم الله بالهدى، وثبتكم بالتقوى، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى. والسلام عليكم ورحمة الله. قال إبراهيم: وروى حابر عن الشعبي قال: هلك الأشتر حين أتى عقبة أفيق. عن عاصم بن كليب، عن أبيه، أن علياً لما بعث الأشتر إلى مصر والياً عليها، وبلغ معاوية خبره، بعث رسولاً يتبع الأشتر إلى مصر، وأمره باغتياله؛ فحمل معه مزودين فيهما شراب، وصحب الأشتر، فاستسقى الأشتر يوماً فسقاه من أحدهما، ثم استسقى يوماً آخر منه فسقاه من الآخر وفيه سم فشربه، فمالت عنقه. عن مغيرة الضبي؛ أن معاوية دس للأشتر مولى⁽¹⁾ لآل عمر، فلم يزل المولى يذكر للأشتر فضل علي وبني هاشم؛ حتى اطمأن إليه، واستأنس به، فقدم الأشتر يوماً ثقله أو تقدم ثقله، فاستسقى ماء، فقال له مولى آل عمر: وهل لك في شربة سويق؛ فسقاه شربة سويق فيها سم فمات. وقد كان معاوية قال لأهل الشام لما دس إليه مولى آل عمر: ادعوا على الأشتر، فدعوا عليه؛ فلما بلغه موته قال: ألا ترون كيف استجيب لكم!. قال إبراهيم: قد روي من بعض الوجوه أن الأشتر قتل بمصر بعد قتال شديد.

(1) يقول بعض آخر: اثم كتب للأشتر عهداً بولاية مصر، فلما بلغ ذلك معاوية وعمرأيس من مصر لما يعلمان من شجاعته فاعمل معاوية الحيلة، فكتب إلى دهقان العريش واسمه الحابسار، وبذل له على سم الأشتر المساحة في حراجه عشرين سنة وجبزة كذا، فلما بلغ الأشتر العريش وهو أول بلاد مصر من جهة الحجاز جاء إلى دهقان فأهدى إليه، ثم قال: أي الشراب أحب إلى الأمير؟ قالوا العمل فحاربه له بالدم، وكان الأشتر صائماً فلما أفطر شربه فمات رحمه الله تعالى، فبلغ موته غيباً فحزن عليه وقال رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كتب لرسول الله ﷺ. وبلغ معاوية فصعد المبر وشمت بموته وقال: إن لله جنوداً من عمل، وخطب أهل الشام بدمشق فدل في حطته. كان لعلي بنان قطعت إحداهما بصفين والأخرى بمصر، وهما عمار بن ياسر والأشتر رضي الله عنهما. وأما ابن أبي الحديد فروى الإختلاف في سمه أو موته حتى أنه وصحح الأول وهو الحق. (مؤلف مجهول، كتاب مجهول، 4)

والصحيح أنه سقي سما فمات قبل أن يبلغ مصر. عن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني، أن معاوية أقبل يقول لأهل الشام: أيها الناس، إن علياً قد وحى الأشر إلى مصر، فادعوا الله أن يكفيكموه، فكانوا يدعون طيه في دبر كل صلاة، وأقبل الذي سقاه السم إلى معاوية، فأخبره بهلاك الأشر، فقام معاوية في الناس خطيباً، فقال: أما بعد، فإنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، فقطعت إحداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر، وقد قطعت الأخرى اليوم؛ وهو مالك الأشر. قال إبراهيم: فلما بلغ علياً موت الأشر، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! والحمد لله رب العالمين! اللهم إني أحسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر. ثم قال: رحم الله مالكا؛ فلقد وفي بعهد، وقضى نحب، ولقي ربه، مع أنا قد وطننا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها من أعظم المصيبات. وعن مغيرة الضبي، قال: لم يزل أمر علي شديداً حتى مات الأشر، وكان الأشر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة. وعن جماعة من أشياخ النخع، قالوا: دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشر، فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه، ثم قال: لله در مالك! وما مالك! لو كان من جبل لكان فنداً، ولو كان من حجر لكان صلدأ، أما والله ليهدن موتك عالماً، وليفرحن عالماً، على مثل مالك فلتبك البواكي! وهل مرجو كمالك! وهل موجود كمالك! قال علقمة بن قيس النخعي: فما زال علي يتلهف ويتأسف؛ حتى ظن أنه المصاب به دوتنا، وعرف ذلك في وجهه أياماً⁽¹⁾.

يُقال «إن عبداً لعثمان لقيه فسقاه عسلاً مسموماً، وكان الأشر من الأبطال وكان سيد قومه وخطيبهم وفارسهم. وقد ذكر بعضهم إنه شارك

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاعة، 556.

في قتل عثمان رضي الله عنه قلت وقد قيل: إن دهاة العرب أربعة عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وعروة بن مسعود الثقفي والأشتر النخعي اسمه مالث بن الحارث وكأنهم يعنون بالدهاء الكيد والرأي والمكر» .

بالسبة لتوقيت تولية علي الأشتر مصر، يُقال «وكان علي رضي الله عنه حين انصرف من صفين رد الأشتر إلى عمله على الجزيرة وكان عاملاً عليه، فكتب إليه وهو يومئذ بنصيبين: سلام عليك يا مالك، فإنك ممن استظهرتك على إقامة الدين أو قمع به نخوة الأئيم، وأسد به الثغر المخوف؛ وكنت قد وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج، وهو غلام حدث السن غر ليس بذئ تحربة للحرب ولا مجرب للأشياء. فأقدم علي لتنظر في ذلك كما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصفة من أصحابك والسلام لا... وكتب عيون معاوية إليه بولاية الأشتر على مصر فشق عليه وعظم ذلك لديه، وكان قد طمع في مصر وعلم أن الأشتر متى قدمها كان أشد عليه، فكتب معاوية إلى الخانسيار رجل من أهل الخراج، وقبل كان دهقان القلزم يقول: إن الأشتر واصل إلى مصر قد وليها، فإن أنت كفيتي إياه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت؛ فأقبل لهلاكه بكل ما تقدر عليه؛ فخرج الخانسيار حتى قدم القلزم فأقام به، وخرج الأشتر من العراق يريد مصر حتى قدم إلى القلزم فاستقبله الخانسيار فقال له: انزل فإني رحيل من أهل الخراج وقد أحضرت ما عندي. فنزل الأشتر فأناه بطعام وعلف وسقاء شربة من عسل جعل فيها سماً، فلما شربه مات؛ وبعث الخانسيار من أخبر بموته معاوية... وقال ابن الكلبي عن أبيه: لما سار الأشتر إلى مصر أخذ في طريق الحجاز فقدم المدينة، فجاءه مولى لعثمان

بن عفان يقال له نافع، وأظهر له الود وقال له: أنا مولى عمر بن الخطاب، فأدباه الأشر وقربه ووثق به وولاه أمره. فلم يرل معه إلى عين شمس أعني المدينة الخراب خارج مصر بالقرب من المطرية وفيها ذلك العمود المذكور في أول أحوال مصر من هذا الكتاب. فلما وصل إلى عين شمس تلقاه أهل مصر بالهدايا وسقاه نافع المذكور العسل فمات منه. وقال ابن سعد: إنه سم بالعريش؛ وقال الصوري: صوابه بالقلم؛ وقال أبو اليقظان: كان الأشر قد ثقل على أمير المؤمنين علي أمره، وكان متجرباً عليه مع شدة محبته له. وحكي عن عبد الله بن جعفر قال: كان علي قد غضب على الأشر وفلاه واستقله، فكلمني أن أكلمه فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، وله مصر فإن ظفروا به استرحت منه، فولاه. وكانت عائشة - عليها السلام - قد دعت عليه فقالت: اللهم ارمه بسهم من سهامك. واختلفوا في وفاة الأشر، فقال ابن يونس: مات مسموماً سنة سبع وثلاثين. وقال هشام: سنة ثمان وثلاثين في رجب⁽¹⁾.

«لما بلغ علياً عليه السلام موت الأشر قال: لليدين وللهم»⁽²⁾.

أنظر أيضاً: أبو عمر الكندي، ولادة مصر، 7.

(1) «س تعري مردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 42.
(2) أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، الولاة والقضاة، 6.

الفصل التاسع

عبد الله بن جعفر

عبد الله بن جعفر هو أبو جعفر عبد الله بن دي الجاحين جعفر لطيار بن أبي طلق بن عبد المطلب الهشمي القرشي.

وأما أمه فهي أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تميم الحثعمية؛ وأما شقيقه فهما محمد وعون. وأخواه من أمه هم محمد بن أبي بكر الصديق ويحيى بن علي وأما روحته، فهي حميدة رسول الله ربيب بنت علي.

كان أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة وكانت ولادته سنة واحد للهجرة، ثم قدم مع والديه مهاجراً إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة يوم فتح خيبر وكان قد بلغ من العمر سبع سنين، فوصلوا إلى النبي وقد فتحت خيبر.

وفي السنة الثامنة للهجرة استشهد والده جعفر الطيار بن أبي طالب في معركة مؤتة، وكان عمره ثماني سنوات فكمله رسول الله وأولاه رعايته الحصة لمكانة أبيه، وكذلك كان علي. أما هو فكان من أكثر الناس موالاةً للسلبيين الحسن والحسين

يروى أن الرسول أتاهم بعد استشهاده والده فقال: «أنتوني بنني أخي»

ثم قال: «أما محمد فشبه عمي أبي طالب، وأما عبد الله فشبه خلقي وخلقي». وروى إسماعيل بن عباس قال: «إن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير بايعا النبي وهما اسما سبع سنين، فلما رأهما رسول الله تبسم وبسط يده وباعهما»

وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم كان يمارس التحارة منذ صغره، فمر به رسول الله يوماً وهو يلعب فقال «اللهم بارك له في تحارته». اشترك مع عمه علي بن أبي طالب في موقعة صفين، وكان أميره على قریش وأسد وكنانة. وكان له فيها وغيرها ذكر مشهور.

وأما في كربلاء فلقد كان ممن كتب إلى الحسين يشيه عن السفر إلى العراق وعلى الرغم من عدم سيره معه فقد أرسل إليه عون ومحمد إلى كربلاء برفقة أمهما ريس، فاستشهدا كلاهما، فقتل عبد الله بن فطنة التيهاني التميمي ابنه عون، وقتل عامر بن نهشل التميمي ابنه محمد.

وقد روي أن عدم حروجه كان بسبب كعب بصره كانت وفاته في المدينة المنورة عام الوفدة. سنة ثمانين للهجرة وعمره ثمانون عاماً وورث في البقيع وكان والي المدينة أمان بن عثمان بن عدن، فلما حصر عسله كعبه وحمله مع الناس وقد اردحم على حمده ثم لم يعارقه حتى دفنه ودموعه تسيل وهو يقول عمه: كنت والله حيراً لا شريك، وكنت والله شريفاً واصلاً برأ.

معاوية: شراء الذمم

كان معاوية، لأسباب عديدة، يورّع الأموال على الجميع، خاصة أعداؤه؛ «قدم الحسن بن علي على معاوية فقال له لأحيزنك بجائزة لم

يحزها أحد كان قبلي، فأعطاه أربعمائة ألف ألف. ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأحازهما على الفور بمائتي ألف، وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي. فقال له الحسين: ولم تعط أحد أفضل منا.... أرسل الحسن بن علي، وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال، فبعث إليهما - أو إلى كل منهما - بمائة ألف، فبلغ ذلك علياً⁽¹⁾ فقال لهما: ألا تستحيان؟ رجل نطعن في عينه غدوة وعشية تسألانه المال؟ فقالا: بل حرمتنا أنت وجاد هو لنا. «وروي الأصمعي قال: وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله، وأمر له بثلاثمائة ألف. وقال لابن الزبير: مرحباً وأهلاً بابن عمه رسول الله ﷺ، وأمر له بمائة ألف. وقال أبو مروان المرواني: بعث معاوية إلى الحسن بن علي بمائة ألف فقسمها على جلسائه، وكانوا عشرة، فأصاب كل واحد عشرة آلاف. وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوهبتها منه امرأته فاطمة فأطلقها لها، وبعث إلى مروان بن الحكم بمائة ألف فقسم منها خمسين ألفاً وحبس خمسين ألفاً، وبعث إلى ابن عمر بمائة ألف ففرق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف. فقال معاوية: إنه لمقتصد يحب الاقتصاد. وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمائة ألف فقال للرسول: لم جئت بها بالنهار؟ هلا جئت بها بالليل؟ ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئاً. فقال معاوية: إنه لخب ضب، كأنك به قد رفع ذنبه وقطع حبله. وقال ابن دآب: كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف، ويقضي له معها مائة حاجة، فقدم عليه عاماً فأعطاه المال وقضى له الحاجات، و بقيت منها واحدة، فبينما هو عنده إذ قدم أصبعهند سجستان يطلب من معاوية أن يملكه على تلك البلاد،

(1) هذا يعني أنه كان يعطي هؤلاء حتى قبل مقتل علي.

ووعده من قضى له هذه الحاجة من ماله ألف ألف. فطاف على رؤوس الأشهاد والأمراء من أهل الشام وأمراء العراق، ممن قدم مع الأحف بن قيس، فكلهم يقولون: عليك بعبد الله بن جعفر، فقصدته الدهقان وكلهم فيه ابن جعفر معاوية فقضى حاجته تكملة المائة حاجة. وأمر الكاتب وكتب له عهده، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم. فقال له ابن جعفر: اسجد لله واحمل مالك إلى منزلك، فبنا أهل بيت لا نبيع المعروف بالثمن. فبلغ ذلك معاوية فقال: لأن يكون يزيد قالها أحب إلي من خراج العراق، أبت بنو هاشم إلا كرمًا⁽¹⁾. «وقد كان معاوية أجاز عبد الله بن جعفر بعشرة آلاف ألف درهم»⁽²⁾.

يقول أحد المراجع: «كان لعبد الله بن جعفر من معاوية في كل سنة ألف ألف، فاجتمع عليه خمس مئة ألف دينار، فألح عليه غرماؤه فيها فاستأجدهم إلى أن يرحل إلى معاوية فأجلوه، فرحل إليه فمر بالمدينة على ابن الزبير... فرحلا جميعاً... فلما وصل استأذن على معاوية [الذي] قال: ما أقدمك يا بن جعفر؟ قال: يا أمير المؤمنين تصل قرابتي وتقضي ديني. قال: وما دينك؟ قال: خمس مئة ألف. قال: قد فعلت.

فقال معاوية: ... ما أقدمك يا بن الزبير؟ قال: يا أمير المؤمنين! تصل قرابتي وتقضي ديني. قال: وما دينك؟ قال: مئة ألف. قال: قد فعلت. ثم نهضاً لقبصها فقال معاوية: يا بن جعفر، إن الألف ألف تأتيك لوقتها»⁽³⁾.

(1) اس كثير، البداية والنهاية، 2992؛ قريب منه في مختصر تاريخ دمشق، اس منظور، 3346

(2) الشامي البنداري، مختصر سنن البرق، 63.

(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3347.

ويضيف الذهبي: «ذكر لنا أن عبد الله بن جعفر قدم على معاوية، وكان يفد في كل سنة، فيعطيه ألف ألف درهم ويقضي له مائة حاجة»⁽¹⁾.

كان معاوية يهدف إلى التحضير لخلافة ابنه عبر الأموال التي كان يعدها على وجوه تلك الحقبة؛ ذكر «أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف درهم، فلما دعا معاوية إلى بيعة يريد ابن معاوية قال: أترون هذا أراد؟ إن ديني إذا عدي لرخيص... قال معاوية لعبد الله بن جعفر: بلغني أن ابن عمر يريد هذا الأمر وفيه ثلاث خصال لا يصلحن في خليفة؛ هو رجل غيور، وهو رجل عبي، وهو رجل بخيل. قال: فذهب ابن جعفر فأخبر ابن عمر، فقال ابن عمر: أما قوله إنني رجل غيور فإني كنت أغشق بابي على أهلي فما حاجة الناس إلى ما وراء ذلك. وأما قوله إنني رجل عبي فإني كنت أعلم الناس بكتاب الله عز وجل ولا كلام أبغ منه، وأما قوله أني رجل بخيل فإني كنت أقسم على الناس فيهم فإذا فعلت ذلك فما حاجة الناس إلى ما أورثني ابن الخطاب. قال: فأخبر ابن جعفر معاوية بها. فقال معاوية: عزمت عليك أن يسمع هذا منك أحد»⁽²⁾.

يروى أن «معاوية قال ليزيد: إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه. قال: ومن هو؟ قال: عبد الله بن جعفر. فلما وفد بعد موت معاوية على يزيد أضعف جائزته التي كان معاوية يعطيه إياها، وكانت جائزته على معاوية ستمائة ألف، فأعطاه يزيد ألف ألف. فقال له: بأي أنت وأمي، فأعطاه ألف ألف أخرى. فقال له ابن جعفر: والله لا جمع أمر لأحد بعدك! ولما حرح ابن جعفر من عند يزيد وقد أعطاه ألفي ألف رأى على باب يزيد بخاتي

(1) تاريخ الإسلام، 655.

(2) الفسوي، المعرفة والتاريخ، 103.

مركبات، قد قدم من عليه هدية من خراسان، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد، فسأله منها ثلاث يخطي ليركب عليها إلى الحج والعمرة، وإذا وفد إلى الشام على يزيد. فقال يزيد للحاجب: ما هذه البختي التي بالساب؟ ولم يكن شعر بها فقال: يا أمير المؤمنين، هي أربع مائة بختية جاءت تحمل أنواع الألفاف وكان عليها أنواع من الأموال كلها فقال: اصرفها إلى أبي جعفر بما عليها. فكان عبد الله بن جعفر يقول: أنلوموني على حسن الرأي في هذا؟! يعني يزيد⁽¹⁾.

وفي نص مشابه: «وفد عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية فقال: بكم كن أمير المؤمنين يأمر لك؟ قال: بألف ألف درهم، قال: فإن أضعفها، قل: جعلني الله فداءك، قال: أفلتها يا أبا جعفر؟ قال: نعم، ولا أقولها والله لأحد بعدك أبداً؛ قال: فقد جعلتها أربعة آلاف ألف، فلما ودعه وخرج رأى على الباب ناقة سوداء، فقال له بديح مولاه: ما أحوجنا إلى هذه الناقة ليعجب منها أهل المدينة، فقال عبد الله للذي الناقة معه: ادفعها إلى بديح، فأبى، فرجع إلى يزيد، فقال: ما وراءك يا أبا جعفر؟ قال: ناقة سوداء رأيتها مع غلام، فأراد بديح أن يعجب أهل المدينة منها، فقال يزيد: ادفعوا إلى أبي جعفر كل ناقة سوداء لنا، فنظروا فإذا هي سبع مائة ناقة، هدمت إليه، وأمر يزيد فكتب إلى عامل أدرعات أن يوقرها له زيتاً فقسم عبد الله الوق في طريقه، فلم يرد المدينة منها إلا بثلاثين ناقة. قال محمد بن سعد وقال الواقدي ثبت أن صلته من معاوية كانت خمسمائة ألف درهم فصيرها

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3755؛ 3053.

يريد ألف ألف درهم ثم ألفي ألف⁽¹⁾»⁽²⁾.

«وقيل لابن جعفر: بماذا حسن رأيك في يزيد بن معاوية؟ قال: شخصت أريد معاوية، فلما صرت بالشام لقيني خبير وفاته، ففكرت في القدوم على يزيد⁽³⁾ أو الرجوع، وقلت: قتي من فتیان قريش وخطريف من عطفقتها لعله يجهل حقي ويحطني عن مرتبتني فيكون علي في ذلك غضاضة تلحقني، ثم استخرت الله عز وجل، وقدمت عليه فلما رأيته أعظمني وأخلاقني، وقال: كأي بك حين بلغتك وفاة أبي تحيرت فمبليت بين النفوذ إلي والانصراف عني، فقلت والله ما أخطأت يا أمير المؤمنين، فأضعف لي وفادني وأعطاني رواحل كثيرة حملت لي زيتاً

(1) فلما كان في السنة الثانية قدم عبد الله بن جعفر، وقدم مولى له يقال له نافع، كانت له منزلة من يريد بن معاوية. قال نافع: فلما قدمنا عليه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف، وقضى عنه ألف ألف، ثم نظر إلي فتسهم؟ فقلت: هذه لتلك الديلة. وكنت سامرته ليلة في خلافة معاوية وأسمعت فيها مذكرته بها. وقدمت عليه هدايا من مصر كثيرة، فأمر بها لعبد الله بن جعفر، وكان له مائة ناقة، فقلت لابن جعفر: لو سأله منها شيئا نحتلبه في طريقنا - ففعل، فأمر بصرفها كلها إليه. فلما أراد الوداع أرسل إلي فدخلت عليه، فقال: ويلك! إنما أخرجك لأنفرغ إليك، هات قول جميل:

خيلني فيما عشنا هل رأينا قتيلاً يكي من حب قاتله قبلي
قل. فأسمعتني! فقال: أحسنت والله، هات حاجتك. فما سأله شيئا إلا أعطانيه (ابن عبد ربه الأسدي، العقد الفريد، 131)؛ النص ذاته تقريباً موجود في القاضي التنوخي، مستحجاً من فعلات الأحواد، 63؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 621؛ من رأس عنمة الأشميلي، مناقب الدرر ومناقب الزهر، 81.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 264.

(3) يزيد بن معاوية... وقّع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستمحيه لرحاله من حاصته يحكم لهم بأماهم إلى منتهى آجالهم. فتحكم بتسعين ألفاً، فأجازها. (ابن عبد ربه الأسدي، العقد الفريد، 554).

والطفاً وكسى»⁽¹⁾.

[ومرة] «قال يزيد لعبد الرحمن بن زياد: كم قدمت به معك من المال من حراسان؟ قال: عشرين ألف ألف درهم؛ قال: إن شئت حسباك وقبضناه منك، ورددناك على عملك، وإن شئت سوغناك وعزلناك، وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم؛ قال: بل تسوعني ما قلت، ويستعمل عليها غيري. وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم، وقال: خمسمائة ألف من قبل أمير المؤمنين، وخمسمائة ألف من قبلي»⁽²⁾.

«قيل لمعاوية بن عبد الله: ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر؟ قال: كان ليس له مال دون الناس، هو والناس في ماله شركاء، كان من سأله أعطاه ومن استمنحه شيئاً منحه، لا يرى أنه يقتصر فيقصر، ولا يرى أنه يحتاج فيدخر.

بعث رجل من أهل المدينة بابتة له إلى عبد الله بن جعفر فقال: إنا نريد أن نخدرها وقد أحببت أن تمسح يدك على ناصيتها، وتدعو لها بالبركة. قال: فأقعدناها في حجره ومسح بيده على ناصيتها ودعا لها بالبركة، ثم دعا مولى له فساره بشيء، فذهب المولى ثم جاء فأثاءه بشيء، فصره عبد الله في خمار العجارية، ثم دفعها إلى الرسول. قال: فنظروا، فإذا لؤلؤة، فأخرجت إلى السوق لتباع فعرفت وقيل: لؤلؤة ابن جعفر حبا بها ابنة جاره. قال: فبيعت بثلاثين ألف درهم.

(1) اللادري، أنساب الأشراف، 267.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1219؛ أنظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 760، ابن الجوزي، المنتظم، 684.

مر عبد الله بن جعفر ومعه عدة من أصحابه بمنزل رجل قد أعرس، وإذا مغية تقول:

قل لكرام ببابنا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرج
فقال عبد الله لأصحابه: لجوا فقد أذن لنا القوم، فزل ونزلوا فدخلوا.
فلما رآه صاحب المنزل تلقاه وأجلسه على الفرش، فقال للرجل: كم
أنفقت على وليمتك؟ قال: متي دينار. قال: فكم مهر امرأتك؟ قال: كذا
وكذا، فأمر له بمتي دينار ومهر امرأته وبمئة دينار بعد ذلك معونة، واعتذر
إليه وانصرف.

قال إبراهيم بن صالح: عوتب عبد الله بن جعفر على السخاء فقال: يا
هؤلاء إني عودت الله عادة وعودني عادة، وإني أخاف إن قطعتها قطعني.
بلغ معاوية أن عبد الله بن جعفر أصابه جهد... فكتب إليه يأمره بالقصد
ويرغبه فيه، وينهاه عن السرف ويعييه عليه. قال: فأجابه عبد الله بن جعفر:
وقد اشتري عرضي بمالي وما عسى أخول إذا ما ضيع العرض يشتري
فأعجب معاوية ما كتب إليه به، ويحث بأربعين ألف دينار عوناً له على
دينه⁽¹⁾.

«قال الحسن والحسين رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر: إنك قد
أسرفت في بدل المال، قال: بأبي أنتما وأمي إن الله عودني أن يفضل علي،
وعودته أن أفضل على عباده، فأخاف أن أقطع العادة فتقطع عني»⁽²⁾.

(1) اس مطور، مختصر تاريخ دمشق، 1652؛ 1654.

(2) المرد الكامل في اللغة والأدب، 36.

«و متدح نصيب عبد الله بن جعفر، فأمر له بخيل وإبل وأثاث ودسبر ودراهم، فقال له رجل: أمثل هذا الأسود يعطى مثل هذا المال؟ فقال له عبد الله بن جعفر: ن كان أسود فإن شعره لأبيض، ون ثناء لعربي، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ثياباً تبلى، وما لا يفسى، ومطايأ تنضى، وأعطانا مدحاً يروى، وثناءً يبقى!». وقيل لعبد الله بن جعفر إنك لتبذل الكثير إذا سُئلت، وتضيق في القليل إذا توجرت. فقال: إني أبذل مالي، وأضنُّ بعقلي»⁽¹⁾.

وصلت حدود كرمه درجة الأساطير: «عن إسحاق بن عبد الله بن جعفر، قال: جاءت امرأة إلى عبد الله بن جعفر، فقالت له: يا سيدي، وهبت لي بعض جاراتي بيضة فحضمتها تحت ثدي حتى خرجت فروجة، فغذوتها بأطيب الطعام حتى بلغت وقد ذبحتها وشويتها وكفتته برفاقتين وجعلت لله علي أن أدفنها في أكرم بقعة في الأرض ولا أعلم والله بقعة أكرم من بطنك. فكلها. فقال: يا بديح، خذها منها وامض فانظر إلى الدار التي هي فيها، فإن كانت لها فاشتر لها ما حولها من الدور، وإن لم تكن لها فاشترها واشتر لها ما حولها. فذهب ثم رجع فقال: قد اشتريت الدار لها وما حوالها، فقال: احمل لها على ثلاثين عير حنطة وشعيراً وأرزاً وزبيباً وتمراً ودراهم ودنانير. قالت العجوز: لا تسرف، إن الله لا يحب المسرفين... وعن ابن سيرين، قال: جلب رجل سكرأ إلى المدينة، فكسد عليه، فذكر ذلك لعبد الله بن جعفر، فأمر قهرمانه أن يشتريه وينهبه الناس»⁽²⁾.

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 153.

(2) ابن الجوزي، المتنظم، 783.

يقال إنه «لما قدم معاوية المدينة منصرفاً من مكة بعث إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا من كسّى وطيب وصلاح من المال ثم قال لرسله. ليحفظ كل رجل منكم ما يرى ويسمع من الرد. فلما خرج الرسل من عنده، قال لمن حضر: إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم. قالوا: أخبرنا يا أمير المؤمنين قال: أما الحسن فقلعه ينيل نساءه شيئاً من الطيب وينهب ما بقي من حضره ولا ينتظر غائباً. وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفيين فإن بقي شيء نحر به الجزر وسقى به اللبن وأما عبد الله بن جعفر فيقول: يا بديح! اقض به ديني، فإن بقي شيء فأنفذ به عداوتي»⁽¹⁾.

من القصص الأقرب إلى الأساطير ما روي عن عبد الله بن جعفر أنه أسلف الزبير بن العوام ألف ألف درهم. فلما توفي الزبير قال ابن الزبير لعبد الله بن جعفر: إني وجدت في كتب أبي أن له عليك ألف ألف درهم، فقال: هو صادق فاقبضها إذا شئت. ثم لقيه بعد فقال: يا أبا جعفر، إنما وهمت، المال لك عليه، قال: فهو له. قال: لا أريد ذلك، قال: فاختر، إن شئت فهو له، وإن كرهت ذلك فلك فيه نظرة ما شئت، فإن لم ترد ذلك فبعني من ماله ما شئت، قال: أبيعك، ولكنني أقوم فقوم الأموال ثم أتاه فقال: أحب ألا يحضرني وإياك أحد. فقال له عبد الله: يحضرنا الحسن والحسين فيشهدان لك، قال: ما أحب أن يحضرنا أحد قال: انطلق، فمضى معه فأعطاه خراباً وسباحاً لا عمارة له، وقومه عليه، حتى إذا فرغ قال عبد الله لغلامه: ألق لي في هذا الموضع مصلى، فألقى له في أعلا موضع من تلك المواضع مصلى، فصلى ركعتين وسجد

فأطال السجود يدعو. فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلّامه: «حفر في مرصع سحودي فحفر، فإذا عين قد أنبطها، فقال له ابن الزبير: أفتي. قل: أما دعائي وإجابة الله إياي فلا أتيك، فصار ما أخذ منه أعمر ما في أيدي ابن الزبير.

وعن الحسين قال: علمنا عبد الله بن جعفر السخاء. وعن هشام: أن دهقاناً كلم عبد الله بن جعفر أن يكلم علي بن أبي طالب في حاجة، فكلمه ففضله: فأهدى إليه الدهقان أربعين ألفاً فردّها عليه وقال: إن لا بأخذ على المعروف ثمناً.

كتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعة، فجعلها في ثني وسادة التي يتكئ عليها، فقلب عبد الله الوسادة فبصر بالرقعة فقرأها، فردّها في موضعها، وجعل مكانها كيساً فيه خمسة آلاف دينار، فحاء الرجل فقال: قلب المرفقة فخذ ما تحتها فأخذ الكيس وخرج⁽¹⁾

«وقيل: إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه: انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلاناً. وعد جماعة - فخرج فلم ير أحداً، فقبل له: هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون، فأتى معاوية فأخبره فقال: ما أنا إلا كأحدهم، ثم أخذ عصا فتوكأ عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه، فقال له معاوية: أين غداؤك يا ابن جعفر؟ فقال: وما تشتهي من شيء فادعوا به؟ فقال: معاوية أطعمنا مخاً. فقال: يا غلام هات مخاً. فأتى بصحيفة فأكل معاوية، ثم قال ابن جعفر لغلّامه: هات مخاً. فجاء بصحيفة أخرى ملأته مخاً إلى أن فعل

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1647.

ذلك ثلاث مرات. فتعجب معاوية وقال: يا ابن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء، فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار⁽¹⁾.

«أخرج عبد الله بن جعفر إلى حيطان المدينة، فينا هو كذلك إذ نظر إلى أسود على بعض الحيطان وهو يأكل ويبين يديه كلب، وعبد الله بن جعفر واقف على دابته ينظر إليه، فلما فرغ دنا منه فقال له: يا غلام لمن أنت؟ فقال: لورثة عثمان بن عفان! فقال: لقد رأيت منك عجباً فقال له: وما الذي رأيت من العجب؟ قال: رأيتك تأكل، فكلما أكلت لقمة رميت للكلب لقمة، فقال: يا مولاي، هو رفيقي منذ سنين، ولا بد أن أجعله كآسوتي في الطعام، فقال له: فدون هذا يجزئك؟ فقال له: يا مولاي، إني لأستحي من الله أن أكل، وعين تنظر إلي لا تأكل. ثم مضى عنه حتى ورثة عثمان بن عفان فنزل عندهم؛ فقال: جئت في حاجة، تبيعنوني الحائط الفلاني؟ قالوا: قد وهناه لك فقال: لست أخذه إلا بضعف فباعوه، فقال لهم: وتبيعنوني الغلام الأسود؟ فقال له: إن الأسود ربيناه وهو كأحدنا، فلم يزل بهم حتى باعوه... فقال له: فأنت حر والحائط لك.

خرج حسين بن علي وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص إلى مكة... فظفروا إلى نار تلوح لهم عن ناحية من الطريق، فأموها، فإذا هي نار لإنسان من مزينة فسألوا المبيت فقال: نعم، والقرى، فأمر لهم وأدخلهم خبائه وحجز بينهم وبين امرأته وصبيانها بكساء أو شيء ثم قام إلى شاة عنده فذبحها وسلخها، ثم قربها إليهم... ثم ذهب إلى عبد الله بن جعفر فرحب به وقال: هل جئت أحداً من أصحابي؟ قال: نعم

(1) ابن مطور، مختصر تاريخ دمشق، 1647، 40.

كلاهما. قال: فما صنعنا؟ قال: أما سعيد فأعطاني ألف شاة ورعاتها، وأما حسين فأعطاني ألف شاة ورعاتها وعشرة آلاف درهم. قال: يا بديع، أعطه ألف شاة ورعاتها وسجل له فلانة بينبع، قال: لعين عظيمة الخطر تغل مالا كثيراً⁽¹⁾.

«قال أبو إسحاق المالكي: وجه يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر مالا جليلاً هدية له، ففرقه في أهل المدينة، ولم يدخل منزله منه شيئاً، فبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فقال: إن عبد الله بن جعفر لمن المفسرفين⁽²⁾».

«ويقولون: إن أجواد العرب في الإسلام عشرة. فأجواد أهل الحجاز عبد الله بن جعفر... ومدحه نصيب فأعطاه إبلاً وخيلاً وثياباً ودنانير ودراهم فقيل له: تعطى لهذا الأسود مثل هذا؟ فقال: إن كان أسود فشعره أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما مال، وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى وأعطانا مدحاً يروى وثناً يبقى. وقد قيل: إن هذا الخبر إنما جرى لعبد الله بن جعفر مع عبد الله بن قيس الرقيات⁽³⁾».

«عن ابن خُربُوذ، أن عبد الله بن جعفر كلم في تزويج يتيم من قریش فوهب له مائة ألف درهم، فذكر ذلك لمعاوية فقال: إذا لم يكن الهاشمي سخياً لم يشبه من هو منه.

و ابتاع عبد الله بن جعفر حائطاً من رجل من الأنصار بمائتي ألف درهم فرأى اننا له ييكي فقال: ما ييكيك؟ قال: كنت أظن أنني وأبي سموت قل

(1) اس مطور، مختصر تاريخ دمشق، 1648؛ أسامة بن منقذ، لباب الآداب، 33.

(2) اس منصور، مختصر تاريخ دمشق، 1650؛ النووي، رياض الصالحين، 36 راجع الدهي، تاريخ الإسلام، 656؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 263.

(3) بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 266.

خروج هذا الحائط من أيدينا، لقد غرست بعض نخله يدي. فدعا أباه ورد عليه صكه وسوغه المال.

قال قدم عبد الله بن جعفر من الشام يريد المدينة فأتى على قوم من العرب قد تحاربوا ووقعت بينهم قتلى فوداهم بثلاث مائة ألف وكسر، وأصلح بينهم وهياً طعاماً أنفق عليه مالا، ثم أطعمهم⁽¹⁾:

«عن الزهري أن علي بن أبي طالب أعطى عائشة - رضي الله تعالى عنها - يوم الجمل حين أشخصها إلى المدينة اثني عشر ألفاً، فاستقل ذلك عبد الله بن جعفر - رضي الله تعالى عنهما - فزادها وقال: إن أجاز علي هذه الزيادة؛ إلا فهي من مالي⁽²⁾.

«قلت بنو أمية لمعاوية يا أمير المؤمنين أعطني أحدنا مائة ألف درهم إذا أسنيت له، وتعطي ابن جعفر ما تعطيه؟ فقال: لست أعطي ابن جعفر ما أعطيه له وحده وإنما أعطيه وأعطي الناس لأنه يقسم ما يصير إليه ويجود به، وأنتم تأخذون المال فتحبسونه وتدخرونه وإنما نعطي كل امرئ على قدر مروءته وتوسعه.

كلم عبد الله بن جعفر علي بن أبي طالب في حاجة لبعض الدهاقين؛ فقضاها فحمل إليه أربعين ألف درهم ورقاً، فردّها وقال: إنّا قوم لا نأخذ على معروف ثمناً.

وفد عبد الله بن جعفر على معاوية فأعطاه صلته لوقادته خمسمائة ألف درهم؛ وقضى حوائجه.

(1) اللادري، أنساب الأشراف، 263.

(2) اللادري، أنساب الأشراف، 264.

ثم إن عبد الله وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين اقض ديني قال: «و لم تقض وفادتك وتقض حوائجك الخاص والعام يا بن جعفر؟ قال: بلى. قال. فليس كل قریش أسعه بمثل ما أعطيك، وقد أجهضت النوائب بيت المال؟! قال: إن العطية يا معاوية محبة والمع بغصة والآن تعطيني وأحبك أحب إلي من أن تحرمني فأبغضك... فقال معاوية: اعدم يا بن جعفر أن ما من قریش أحد أحب أن يكون ولدته هند غيرك ولكني إذا ذكرت ما بينك وبين علي، وما بين علي وبينني اشماز قلبي فكم دينك؟ قال: ثلاثون ألف دينار. فقال: كيف ابخل بما لا يغيب عن بيت مالي إلا أشهر أسيرة حتى يعود إليه، اقضها عنه يا سعد»⁽¹⁾.

سر العلاقة بين الهاشمي وبنی أمية:

«كان عبد الله بن جعفر كريماً، جواداً ظريفاً خليفاً عفيفاً سخياً يسمى بحر الجود، ويقال: إنه لم يكن في الإسلام أسخى منه وكان لا يرى بسماع الغناء بأساً»⁽²⁾.

وفي نص آخر نقراً: «أن عبد الله بن جعفر قال لعبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي، وهو يمازحه، وكان ابن صفوان أمياً لا يقرأ ولا يكتب: ما نأمر أحداً من شائنا بالكتاب والأدب إلا قال: هذا سيد قریش عبد الله بن

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 266. راجع من أجل سخاته: الفسوي، المعرفة والتاريخ، 277؛ ابن سيده، المخصص، 936؛ الآبي، نثر الدر، 94؛ مؤرج، حذف من سبب قریش، 4؛ الرضي الصاغاني، العباب الزاخر، 389؛ ابن الحداد، احوهر النيس في سبسة الرئيس، 10؛ ابن عاصم، حدثات الأزاهر، 8؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2966

(2) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 265.

صفوان لا يقرأ ولا يكتب، فقال ابن صفوان: ونحن والله ما ننهي أحداً من أحداثنا وساتنا عن البطالة واللهم إلا قال: هذا سيد قریش ابن جعفر يلهو ويسمع العناء⁽¹⁾.

«قال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما العيش يا أبا جعفر؟ قال: ركوب الهوى وترك الحياة»⁽²⁾.

قال: وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام، فأنزله في دار عياله، وأظهر من إكرامه وبره ما كان يستحقه. فغاض ذلك فاخته بنت قرظة، زوجة معاوية، فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر، فجاءت إلى معاوية فقالت: هم فاسمع ما في منزل هذا الذي جعلته بين لحمك ودمك، وأنزلته في دار محرمك. فجاء معاوية فسمع شيئاً حركه وأطربه، وقال: والله إنني لأسمع شيئاً تكاد الجبال تخر له، وما أظنه إلا من تلقين الجن، ثم انصرف. فما كان من آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله وهو قائم يصلي. فأنبه فاختة، وقال لها: اسمعي مكان ما أسمعني، هؤلاء قومي، ملوك بالنهار رهبان بالليل»⁽³⁾.

سائب خاثر أحد أهم مغني ذلك العصر، والذي تبناه ابن جعفر؛ فمن هو هذا الرجل؟

«السائب بن يسار أبو جعفر المدني: مولى بني ليث، المعروف بسائب

(1) اسلادري، أنساب الأشراف، 264.

(2) وقاد معاوية لعبد الله بن جعفر: ما أطيب العيش؟ قال: ليس هذا من مسألك يا أمير المؤمنين. قال: عزمت عليك لتقولن. قال: هنك الحياة، واتباع الهوى. (ابن عدي ربه الأندلسي، العقد الفريد، 976).

(3) ابن عدي ربه الأندلسي، العقد الفريد، 895.

خاتر، مغن معروف، وكان غنى صوتاً ثقيلاً فقالوا: هذا غناء حائر غير ممدوق. فلقب خاتراً⁽¹⁾. «كان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر، فنسب إلى ولائه. وكان عبد الله بن جعفر يخرج به إلى معاوية إذا خرج وعيره من القرشيين، فقال معاوية لعبد الله بن جعفر: هذا الرجل الذي لا يحلو من رفاعكم ومن حوائجكم، ترفعون اسمه في حوائجكم! أي شيء صناعته؟ قال له عبد الله بن جعفر: إن شئت يا أمير المؤمنين أن يدخل عديث، حتى يسمع بعض صناعته. فدخل على معاوية بن أبي سفيان، وهو على وسادة قد جلس عليها، فقال له عبد الله بن جعفر: أسمع أمير المؤمنين بعض ما عندك. قال: فأسمعه، فلما سمع بعض ذلك قال: قم، لا أقدم الله رجليث، والله لقد كدت أن أقوم عن وسادتي. قيل: إن سائباً قتل يوم الحرة⁽²⁾، وفي نص نقرأ: «هو أبو جعفر سائب بن يسار، مولى لبني ليث. وأصله من فيء كسرى، واشتراه عبد الله بن جعفر فأعتقه. وقيل: بل كان على ولائه لبني ليث، ولكنه انقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزمه وعرف به. وهو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به. قال: وكان عبد الله بن عامر بن كريز سبي إمأة صناعات فأتى بهن المدينة. فكن يلعبن في يوم الجمعة ويسمع الناس منهن، فأخذ عنهن. وقدم رجل فارسي يعرف بنشيط، فغنى، فعجب عبد الله بن جعفر منه. فقال له سائب خاتر: أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية... قال ابن الكلبي: وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة. قال: ثم اشترى عبد الله بن جعفر شيطاً بعد ذلك؛ فأخذ عنه سائب خاتر الغناء العربي، وأخذ عنه ابن سريج

(1) اللاذري، أنساب الأشراف، 267.

(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1261.

وحملة ومعبد وعزة الميلاء وغيرهم. وقيل: إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغني مرتجلاً. قال ابن الكلبي: وكان سائب تاجراً موسراً يبيع الطعام بالمدينة، وكان تحته أربع نسوة. وكان انقطاعه إلى عبد الله بن جعفر، وهو مع ذلك يخالط سروات الناس وأشرفهم لطره وحلاوته وحسن صوته. وكان قد آلى على نفسه ألا يغني... سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة؛ فكان على ذلك إلى أن قتل، على ما نذكره. وأخذ عنه معبد غناء كثيراً. قال: وسمع معاوية غناء سائب خائر مراراً، فالمرة الأولى لما وفد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه، فسأل عنه معاوية، فأخبره عبد الله خبره وأستأذنه في دخوله عليه، فأذن له. فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته⁽¹⁾.

«وعن لقيط، قال: أشرف معاوية بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيد ابنه، فسمع صوتاً أعجبه، وأستخفه السماع فاستمع قائماً حتى مل، ثم دعا بكرسي فجلس عليه، وأستهى الاستزادة فاستمع بقية ليلته حتى مل. فلما أصبح غداً عليه يزيد. فقال له: يا بني! من كان حليسك البارحة؟ قال: أي جليس يا أمير المؤمنين؟ وأستمع عليه. قال: عرفني فإنه لم يخف علي شيء من أمرك. قال: سائب خائر. قال: فأختر له يا بني من برك وصلتك، فما رأيت بمجالسته بأساً.

قال ابن الكلبي: قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم؛ فأمر حاجبه بالإذن لئلا يرد؛ فخرج الأذن ثم رجع فقال: ما بالباب أحد. فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند ابن جعفر. فدعا بيخلته فركبها ثم توجه إليهم. فلما

(1) الويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 477؛ أنظر: البلاذري، أنساب الأشراف،

حس قال بعض: القرشيين لسائب خاثر: مطر في هذا لك - وكان من خز -
إن أنت اندفعت تغني ومشيت بين السماطين وأنت تغني. فقام ومشى بين
السماطين وعنى:

لنا الحففات الغريلمعن بالضحي وأسيفنا يقطرون من نجدة دما
فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحس
لذلك، ثم قام وأنصرف إلى منزله. وأخذ سائب خاثر المطرف⁽¹⁾.

وفي نص، نقرأ عن سائب خاثر وجواري ابن جعفر: «وحدث أن
معاوية قال لعمرو: امض بنا إلى هذا الذي قد تشاغل باللهو وسعى في
هدم مروءته، حتى ننعى عليه، أي نعيب عليه فعله - يريد عبد الله بن جعفر
بن أبي طالب - فدخلنا إليه، وعنده سائب خاثر، وهو يلقي على جوار
لعبد الله، فأمر عبد الله بتنحية الجواري لدخول معاوية، وثبت سائب
مكانه، وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية، فرفع معاوية عمراً فأجلسه إلى
جانبه، ثم قال لعبد الله: أعد ما كنت فيه، فأمر بالكراسي فالتفت، وأخرج
الجواري، فتغنى سائب بقول قيس بن الخطيم:

ديارُ التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب
ورده الجواري عليه، فحرك معاوية يديه وتحرك في مجلسه، ثم
مد رجليه، فجعل يضرب بهما وجه السرير. فقال له عمرو: اتشد يا أمير
المؤمنين، فإن الذي جئت لتلحاه أحسن منك حالاً وأقل حركة. فقال
معاوية. اسكت لا أبا لك! فإن كل كريم طروب⁽²⁾.

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 917؛ راجع: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 177.
الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1227؛ الويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 478.
(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 177.

«عن المدائني قال: قتل سائب خاثر يوم الحرة، وكان خشى على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدثهم ويقول: أنا مغن، ومن حالي وقصتي كيت وكيت؛ وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله قالوا: مغن لنا، فجعل يغني؛ فقام إليه أحدهم فقال له: أحسنت والله! ثم صر به بالسيف فقتله. وبلغ يزيد خبره ومر به اسمه في أسماء من قتل يومئذ فلم يعرفه وقال: من سائب خاثر هذا؟ فقبل له: هو سائب خاثر المغني. فعرفه فقال: ويله! ماله ولنا! ألم بحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا! فما الذي حمله على عداوتنا! لا جرم أن بغيه صرعه. وقال المدائني في خبره: فقال إن لله! أو بلغ القتل إلى سائب خاثر وطبقته! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد. ثم قال: قبحكم الله يا أهل الشام! تجدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه»⁽¹⁾.

القصة الواحدة بطلها أكثر من مغن؛ يقول أحد النصوص: «كان معاوية يعيب على عبد الله بن جعفر سماع الغناء. فأقبل معاوية عاماً من ذلك حاجاً، فنزل المدينة، فمر ليلة بدار عبد الله بن جعفر، فسمع عنده غناء على أوتار، فوقف ساعة يستمع ثم مضى وهو يقول: أستغفر الله، أستغفر الله. فلما انصرف من آخر الليل مر بداره أيضاً، فإذا عبد الله قائم يصلي، فوقف ليستمع قراءته، فقال: الحمد لله، ثم نهض وهو يقول: «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم»؛ فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعد له طعاماً، ودعاه إلى منزله، وأحضر ابن صياد المغني، ثم تقدم إليه يقول: إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام فحرك أوتارك وغن. فلما وضع معاوية يده في الطعام حرك ابن صياد أوتاره وغنى بشعر عدي ابن

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 917.

زيد، وكان معاوية يعجب به... فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام، وحمل يضرب برجله الأرض طرباً. فقال له عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين، إما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الألحان، فهل ترى به بأساً؟ قال: لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان⁽¹⁾.

«مالك بن جابر بن ثعلبة الطائي، أبو الوليد: أحد المغنين المقدمين في العصر الأموي وشطر من العصر العباسي أخذ صناعة الغناء عن معبد، وانقطع إلى عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب»⁽²⁾.

معبد، أحد أشهر مغني بني أمية، كان على ما يبدو تلميذاً للسانب خاتر؛ يقال في «أخبار معبد: مولى معاوية بن أبي سفيان. غنى معبد في أيام بني أمية في أوائلها، ومات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق. قال أبو الفرج الأصفهاني: إنه لما مات خرجت سلامة جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخذت بعمود السرير والناس ينظرون إليها وهي تندبه [بصوت] وكان معبد قد علمها هذا الصوت فندبته به. قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: كان معبد من أحسن الناس غناءً، وأجودهم صنعة، وأحسنهم حلقاً؛ وهو إمام أهل المدينة في الغناء، وأخذ عن سائب خاتر ونشيط الفارسي مولى عبد الله بن جعفر، وعن جميلة مولاة بهز بطن من بني سليم»⁽³⁾.

من ناحية أخرى، نشيط الفارسي كما يذكر أحد المراجع. «كان لعبد

(1) اس عد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 894؛ ابن راس غنمة الاشيلي، مائل الدرر ومات الزهر، 80.

(2) الرركلي، الأعلام، 824.

(3) البويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 484.

الله بن جعفر، غلام فارسي... وكان يغني بالفارسية ويضرب على غنائه بالعود، ثم فصح فغنى بالعربية، وعنه وعن سائب خاثر أخذ معبد الغناء، ولشيط أغان نسبت إلى معبد⁽¹⁾.

مضرب يذكره أحد المراجع هو «مالك بن أبي السمح من طيء من ساكني المدينة، وكان أخواله من بني مخزوم، وكان يتيماً في حجر عبد الله بن جعفر، فأخذ الغناء عن معبد، وكان يغني مرتجلاً، وعاش حتى أدرك دولة بني العباس»⁽²⁾.

بديح، هو واحد من أشهر المغنين عند ابن جعفر؛ يقول الجاحظ: «وكان لعبد الله بن جعفر الطيار جواريتان، وغلام يقال له «بديح» يتغنى، فعابه بذلك الحكم بن مروان، فقال: وما عليّ أن آخذ الجيد من أشعار العرب وألقيه إلى الجواري فيترنّمن به ويشدّرنه بحلوقهنّ ونغمهنّ»⁽³⁾.

وكان ابن الأثير قد ذكر أيضاً عن «محمد بن عامر: لام معاوية عبد الله بن جعفر على الغناء، فدخل عبد الله على معاوية ومعه بديح ومعاوية واضع رجلاً على رجل، فقال عبد الله لبديح: إيها يا بديح! فتغنى، فحرك معاوية رجله، فقال عبد الله: مه يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: إن الكريم طروب»⁽⁴⁾ (5).

(1) للبلاذري، أنساب الأشراف، 264.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 256.

(3) الجاحظ، الرسائل، 118.

(4) ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 650؛ راجع: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1227؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 672.

(5) وقل المدائني عن محمد بن عامر: عاتب معاوية عبد الله بن جعفر على الاستهتار بأبناء والطرب، فدخل عليه يوماً ومعه بديح المليح، مولى آل الزبير ويقال موله،

«أقول [معاوية لعبد الله بن جعفر عن بديع يوماً]: إن أذني عبيلة، فمره أن يرجع إلى مجلسه، وكان مجلس بديع المعني، فأمره عبد الله بن جعفر، فرجع إلى موضعه، فقال له معاوية: داو أذني من علتها، فتناول العود وعنى... قال: فحرك عبد الله بن جعفر رأسه، فقال له معاوية: لم حركت رأسك يا ابن جعفر؟ قال: أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لأببت، ولو سئلت لأعطيت، وكان معاوية قد خضب. قال، فقال ابن جعفر لبديع: هات غير هذا، وكان عبد معاوية جارية من أعز جواريه عليه، وكانت تتولى خضابه، فغنى بديع... فطرب معاوية طرباً شديداً، وجعل يحرك رجليه، فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين إنك سألتني عن تحريث رأسي، فأجبتك وأخبرتكَ، وأنا أسألك عن تحريك رجلك، فقال: كل كريم طروب، ثم قام، وقال: لا يبرح أحد منكم حتى يأتي له إذني، ثم ذهب، فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته، وإلى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب». وحدث ابن الكلبي، والهيثم بن علي قالاً: بينما عبد الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة إذ سمع غناء، فأصغى إليه، فإذا صوت رقيق لقينة تغني وتقول:

هنا كان على باب البيت الذي فيه معاوية قال يا بديع قل، فتغنى وحمل يقرع حلقة
ابواب ويرقعها، وجعل معاوية يحرك رجليه، فقال عبد الله: ما هذا يا أمير المؤمنين؟
قال: إن الكريم طروب... قدم معاوية المدينة، فأمر حاجبه أن يأذن للناس، فخرج
هم ير أحدًا، فأعلمه قال: فأين الناس؟ قيل: عند عبد الله بن جعفر في مأدبة له، فأتاه
معاوية، فلما جلس قال بعض المدنيين لسائب خاتر: لك مطرفي إن عيت ومثيت بين
السياطين، ففعل وغنى بشعر حسان بن ثابت:

ل الحصات العز يلعبن بالضحي وأسيفنا يقطرون من حدة دمأ
فأعجب معاوية ذلك واستحسنه وأخذ السائب المطرف - (البلادي، أساب
الأشراف، 267).

قل للكرام ببابنا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرح
 فزل عبد الله عن دابته، ودخل على القوم بلا إذن، فلما رآوه قاموا
 إجلالاً له، ورفعوا مجلسه، فأقبل عليه صاحب المجلس، وقال يا ابن عم
 رسول الله ﷺ أتدخل مجلسنا بلا إذن، وليس هذا من شأنك؟ فقال عبد
 الله: لم أدخل إلا بإذن. قال: ومن أذن لك؟ قال: قيتك هذه سمعتها نقول:
 قل للكرام ببابنا يلجوا، فولجنا، فإن كنا كراماً، فقد أذن لنا، وإن كنا لثاماً
 خرجنا مذمومين، فقبل صاحب المنزل يده، وقال: جعلت فداك، والله ما
 أنت إلا من أكرم الناس، فبعث عبد الله إلى جارية من جواريه، فحضرت
 ودعا بشباب وطيب، فكسا القوم، وطيبهم، ووهب الجارية لصاحب
 المنزل، وقال: هذه أحنت بالغناء من جاريتك⁽¹⁾.

يضيف أبو الفداء تفاصيل أخرى، فيقول: «ومعاوية أول خليفة بايع
 لولده، وأول من وضع البريد، وأول من عمل المقصورة في مسجد،
 وأول من خطب جالساً، في قول بعضهم، وكان عبد الله بن جعفر بن
 أبي طالب ممن يرى سماع الأوتار والغناء، وهو رأى أهل المدينة، وكان
 معاوية يكر ذلك عليه، فدخل ابن جعفر يوماً على معاوية ومعه بديح
 المغني، فقال ابن جعفر لبديح: غنّ، فغنى بشعر كان يحبه معاوية...
 فطرب معاوية وتحرك، وضرب برجله الأرض، فقال له ابن جعفر: مَهْ
 يا أمير المؤمنين. فقال معاوية: إِنَّ الكريم لطروب⁽²⁾، وقال معاوية:

(1) الأشيبي، المستطرف من كل من مستطرف، 388؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة
 الأصحاب، 265؛ الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، 22؛ ابن راس عمدة
 الأشيبي، مناقب الدرر ومناقب الزهر، 81.
 (2) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 131.

أعت على علي بثلاث كان رجلاً ظهرت علته، وكنت كتوماً لسري
وكان في أحب جند، وأشدّه خلافاً وكنت في أطوع جند وأقمه حلاقاً
وحلاً بأصحاب الجمل فقلت: إن ظفر بهم أعددت ذلك عليه وهن، ومن
ظفروا به، كانوا أهون شوكه عليّ منه».

«وكان بديح أحلى الناس وأذكاهم»⁽¹⁾.

عزة الميلاء واحدة من أشهر مطربات زمنها والتي عملت برعاية ابن
جعفر، يحدثنا الأغاني: «قدم عبد الله بن جعفر على معاوية وافداً، فدخل
عليه إنسان ثم ذهب إلى معاوية فقال: هذا ابن جعفر يشرب النبيذ⁽²⁾،
ويسمع الغناء، ويحرك رأسه عليه. فجاء معاوية متغيراً حتى دخل على ابن
جعفر، وعزة الميلاء بين يديه كالشمس الطالعة في كواء البيت يضيء بها
البيت، تغنيه على عودها... وبين يديه عصف؛ فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟

(1) الخصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، 22.

(2) أما في عهد الأمويين، فإن يزيد بن معاوية كان يذم شرب الخمر، فلا يسمي إلا
سكران، ولا يصبح إلا غموراً، وكان عبد الملك يسكر في كل شهر مرة، حتى لا
يعقل في السماء هو أو في الماء، وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً، ويدع يوماً،
وكان سليمان بن عبد الملك، يشرب في كل ثلاث ليال ليلة، وكان هشام يسكر في كل
جمعة، وكان يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد يذمnan الشرب واللهو، وكان مروان
بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت .. أما العباسيون، فقد كان أبو العباس
يشرب عشية الثلاثاء وحدها، وكان المهدي، والهادي يشربان يوماً، ويدعان يوماً،
وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين، وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء
والجمعة، ثم أذعن الشراب عند خروجه إلى الشام في السنة 215 إلى أن توفي، وكان
المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة، وكان الواثق ربا أذعن الشراب
وتابعه، غير أنه لم يكن يشرب ليلة الجمعة، ولا في يومها. (الجاحظ، التاج في حلاق
مروك 151 153).

قال. أقسمت عليك يا أمير المؤمنين لتشرين منه⁽¹⁾، فإذا غسل مجدوح بمسك وكافور. فقال: هذا طيب، فما هذا الغناء؟ قال: هذا شعر حسان بن ثابت في الحارث بن هشام. قال: فهل تغني بغير هذا؟ قال. نعم، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابي الجافي الأدفر، القبيح المنظر، فيشافهك به، فتعطيه عليه؛ وأخذه أنا، فأختار محاسنه ورقيق كلامه، فأعطيه هذه الحسنه الوجه، اللبنة اللمس، الطيبة الريح، فترتله بهذا الصوت الحسن. قال: فما تحريرك رأسك؟ قال: أريحه أجدها إذا سمعت الغناء، لو سئلت عندها لأعطيت، ولو لقيت لأبليت. فقال معاوية: قبح الله قوماً عرضوني لك. ثم خرج وبعث إليه بصله⁽²⁾.

- (1) أقول: الذي فرأته في الأغاني 6-77 أن هشام بن عبد الملك لم يكن يشرب، ولا يسقي أحداً بحضرته مسكراً، وكان يسكر ذلك ويعاقب عليه، وأن أبا جعفر المنصور لم يكن يشرب غير الماء التاج 33 ومحاضرات الأدباء 2-694، وكان المهدي لا يشرب الأغاني 5-160 لا تخرجاً ولكن كان لا يشتهي الطبري 8-160، وأن موسى الهادي وهارون الرشيد كانا مستهترين بالنبيذ نهاية الأرب 4-330، وأن الأمين كان لا يبالى مع من قعد ولا أين قعد التاج 42، أما المتوكل، فكان منهمكاً في اللذات والشرب تاريخ الخلفاء 349 وكان يعربد على جلسائه إذا سكر الطبري 9-167 أما المهدي، محمد بن لوثنى، فقد كان زاهداً ورعاً تاريخ الخلفاء 361، وكان المعتمد منهمك في اللهو واللذات تاريخ الخلفاء 363 وكان المعتذر مؤثراً للشهوات والشرب تاريخ الخلفاء 384 أما القاهر فكان لا يصحو من السكر تاريخ الخلفاء 386 أما المقتدي فسم يشرب السيد قط تاريخ الخلفاء 394 وكذلك القادر بالله تاريخ الخلفاء 412 والقائم اسمه تاريخ الخلفاء 417 والمقتدي حميد القائم تاريخ الخلفاء 423. أما شأن رحدو الدولة، فقد ذكر أن الفصل من يحيى البرمكي، لم يكن يشرب الخمر، وعتب عليه الرشيد، وثقل عليه مكانه لتركه الشرب معه، وكان الفضل يقول: لو علمت أن الماء ينقص من مروعتي ما شرته الطبري 8-293، وكان سيف الدولة الحمداني لا يشرب «سبيد الملح للحصري 266، وكذلك كان سيف الدولة الأموي صدقة بن ديس، فإنه لم يشرب مسكراً المنتظم 9-159. (القاضي التوخي، الفرج بعد الشدة، 131)
- (2) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 417.

نافع أحد هؤلاء المطربين؛ يقول هذا المغني: «قدمنا مع عبد الله بن جعفر مرة على معاوية، فأرسل إلي يزيد يدعوني ليلاً، فقلت: أكره أن يعين أمير المؤمنين مكانني عندك فيشكوني إلى ابن جعفر. قال فأمهل حتى إذا سمر أمير المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يفتقدك ونحلوا نحن بما نريد قبل قيامهما. فأتيته فغنيته، فوالله ما رأيت فتى أشرف أريحية منه، والله لألقى علي من الكسا الخز والوشي وغيره ما لم أستطع حمله، ثم أمر لي بخمسمائة دينار. قال: وذهب بنا الحديث وما كنا فيه، حتى قدم معاوية ونهض ابن جعفر معه، وكان باب يزيد في سقيفة معاوية، فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يا بن جعفر؟ قال: هذا والله صوت نافع، فدخل علينا، فلما أحس بنا يزيد تناوم. فقال له معاوية: ما لك يا بني؟ قال: صدعت فرجوت أن يسكن عني بصوت هذا. قال: فتبسم معاوية وقال: يا نافع، ما كان أغنانا عن قدومك! فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، إن هذا في بعض الأحيان يذكي القلب. قال: فضحك معاوية وانصرف. فقال لي ابن جعفر: ويلك! هل شرب شيئاً؟ قلت: لا والله. قال: والله إنني لأرجو أن يكون من فتيان بني عبد مناف الذين يتنفع بهم. قل نافع: ثم قدمنا على يزيد مع عبد الله بن جعفر بعد ما استخلف، فأجلسه معه على سريره ودخلت حاشيته تسلم عليه ودخلت معهم. فلما نظر إلي تبسم. ثم نهض ابن جعفر وتبعناه. فقليل له: نظر إلى نافع وتبسم. فقال ابن جعفر: هذا تأويل تلك الليلة. فقضى حوائج ابن جعفر وأصعف ما كان يصله به معاوية. فلما أراد الانصراف أتاه يودعه ونحن معه، فأرسل إلي يزيد فدخلت عليه. قال: ويحك يا نافع! ما أخرتك إلا لأنفرغ لك هات لحنك... فأسمعت، فقال: أعد ويلك! فأعدته، ثم قال: أعد فأعدته

ثلاثاً. فقال: أحسنت، فسل حاجتك، فما سألته في ذلك اليوم شيئاً إلا أعطانيه⁽¹⁾. ويقول الأغاني: «لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحماً من الثقل الأول»⁽²⁾.

عمارة واحدة من أشهر مغنيات عبد الله بن جعفر؛ يقال «عمارة جارية ابن جعفر كانت من مشاهير نساء عصرها حسناً وجمالاً ولها اليد الطولى في صنعة الغناء، وكان سيدها وجد بها وجداً شديداً... لا يستطيع فراقها سافراً أو حضراً؛ فقدم على معاوية سنة من السنين لأخذ حقه، فزاره يزيد، فغنت الجارية بحضرته فأخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه؛ وكان ذا دهاء فكتم أمرها. فلما أفضت إليه الخلافة استشار أهل سره في أمرها وأنه لا يهنا له قرار دونها؛ فقالوا له: إن ابن جعفر عند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه من أهلك ولا نأمن عليك في ذلك فالزم المهلة واجتهد فيها الحيلة»⁽³⁾. «فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطعم في أمر هذه الجارية، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفاً كثيرة، وأنس به، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد. وكان الحسن البصري يذم ابن جعفر على سماعه الغنى واللبو وشرائه المولودات، ويقول: أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله ﷺ وكان الحجاج يقول إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب»⁽⁴⁾.

(1) السابق، 858.

(2) السابق، 857.

(3) ريب فواره الدر المشور في طبقات ربات الخندور، 266.

(4) اس كثير، البداية والنهاية، 3156؛ أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، 783.

وفي نص أن يزيداً قال: انظروا لي رجلاً عراقياً له أدب وظرف ومعرفة، فطلوبه، فأتوه به. فلما دخل رأى ياناً وحلاوة وفهماً، فقال يزيد: إني دعوتك لأمر إن ظفرت به فهو حظك عندي آخر الدهر، ويد أكافئك عليها إن شاء الله. ثم أخبره بأمره، فقال له: إن عبد الله بن جعفر لا يرام ما قبله إلا بالخديعة، ولن يقدر أحد على ما سألت فأرجو أن أكونه، والقوة بالله، فأعني بالمال. قال: خذ ما أحببت، فأخذ من طرف الشام وثياب مضر، واشترى متاعاً للتجارة من رقيق ودواب وغير ذلك، ثم شخص إلى المدينة، فأناخ بعرضة عبد الله بن جعفر، واكترى منزلاً إلى جانبه، ثم توسل إليه، وقال: رجل من أهل العراق قدمت بتجارة فأحببت أن أكون في عز جوارك وكنفك إلى أن أبيع ما جئت به، فبعث عبد الله بن جعفر إلى قهرمانه: أن أكرم الرجل ووسع عليه في منزله فأنزله. فلما اطمأن العراقي سلم عليه وعرفه نفسه، وهياً له بغلة فارهة وثياباً من ثياب العراق والطفاء، فبعث به إليه، وكتب معها: يا سيدي، إني رجل تاجر، نعم الله علي سابعة، وقد بعثت إليك بشيء من طرف وكذا من الثياب والعطر، وبعثت ببغلة خفيفة العنان وطية الظهر، وأنا أسألك بقرابتك من رسول الله ﷺ إلا قبلت هديتي، ولا توحشني بردها، إني أدين لله تعالى بحبك وحب أهل بيتك، وإن أعظم أملي في سمرتي أن أستفيد الأنس بك، والتحرم بمواصلتك. فأمر عبد الله بقبض هديته وخرج إلى الصلاة، فلما رجع مر بالعراقي في منزله، فقام إليه وقتل يده، فرأى أدباً وظرفاً وفصاحة، فأعجب به وسر سزوله عليه، فحمل العراقي في كل يوم يبعث إلى عبد الله بطرف، فقال عبد الله: جرى الله ضيفنا هذا خيراً، قد ملأنا شكراً وما نقدر على مكافأته.

فإنه لكذلك إلى أن دعاه عبد الله، ودعا بعمارة في جواريه، فلما طاب لهما المجلس وسمع غناء عمارة تعجب وجعل يزيد في عجبه، فلما رأى كذلك عبد الله سر به إلى أن قال: هل رأيت مثل عمارة؟ قال: لا والله يا سيدي ما رأيت مثلاً، وما تصلح إلا لك، وما ظننت أن تكون في الدنيا مثل هذه الجارية، حسن وجهه، وحسن عمل، قال: فكم تساوي عندك؟ قال: ما لها ثمن إلا الخلافة، فقال: تقول هذا لتزين لي رأيي فيها وتجلب سروري، قال له: يا سيدي، والله إنني لأحب سرورك وما قلت لك إلا الجدد، وبعد فإني تاجر أجمع الدرهم على الدرهم طلباً للربح، ولو أعطيتها بعشرة آلاف دينار لأخذتها، فقال عبد الله: عشرة آلاف؟ قال: نعم. ولم يكن في ذلك الزمان جارية تعرف بهذا الثمن. فقال له عبد الله: أنا أبيعكها بعشرة آلاف، قال: قد أخذتها، قال: هي لك، قال: قد وجب البيع. وانصرف العراقي، فلما أصبح عبد الله لم يشعر إلا بالمال قد وافى به، فقال لعبد الله: قد بعث العراقي بعشرة آلاف دينار، وقال: هذا ثمن عمارة، فردها وكتب إليه إنما كنت أمزح معك، وإنما أعلمك أن مثلي لا يبيع مثلاً. فقال: جعلت فداك، إن الجدد والهزل في البيع سواء، فقال له عبد الله: ويحك ما أعلم جارية تساوي ما بذلت، ولو كنت بايعها من أحد لأثرتك ولكني كنت مازحاً وما أبيعها بملث اللب لحرمتها بي وموضعها من قلبي، فقال العراقي: إن كنت مازحاً فإني كنت جاداً، وما أطلعت على ما في نفسك، وقد ملكت الجارية وبعثت إليك بثمانها، وليست تحل لك، وما لي من أخذها بد، فمانعه أياماً، فقال: ليست لي بيته ولكني أستحلفك عند قبر رسول الله ﷺ ومنره فلما رأى عبد الله الجدد، قال: بش الضيف أنت، ما طرق طارق

وما نزل بنا نازل أعظم بلية منك، أتخلفني فيقول الناس: اضطهد عبد الله ضيفه وقهره فألجأه إلى أن استخلفه، أما والله ليعلمن الله عز وجل أبي سائبليه في هذا الأمر الصبر وحسن العزاء، ثم أمر قهرمانه بقص الممل منه وتجهيز الحارية. فجهزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار، وقال: هذا لك ولك عوضاً مما أظفقتنا، والله المستعان. فقبض العراقي الجارية وخرج بها، فلما برز من المدينة قال لها: يا عمارة، إني والله ما مذكتك قط ولا أنت لي. ولا مثلي يشتري جارية بعشرة آلاف دينار، وما كنت لأقدم على ابن عم رسول الله ﷺ وأسلمه أحب الناس إليه لنفسي، ولكنني دسيس من يزيد بن معاوية، وأنت له، وفي طلبك بعث بي، فاستتري مني، فإن داخلني الشيطان في أمرك أو تأقت نفسي إليك فامتنعي⁽¹⁾.

«ثم مضى بها حتى ورد دمشق، فتلقيها الناس بجنائزة يزيد وقد استخلف ابنه معاوية بن يزيد، فأقام أياماً ثم تلطف للدخول إليه فشرح له القصة. ويروى أنه لم يكن أحد من بني أمية يعدل بمعاوية بن يزيد في زمانه نبلاً ونسكاً، فلما أخبره قال: هي لك وكل ما دفعه لك من أمرها فهو لك، فارحل من يومك فلا أسمع بخبرك في شيء من بلاد الشام.

فرحل العراقي ثم قال للجارية: إني قد قلت لك ما قلت حين خرجت بك من المدينة، فأخبرتك أنك ليزيد وقد صرت لي، وأنا أشهد الله أنك لعبد الله بن جعفر، وإني قد رددتك عليه فاستتري مني. ثم خرج بها حتى قدم المدينة، فنزل قريباً من عبد الله، فدخل عليه بعض خدمه فقال له: هذا العراقي صيفك الذي صنع ما صنع، وقد نزل العرصة لا حياه الله فقال

(1) ابن الجوزي، المتظم، 784.

عبد الله: مه، انزلوا الرجل وأكرموه، فلما استقر بعث إلى عبد الله: جعلت فداك إدرأيت أن تأذن لي أذنة خفيفة أشافهك بشيء فعلت، فأذن له، فلما دخل عليه قبل يده وقربه عبد الله، ثم قص عليه القصة حتى إذا فرغ قال: والله وهتها لك قبل أن أراها أو أضع يدي عليها فهي لك ومردودة عليك، وقد علم الله تعالى أنني ما رأيت لها وجهاً إلا عندك، وبعث إليها فجاءت، وجاء بما جهزها به موفراً. فلما نظرت إلى عبد الله خرت مغشية عليها، وأهوى إليها عبد الله فضمها إليه، وخرج العراقي، وتصابيح أهل الدار: عمارة عمارة. فجعل عبد الله يقول ودموعه تجري: أحلم هذا، أحق هذا، أصدق هذا، قال العراقي: ردها عليك إثارك الوفاء، وصبرك على الحق وانقيادك له. فقال عبد الله: الحمد لله، اللهم إنك تعلم أنني قد تصبرت عنها وأثرت الوفاء، وأسلمت لأمرك فرددتها على يمينك، فلك الحمد. ثم قال: يا أخا العراق، ما على الأرض أعظم منة منك، وسيجزيك الله تعالى. وأقام العراقي أياماً وباع عبد الله غنماً بثلاثة عشر ألف دينار، وقل لقهرمانه: احملها إليه، وقل له: أعذر عبد الله، واعلم أنني لو وصلت بك كل ما أملك لرأيتك أهلاً لأكثر منه، فرحل العراقي محموداً⁽¹⁾.

«وحكى في الأغاني عن ابن أبي مليكة عن جده، قال كان في المدينة رجل ناسك كثير العبادة، فمر يوماً بجارية تغني شعر أعشى بني قيس... فهام حتى كاد أن يخرج عقله وذهب إليه عطاء وطاوس يلومانه في ذلك... وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية بأربعين ألف درهم، ثم

(1) اس المحوري، المنتظم، 785؛ أنظر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1650؛ المعاني من زكريا، الجليس الصالح والأيسر الناصح، 223 - 224؛ داود الأنطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، 107.

احضر ان سك وكان الصوت الذي سمعه من الجارية بتلحين عرة الميلاء فأحضرها وقال له تحب أن تسمع الصوت من صاحبتة، قال نعم فأمرها فغنت فسقط مغشياً عليه⁽¹⁾.

يقول نص: «كان عبيد بن شريح مولى بني ليث من كنانة، ويكنى أبا يحيى ويلقب وجه الباب لأنه كان متركاً وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر، وهو الذي تغنى:

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
قال هشام: وكان موسى شهوات منقطعاً إلى ابن جعفر أيضاً، وإنما سمي شهوات لأنه قال في يزيد بن معاوية شعراً له:

يا مضيع الصلاة للشهوات

وقال غير هشام: كان يتشهى على عبد الله الشهوات فلقب شهوات...
مر عبد الله بن جعفر ومعه عدة من أصحابه بمنزل رجل قد أعرس وإذا مغنيهم يقول:

قل لكرام بيا بنا يلجوا من قبل ما أن تغلق الريح
فقال عبد الله لأصحابه: لجوا قد أذن لنا القوم فترل ونزلوا فدخلوا:
فلما رآه ربّ المنزل تلقاه وأجلسه على الفرش فاستمع طويلاً ثم قال
لرّحل: كم أنفقت في وليمتك؟ قال: مائتي دينار. قال وكم مهر امرأتك؟
قال كذا فأمر له بمائتي دينار وبمهر امرأته وبمائة دينار بعد ذلك معونة
له، فاعتذر إليه ثم انصرف.

(1) داود الأبطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، 108؛ راجع أيضاً: السراح لفري،
مصارع العشاق، 154.

قال بُديح: أتى ابن قيس الرقيات منزل عبد الله بن جعفر عليه السلام؛ فقال، يا بُديح استأذن لي. قال: فوجدته نائماً فجئت فوضعت وجهي بين قدميه، ثم سحت ساح الكلب الهرم، فقال: مالك ويلك؟ قلت: جعلني الله فداك ابن قيس بلباب وكرهت أن يرجع حتى يدخل إليك.

فقال: أحسنت أدخله فدخل... فقال: يا بُديح أجر على الشهباء وصاحبها نرلاً واسعاً، وأمر لابن قيس بسبع مائة دينار ومطرف خزّ مملوء ثياباً من خز ووشي.

عشق عبد الرحمن بن أبي عمار فعذله عطاء وطاؤوس ومجاهد، فقال: يلومني فيك أقوام أجالسهم فما أبالي أطار اليوم أو وقعا فابتاعها عبد الله بن جعفر، فلما لقيه قال: ما فعل حب فلانة؟ قال: مخالط اللحم والدم والمخّ والعصب. فوهها له، وأمر له بمائة ألف درهم وقال: إنما أمرت لك بها لثلاثتهم بها وتنتهم بك⁽¹⁾.

حتى وقت متأخر نجد ابن جعفر ملاماً على علاقته بالغناء؛ قال: عبد الملك بن مروان لعبد الله بن جعفر: يا أبا جعفر بلغني أنك تسمع الغناء على المعارف والعيدان؛ وأنت شيخ؟ قال: أجل يا أمير المؤمنين، وإنك لتفعل أقبح من ذلك، قال: وما هو؟ قال: يأتيك أعرابي أهل البعثان، منتن الريح فيقذف عندك المحصنة ويقول البهتان؛ ويطيع الشيطان، فتعطيه على ذلك المائة من الإبل وأكثر، وأنا أشتري الجارية بمالي حلالاً، ثم أنحير لها جيد الشعر فترجعه بأحسن النعم؛ فما بأس بذلك⁽²⁾. قال: لا بأس! ولكن

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 268.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 267.

أخبرني عن هذه الأغاني ما تصنع؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، اشتريت جارية ثائي عشر ألف درهم وكانت مطبوعة، وكان بديح وطويس يأتياها، فيطرحان عليها أغانيهما، فعلقت منهما حتى غلبت عليهما؛ فوصفت ليريد بن معاوية، فكتب إلي: أما أهديتها [إلي] وأما بعثتها بحكمك، فكنتت إليه أنها لا تخرج عن ملكي ببيع ولا هبة! فبذل لي فيها ما كنت احسب أن نفسه لا تسخو به، فأبيت عليه، فبينما هي عندي تلك الحال، إذ ذكرت لنا عجوز من عجائزنا، أن فتى من أهل المدينة تسمع غناءها، فعلقها وشغف بها، وأنه يجيء كل ليلة مستتراً، فيقف بالباب حتى يسمع غناءها وينصرف، فراغيت مجيئه، فإذا الفتى قد أقبل مقنع الرأس، فأشرفت عليه وقد قد مستخفياً، فلم أدرع بها تلك الليلة، وأنا أتأمل موضعه، فبات مكانه الذي كان فيه، فلما انشق الفجر اطلعت عليه، فإذا هو في موضعه، فدعوت قيمة الجارية، فقلت: انطلقى الساعة فزني هذه الجارية، وأصلحي من شأنها وعجلي بها إلي، فلما جاءت بها نزلت وفتحت الباب وحركت الفتى، فانتبه مذعوراً؟ فقلت له: لا بأس عليك! خذ بيد هذه الجارية فهي لك، وإن هممت ببيعها فردها إلي! فدهش وأخذ [الخل] ولبط به؛ فدنوت منه! فقلت: ويحك! قد أظفرك الله ببيعتك، فقم فانطلق إلى منزلك، فإذا الفتى قد فارق الدنيا، فلم أر شيئاً قط أعجب من ذلك! ولولا إني رأيته ما حققت ذلك من أحد»⁽¹⁾. «قال عبد الملك: وأنا والله لولا ما سمعت منك ما صدقت به فما صنعت بالجارية؟ قال: تركتها عندي، وكنت إذا ذكرت الفتى لم أحدلها في قلبي مكاناً، وكرهت أن أوجه بها إلى يزيد، فيبلغه حالها، فيحقد علي، ذلك فما زالت على حالها معي حتى ماتت»⁽²⁾.

(1) اس رأس عنة الاشيلي، مناقل الدرر ومنابت الزهر، 81.

(2) السابق، 82؛ أنظر: الأبيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، 405.

كان واضحاً أن «حرقه» عبد الله بن جعفر هي التكتب من الغانيات؛ «قال عبد الله بن جعفر لرجل: لو غتتك فلانة جاريتي صوت كذا ما أدركت دكانك»⁽¹⁾.

وفي رواية، «كان عبد الله بن جعفر إذا غتته الجارية يقول: أحسنت إلي والله، وكان يتأثم أن يقول: أحسنت والله»⁽²⁾.

وهكذا، كان الرجل عرضة لنقد شديد؛ «ومن مروج الذهب: ولد عبد الله بن جعفر على معاوية بدمشق، فعلم به عمرو بن العاص قبل دخوله دمشق بأيام، أخبره بذلك مولى له، كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين إلى دمشق، فدخل عمرو على معاوية وعنده من قريش من بني هاشم وغيرهم: منهم عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب، فقال عمرو: قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمني، والطرقات بالتغني، أخذ للسيف، منقاد بالسرف، فغضب عبد الله بن الحارث، وقال لعمرو: كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبد الله كما ذكرت، ولكنه لله ذكور، ولبلائه شكور وعن الخنا [نفور] مهذب ماجد كريم سيد حلیم، أن ابتدا أصاب، وإن سئل أجاب، غير حصير ولا هياب ولا فحاش ولا سباب، كالهزير الضرغام، الحريء المقدام، في السيف الصمصام، والحسيب القمقام، وليس كمر اختصم فيه من قريش شرارها، فغلب عليها جزارها، فأصبح الأمها حسباً، وأدناها منصباً، يلوذ منها بذليل، ويأوي إلى قليل، ليت شعري بأي يد تتناول؟ أو بأي قدم تتعرض؟ غير أنك تعلو بغير أركانك، وتتكلم بغير لسانك، ولقد كان أبر في الحكم، وأبين في الفضل، بان

(1) من قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، 135.

(2) الأبي، نثر الدر، 95.

يكفك بن أبي سفيان عن ولوعك بأعراض قريش، [وإن يكعمك] كعم الضبع في حارها فلست بأعراضها بوفي، ولا لأحسابها بكفي، فقد أتيج لكم ضيغم شرس، للأقران مختلس، وللأرواح مفترس، فهم عمرو أن يتكلم، فمنعه معاوية من ذلك، وقال عبد الله بن الحارث: لا يبق المرء إلا على نفسه، والله إن لساني لحديد، وإن جوابي لعتيد، وإن قولي لسديد، وإن أنصاري لشهود، فقام معاوية وتفرق القوم⁽¹⁾.

معاوية بن عبد الله بن جعفر:

«ولما ولد علي بن عبد الله ولد معه في تلك السنة لعبد الله بن جعفر غلام فسماه علياً، وكناه بأبي الحسن، فبلغ معاوية⁽²⁾ فوجه إليهما أن انقلا اسم أبي تراب وكنيته عن ابنيكما، وسميّاها باسمي، وكنيّاها بكنيتي، ولك واحد منكما ألف ألف درهم. فلما قدم الرسول عليهما بهذه الرسالة سارع إلى ذلك عبد الله بن جعفر فسمى ابن معاوية، وأخذ ألف ألف درهم⁽³⁾. وفي رواية أخرى: «ولد أبو محمد علي بن عبد الله سنة أربعين بعد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، فسماه عبد الله بن العباس علياً وكناه أبي الحسن، وولد معه في تلك السنة لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام غلام

(1) من رأس غنمة الاشيلي، مناقل الدرر ومنايت الزهر، 80.

(2) سمي عبد الله بن جعفر ابنه معاوية بن أبي سفيان. قال: وكان معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة، فسمى ابنه يزيد بن معاوية (أبو لرحح الأصهاوي، الأغاي، 1373)؛ ولد لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولد ذكر، بشر به وهو عبد معاوية بن أبي سفيان، فقال له معاوية، سمه باسمي ولك حسنة ألف درهم، فسماه معاوية، فدفعها إليه، وقال اشتر بها لسمي ضيعة. (اس أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2064).

(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2454.

فسمّاه علياً وكنّاه بأبي الحسن. فبلغ ذلك معاوية فوجّه إليهما أن انقلا اسم أبي تراب وكنيته عن ابنيكما وسميائهما باسمي وكنيائهما بكنيتي، ولكل واحد منكما ألف ألف درهم. فلما قدم الرسول عليهما بهذه الرسالة سارع إلى ذلك عبد الله بن جعفر فسمّى ابنه معاوية⁽¹⁾ وأخذ ألف ألف درهم. وأما عبد الله بن عباس فإنه أبى ذلك⁽²⁾. و«عن ابن عباس قال: قلت لمولى لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: ليس معاوية من أسمائكم فكيف سمى عبد الله بن جعفر ابنه معاوية؟ فقال: إن معاوية بن أبي سفيان كان محباً لعبد الله بن جعفر، فسمى معاوية بن عبد الله باسمه ليكرمه بذلك... سمى عبد الله بن جعفر ابنه معاوية تقريباً بذلك إلى معاوية بن أبي سفيان، فأمر له معاوية بمائة ألف درهم، وأمر لعبد الله بخمسمائة ألف درهم. ويقال أن عبد الله بن جعفر وفد على معاوية فجرى الحديث حتى أعلمه أن له حملاً، فقال: إن كان ذكراً فقد سمّيته معاوية، وإن كان أنثى فقد سمّيتها هنداً»⁽³⁾.

البغيضة:

«عن أبي جعفر قال: خطب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن

(1) بلقاي، ينقل لنا أن علياً في صفين «قال لعبد الله بن جعفر بن أبي طاب: قم قدم فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إن هذا الأمر كان الطرف فيه إلى علي، والبرص إلى غيره. فحتمت إلى عبد الله بن قيس مرسلاً فقلت: لا ترضى إلا به. وإيم الله، ما استفدنا به علياً، ولا انتظر نامته غائباً، وما نعرفه صاحباً. وما أصدنا بها فعلا أهل العراق. وما أصلحنا أهل الشام، ولا وضعنا حق علي، ولا دفعنا باطل معاوية، ولا يذهب الحق رقية راق، ولا تفتح شيطان، ونحن اليوم على ما كنّا عليه أمس» (ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الجديد، 618).

(2) المعافى بن ركريا، جليس الصالح والأنيس الناصح، 479.

(3) البلاذري، أسباب الأشراف، 263.

جعفر ابته من زينب^(١) ابنة علي وأمها فاطمة؛ وقال له معاوية: أفضى عنك دينك، فوعده، فقال عبد الله: إن علي أميراً لست أستطيع أن أزوجه حتى استأمره، فقال له معاوية: فاستأمره، وأتى حسين بن علي وقال: إن معاوية خطب إلي ابنتي ووعدني قضاء ديني، وإبما أنت والد، أنت حالها فما ترى؟ قال له: أحب أن تجعل أمرها بيدي، قل: هو بيدك، قال. فدخل حسين بن علي على الجارية فقال: إن أباك قد جعل أمرك بيدي فاجعلي أمرك بيدي، فقالت: هو بيدك، فخرج حسين فقال: اللهم أقدر لها خير من تعلم، فلقي شاباً منهم فقال: يا فلان اجعل أمرك بيدي، فقال: هو بيدك.

وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم، وهو أمير المدينة: إنني خطبت إلى أبي جعفر ابته فاشتراط رضى حسين فادعه إليك حتى يسلم، فجمع مروان الناس وجاء بالدف والسكر، ودعا حسيناً فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أنه خطب إلى عبد الله بن جعفر، واشتراط رضاك، فسلم له، فحمد الله حسين وأثنى عليه ثم قال: أشهدكم أنني قد زوجتها فلاناً يعني الشاب الذي لقيه، فقال مروان: أبيت يا بني هاشم إلا غدرًا، فقال له حسين: نشدتك بالله هل تعلم أن الحسن بن علي خطب ابنة عثمان بن عفان فاجتمع الناس مثل اجتماعهم الآن، وحضر الحسن لذلك، فجئت أنت فخطبت ثم زوجتها غيره؟ فقال: نعم، قال الحسين: فمن الغادر نحن أم أنتم، ثم أعطى حسين عبد الله بن جعفر أرضاً له يقال لها النغيغة فباعها

(١) كانت ربيب ابنة علي تحت عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب؛ فولدت له علي بن عبد الله بن جعفر، وأم أبيها، فتزوج أم أبيها عبد الملك بن مروان وطلقها وتزوجها علي بن عبد الله بن عباس.

من معاوية بألفي ألف، وأعطى الشاب الذي زوج أرضاً له أخرى قومت ألفي ألف، وأعطى من صلب ماله قيمة أربعة آلاف ألف»⁽¹⁾.

المبيعة: «ضيعة وعين كانت لعلي بن أبي طالب... وفي حديث الزبير رضي الله عنه بين أن الحسين رضي الله عنه نحل البغيعة أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ما حين رغبها في نكاح ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر وقد خطبها معاوية رضي الله عنه على ابنه يزيد»⁽²⁾⁽³⁾.

مع ذلك، يخبرنا أحد المراجع أنه «كانت لعبد الله بن جعفر ابنة يقال لها: أم أبيها تزوجها عبد الملك بن مروان؛ أراد عبد الله بن جعفر أن يزوج الحجاج، فأرسل إلى عمر بن علي بن أبي طالب أن أحضر حتى تزوجه! فأرسل إليه عمر: أن أحر ذلك إلى الليل فإني أكره أن يراني الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أزوج الحجاج، فأرسل إليه أنه لم يبق أحد يستحي منه، ولو كان أحد يستحي منه لم نفعل هذا، قال: وكان عمر ذا عقل ونبل»⁽⁴⁾.

الغالية... عطر زمن معاوية:

«أول من سمي الغالية غالية معاوية بن أبي سفيان، شمهها من عبد الله ابن

(1) محمد بن إسحاق، السيرة النبوية، 89.

(2) قال لما أهديت ابنة عبد الله بن جعفر إلى يزيد بن معاوية على بعله. (الجاحظ، البعال، 24)

(3) محمد بن عبد المتعم الحميري، الروض المعمار في خبر الأقطار، 116؛ راجع: أبو عبيد الكري، معجم ما استعجم، 184؛ ابن راس غنمة الأشيبي، مناقب الدرر ومببت المرء، 63.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، 269.

جعفر فوصفها له فقال إنها غالية⁽¹⁾. «وهي مسك وعنبر يُعجنان باللبان»⁽²⁾. «هذا الضرب من الطيب غالية، فيما حكى المفضل بن سلمة، أن معاوية بن أبي سفيان شمها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فاستطابها فسأله عنها فوصفها له، فقال له: هذه غالية، قسّمت غالية، وهذه حكاية ضعيفة واهية، لما روي عن عائشة: أنها كانت تُطَيَّبُ النَّبِيَّ ﷺ بالغالية إذا أراد أن يُحْرَمَ، وعنّها أنها قالت: كنتُ أخلل لحية النَّبِيِّ ﷺ بالغالية ثم يحرم، فدلّ على أن الغالية معروفة قبل ذلك»⁽³⁾.

هل فقد معاوية قدرته الجنسية؟

سؤال طرحناه في الفصل المتعلق بمعاوية؛ هنا نحاول الاستنتاج بأن ندرة الأحاديث حول علاقات معاوية الجنسية ليس مردها العفة، بل شيء آخر!

معروف أن ثمة خطة وضعت لقتل علي بن أبي طالب، عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان؛ «وروي أن البرك الصّريميّ وزادوا به فارقا ابن ملجم من الكوفة على ما تعاهدوا عليه. فذهب البرك إلى الشام إلى معاوية للفتك به، فضربه على إيته، وهو في الصلاة. فأمر به، فُجِسَ، وأراد قتله. فقال له البرك: لا تمجل واجبني فإن في هذه الليلة قُتل علي. فقال: ويلك، وما يُدريك؟ قال: إنا تواعدنا ثلاثة لقتل علي وقتلك وقتل

(1) اقلقشدي، صبح الأعشى، الصفحة: 176؛ راجع: الأبشهي، المستطرف من كل فن مستطرف، 405.

(2) ابن سيّدة، المخصص، 936.

(3) الصفيدي، تصحيح التصحيح وتحرير التحريف، 80.

عمرو بن العاصي. فإن وجدت الأمر على خلاف ما قلت فاضرب عتقي. فوصل الحبر إلى معاوية بقتل علي، كما ذكره البرك فأطلقه بعدما قطع يده ورحله ثم قتله بعد ذلك زياد بن سُمَيَّة⁽¹⁾ بالكوفة.

ودعا معاوية بالطبيب فقال له: إِنَّ الضَّرْبَةَ مَسْمُومَةٌ فاختر لي إحدى خصلتين؛ إما أن تصبر على الكيّ، وأما أن أسقيك شربة تقطع عنك الولد. فقال: لا صبر لي على النار، ولي يزيد وعبد الله كفاية. فسقاه الشربة، فلم يولد له بعدها⁽²⁾. وفي نص: «وأما البرك: فإنه انطلق ليلة مياعدهم، ففقد لمعاوية، فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه سيفه، فأدبر معاوية، فضرب رانفة إليته ففلقها، ووقع السيف في لحم كثير، وأخذ؛ فقال لمعاوية: إن لك عندي لخبراً ساراً، قد قتل الليلة علي، وحدثه الحديث، وعولج معاوية فبرئ، وأمر بقتل البرك، وقيل: ضرب البرك معاوية وهو ساجد، فمذ ذاك جعل الحرس على رؤوس الخلفاء، واتخذ معاوية المقصورة⁽³⁾».

بيعة يزيد وموقف ابن جعفر:

رغم أن الشواهد الكثيرة المذكورة آنفاً تشير إلى علاقة جيدة بين عبد

(1) وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم. قال: وكان سبب ذلك أن معاوية أمر لعمر بن الزبير في معوته وقصاء دينه بمائة ألف درهم، وكتب بذلك إلى زياد بن سمية وهو على العراق، فقص عمرو الكتاب وصير المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية، فأخذ عمرو بردها وحسبه، فأدباها عنه أخوه عبد الله بن الزبير، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وخزم الكتب، ولم تكن تخزم. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1224).

(2) البري، الجوهرية في نسب النبي وأصحابه العشرة، 311؛ راجع: ابن الجوزي، المنتظم، 782، 659.

(3) ابن قتيبة الديوري، الإمامة والسياسة، 88.

لله بن جعفر ويزيد بن معاوية، إلا أنّ بعض المراجع تتحدّث عن موقف سلبي لابن جعفر حين أراد معاوية أن ينصب ابنه خليفة بعده، يُقال إن معاوية حين ذهب إلى المدينة قبيل وفاته، «استخار الله، وأعرض عن ذكر البيعة، حتى قدم المدينة سنة خمسين، فتلقاه الناس، فلما استقر في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وإلى عبد الله بن عمر، وإلى عبد الله بن الزبير، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر، فلما جلسوا تكلم معاوية، فقال: الحمد لله الذي أمرنا بحمده، ووعدنا عليه ثوابه، نحمده كثيراً، كما أنعم علينا كثيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أم بعد، فإنني قد كبر سني، ووهن عظمي، وقرب أجلي، وأوشكت أن أدعى فأجيب، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد، ورأيت لكم رضا، وأنتم عبادلة قريش وخيارها، وأبناء خيارها، ولم يمنعي أن أحضر حسناً وحسيناً إلا أنهما أولاد أبيهما علي على حسن رأيي فيهما، وشديد محبتي لهما، فردوا على أمير المؤمنين خيراً رَحِمَكُمُ اللهُ»⁽¹⁾.

«فقام عبد الله بن جعفر، فقال: ... أما بعد، فإن هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن، فأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وإن أخذ فيها بسنة رسول الله، فأولو رسول الله، وإن أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأبي الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول؟ وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه، لحقه وصدقته، ولأطيع الرحمن، وعصي الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان، فاتق الله يا معاوية، فإنك قد صرت راعياً، ونحن رعية، فانظر لرعتك فإنك مسؤول عنها غداً، وأما ما

(1) اس قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 93.

ذكرت من ابني عمي، وتركك أن تحضرهما، فوالله ما أصبت الحق، ولا يحور لك ذلك إلا بهما، وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم، فقل أو دع. وأستغفر لي الله ولكم⁽¹⁾.

ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله إلا يسيراً حتى بايع ليزيد دليشام، وكتب بيعته إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد، ويأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، ثم يبايعوا ليزيد. فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبى من ذلك.. فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله، ويخبره أنه قد ولي المدينة سعيد بن العاص، فلما بلغ مروان كتاب معاوية، أقبل مغاضباً في أهل بيته، وناس كثير من قومه، حتى نزل بأخواله بني كنانة، فشكا إليهم، وأخبرهم بالذي كان من رأيه في أمر معاوية، وفي عزله واستخلافه يزيد ابنه عن غير مشورة مبادرة له، فقالوا: نحن نبلك في يدك، وسيفك في قرابك فمن رميته بنا أصبناه، ومن ضربته بنا قطعناه، الرأي رأيك، ونحن طوع يمينك. ثم أقبل مروان في وفد منهم كثير، ممن كان معه من قومه وأهل بيته حتى نزل دمشق، فخرج فيهم حتى أتى سدة معاوية، وقد أذن للناس. فلما نظر الحاجب إلى كثرة من معه من قومه وأهل بيته، منعه من الدخول، فوثبوا إليه، فضربوا وجهه، حتى خلى عن الباب، ثم دخل مروان، ودخلوا معه، حتى إذا كان من معاوية بحيث تناله يده [ومما قاله مروان لمعاوية]: فأقم الأمر يا بن سفيان واهدي من تأميرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظراً، وأن لهم على ماؤاتك

وَزَرَأًا^(١). غضب معاوية من كلامه غصاً شديداً، ثم كظم عيظه بحلمه، وأخذ بيد مروان، ثم قال: فأنت نظير أمير المؤمنين بعده، وفي كل شدة عصده، وإليك عهد عهده، فقد ولّيتك قومك، وأعظم في الحراح سهمك، وأنا محيز وفدك، ومحسن رفدك، وعلى أمير المؤمنين عدك، والبرول عد رصاك فكان أول ما ررق ألف دينار في كل هلال، وفرص له في أهل بيته مئة مئة.

وكتب إلى عبد الله بن جعفر: أما بعد، فقد عرفت أثرتي إليك على من سواك، وحسن رأيي فيك وفي أهل بيتك، وقد أتيتك عنك ما أكره، فإن بايعت تشكر وإن تأب تجر، والسلام^(٢).

«فكنت إليه عبد الله بن جعفر: أما بعد، فقد جاءني كتابك، وفهم ما ذكرت فيه من أثرتك إليّ على من سواي، فإن تفعل فحطت أصبت، وإن تأب فبنفسك قصرت. وأما ما ذكرت من حبرك إليّ على السبعة ليريد، فلعمري لئن أجبرتني عليها لقد أحرباك وأباك على الإسلام، حتى أدخلناكم كرهين غير طائعين، والسلام^(٣)».

أنظر أيضاً: ابن مصور، مختصر تاريخ دمشق، 1643، 1645؛ المعافى من ركريا، الحليس الصالح والأئيس الناصح، 359، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، 3، داود الأنطاكي، تريب الأسواق في أحبار العشاق، 107؛ ابن حمص، التذكرة لعمدونية، 215، 228؛ اللادري، أسباب الأشراف، 268.

(1) السابق، 95

(2) السابق، 96

(3) السابق، 97

ملحق

معاوية في النصوص القديمة غير العربية!

1. سيببوس، مطران باغراتونيس (تاريخ كتابة النص هو العقد السابع من القرن السابع الميلادي):

هنالك جدل كبير حول مرجعية هذا الكتاب. فقد حاول أول مفسر حديث له أن يطابق بينه وبين تاريخ هرقل المُشار إليه من قبل خمسة مؤرخين من العصور الوسطى، والذي يُعزى للأسقف سيببوس، الذي هو على الأرجح النورد سيببوس، أسقف بيت باغراتونيس، الذي حضر مجمع دفين عام 645 وكان شاهداً على قوانينه. وكان هذا مقبولاً لزمان طويل عموماً حتى قام باحثو أبغاريان، بالإشارة إلى أن المقاطع الثلاثة الباقية من توليف سيببوس غير موجودة في الحوليات مجهولة المؤلف التي لدينا، أو حتى تتناقض معه. وهكذا لا بد من اعتبار العاملين وثيقتين متميزتين. وبالعكس مسألة المرجعية، فلدراستات بشأن التاريخ والموثوقية غير واعدة، ولذلك فضع تعليقات تبدو ضرورية هناك مؤشرات بأن سيببوس [صاحب الحوليات المجهول] شهد العديد من الأحداث التي حكا عنها. إنه يؤكد أن رواية الغزوات العربية مأخوذة عن أشخاص «الذين كانوا شهود عيان عليها»، وفي حديثه عن أحداث

عدم 652، يقول إن الإيمان الأرمي ما زال سائداً «حتى الآن» ويعتبر عيرو أن ملاحظة سيبيوس القائلة إن قيام أسطول معاوية بمهاجمة القسطنطينية لا بد أن تكون إشارة إلى الحصار الكبير بين الأعوام 674-678. لكن النص يصف عدواناً منفرداً وليس حصاراً طويل الأمد، ومن الواضح أن الحدث لا بد من مطابقته مع ما ورد في مرجع سرياني من منتصف القرن الثامن للميلاد. فكلاهما يؤكد أنه كان ثمة استعداد للقوة العظيمة للسفن، وأن الحملة حدثت في السنة الثالثة عشرة من حكم قسطنطين (654). ويختم سيبيوس باعتلاء معاوية العرش في الحرب الأهلية العربية الأولى (656-661)، والنقاط السابقة توحي أن المؤلف كان يكتب بعد هذا الحدث مباشرة.

2. جورجيوس الذي من ريش عانيا (مات عام 680 تقريباً)؛

بعد ذهاب مكسيموس إلى روما، سيطر العرب على جزر البحر ودخلوا قبرص وأرواد، محدثين فيها خراباً وأخذين أسرى. ثم سيطروا على أفريقيا وأخضعوا كل جزر البحر تقريباً؛ لأنه، في أعقاب مكسيموس الشرير، عاقب غضب الرب كل مكان قبل بخطئه (جورجيوس الذي من ريش عانيا، حياة مكسيموس السريانية، 32: 312-313).

عندما رأى مكسيموس أن روما قبلت الوحل الكريه لتحذيفاته، ذهب أيضاً إلى القسطنطينية حين كان معاوية يعقد سلاماً مع الإمبراطور قسطنطين، لأنه كان قد شن حرباً على أبو تراب [هكذا وردت في النص، وهو علي بن أبي طالب]، أمير الحيرة، وهزمه (جورجيوس الذي من ريش عانيا، حياة مكسيموس السريانية، 25: 312-313)

3. يوحنا بار بنقايي (مكتوب عام 687):

إن الوصية اللاهوتية للعمل دفعت بأول من راجعه من الغربيين إلى اعتباره «دور أهمية كمرجع تاريخي». هذا الحكم هو بالتأكيد متسرع جداً، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ملاحظاته المتعقبة بالأرمة الإسلامية. ففي المقام الأول، يلاحظ أن يوحنا لم يكن عدائياً حيال الحكم العربي. وعلى الرغم من ظهور قليل لعبارات مسيئة مثل «شعب بربري» و«الكراهية والغضب قوتهم»، يلاحظ يوحنا تساهل العرب حيال السكان المسيحيين. فقد كانت الديانة المسيحية وأعضاؤها محترمين: «قبل أن يدعوهم، حضرهم (الله) سلفاً لأن يحكموا المسيحيين بشرف؛ وهكذا فقد كانت لديهم أيضاً وصية خاصة من الله تتعلق بمحطتنا الرهبانية، أن عليهم حكمها بشرف». لم يقم العرب بمحاولات من أجل فرض الإسلام قسراً. وعصابات السرقة التي لهم كانت تذهب سنوياً إلى مناطق بعيدة وإلى الجزر، لتحضر أسرى من كل الشعوب تحت السماء. ومن كل شخص كانوا يطلبون فقط جزية (مادانا)، تسمح له أن يبقى على الدين الذي كان يريد. وعن حكم معاوية يقول يوحنا: لقد ازدهرت العدالة في زمنه وكان هنالك سلم عظيم في المناطق التي تحت سيطرته؛ فقد سمح لكل واحد بالعيش كما كان يرغب؛ ولاحقاً يضيف أن المحاصيل كانت وفيرة والتجارة تضاغت. والواقع أن نقده الوحيد كان افتقار الاصطهاد؛ يقول يوحنا: لم يكن ثمة تمييز بين الوثني والمسيحي، كما يندب، ولم يكن المؤمن يُعرف من اليهودي.

4. تاريخ ماروني (القرن الثامن للميلاد):

عام 969 (وفق التقويم الغريغوري، 648 للميلاد): قتل معاوية ابن أخته

حديفة، واغتيل علي حين كان يصلي في الحيرة وتحالف [معاوية] مع كل القوى العربية هناك.

عام 970 (وفق التقويم الغريغوري): كان ثمة هزة أرضية في فلسطين عقدت جلسة نقاش بين اليعاقبة والموارنة بحضور معاوية وحين هُرم اليعاقبة، أمرهم معاوية بدفع 20000 دينار. وهكذا صارت عادة بالنسبة للأساقفة اليعاقبة أن يعطوا كل عام مبلغاً من الذهب لمعاوية فلا يرفع يده عنهم. وكان هنالك هزة أرضية أخرى. أمر الإمبراطور قسطنطين بقتل أخيه ثيودور، ثم ذهب لقتال الشعوب الشمالية من أجل تجنب الاحتجاجات التي سببتها فعلته.

عام 971 (وفق التقويم الغريغوري): اجتمع كثير من العرب في أورشليم ونصبوا معاوية ملكاً فصار وجلس في الجلجثة وصلى هناك. ثم ذهب إلى الجسمانية لينزل إلى قبر مريم المباركة ويصلي فيه. في تلك الأيام اجتمع العرب هناك مع معاوية، وكان ثمة هزة أرضية، فسقط كثير من أريحا، إضافة إلى كثير من الكنائس والأديرة القريبة.

في تموز من السنة ذاتها اجتمع الأمراء العرب وكثير من العرب أيضاً وأعلنوا تحالفهم مع معاوية. وعندئذ صدر أمر أنه يجب أن يعلن ملكاً في كل القرى والمدن التي في منطقة سيطرته وأن عليهم أن يشهدوا به ويدعوا له. وصلك أيضاً عملة قضية وذهبية، لكنها لم تحظ بالقبول لأن علامة الصليب كانت موضوعة عليها. كذلك فإن معاوية لم يرتد تاجاً مثل ملوك العالم الآخرين. ووضع عرشه في دمشق رافضاً الذهاب إلى مقر محمد

عام 972 (وفق التقويم الغريغوري): برد شديد. ما أن وضع معاوية

يده على السلطات، حتى نكث عهد السلم مع الروم فلم يعد يقبل السلم منهم. وهكذا قال إذا كان لروم يبعون السلم دعوهم يسلمون أسلحتهم ويدفعون الجزية.

عام 974 (وفق التقويم الغريغوري): غارة يزيد بن معاوية على القسطنطينية.

عام 075 (وفق التقويم الغريغوري): غارة عبد الرحمن بن خالد [بن الوليد]، أمير عرب حمص، داخل الإقليم البيزنطي.

يقف نص الوثيقة هنا، لكن على الأرجح أنه كان يمتد أكثر من ذلك في الوثيقة الأصلية. لقد كان المؤلف مارونيا. وقد اختلفوا في هوية المؤلف بين قيس الماروني (القرن العاشر الميلادي) وثيوفيلوس الرهاوي (مات عام 785). إن رفض تاريخ قديم (القرن السابع الميلادي) للوثيقة إنما يقوم على الإشارة إلى صك العملة على يد المسلمين، والذي لم يوثق على نحو معتمد قبل عبد الملك في العقد الأخير من القرن السابع للميلاد.

الفهرس

- 5 زمن معاوية - مقدمة:
- 5 العقائد تحدّد التفكير!!
- 9 العقيدة... والتفكير:
- 9 رجل العلم... ورجل الدين:
- 11 إنهم يكذبون: أليس كذلك!
- 15 زمن معاوية: المنهج!
- 17 الفصل الأول: معاوية بن أبي سفيان!
- 17 من هو معاوية؟
- 18 قصص هند أم معاوية:
- 24 اعتناق أهله للإسلام:
- 28 من هو معاوية؟
- 33 معاوية والنساء والحر:
- 38 معاوية ووصيته وخلافة يزيد:
- 39 لعن معاوية:
- 45 الفصل الثاني: بسر بن أرطاة:
- 45 من هو بسر بن أرطاة، مكانته من معاوية، وماذا فعل؟
- 54 بسر في المدينة.
- 69 بسر في مكّة واليمن:

- 84 ذكر ولاية بسر على البصرة:
- 90 متفرقات ما بعد الحرب:
- 91 صلح ابن العباس ومعاوية:
- 94 بسر في أفريقيا:
- 95 بسر: سلاح العورة!
- 97 بسر ونهاية خلافة الحسن:
- 101 الفصل الثالث: الحسن بن علي
- 116 معاوية والحسن: الدافع المادي!
- 122 مقتل الحسن — معاوية وجعدة بنت الشعث:
- 122 كيف تُوِّفِّي الحسن؟
- 133 الفصل الرابع: حجر بن عدي
- 133 حجر بن عدي: من هو؟
- 183 الفصل الخامس: محمد بن أبي بكر الصديق
- 205 الفصل السادس: عمرو بن الحمق الخزاعي
- 205 عمرو بن الحمق الخزاعي:
- 209 قتله عثمان بن عفان:
- 223 مقتل عمرو:
- 229 آمنة بنت الشريد:
- 231 الفصل السابع: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
- 237 مكانة عبد الرحمن بن خالد عند الأمويين:
- 245 مقتل عبد الرحمن بن خالد:
- 255 الفصل الثامن: الأشتر النخعي!
- 265 الفصل التاسع: عبد الله بن جعفر

- 266 معاوية: شراء الذمم!.
- 280 سر العلاقة بين الهاشمي وبني أمية:
- 302 معاوية بن عبد الله بن جعفر:
- 303 البغيغة:
- 305 الغالية... عطر زمن معاوية:
- 306 هل فقد معاوية قدرته الجنسية؟
- 307 بيعة يزيد وموقف ابن جعفر:
- 311 ملحق
- 317 الفهرس

زمن معاوية

مما لا شك فيه أن كمشة بدو، كما توجي به التسمية، عمل همّه الأوحد إلقاء بعض الضوء العقلاني-التشكيكي على التسليمات الإسلامية العوامية. قد يكون الباحثون هدفاً لهذا الكتاب، لكن الحقيقة أن صاحب هذا النص لا يأخذهم بعين اعتباره هدفاً؛ إن ما يهمنا هو عامة الشعب، لأنهم الخزان الحقيقي للتطرف ومن ثم الإرهاب.

في هذا العمل توخينا ملاحقة كل ما يمكن الوصول إليه من مراجع ومصادر بهدف إعطاء أعلى مدى من الصدقية لمشروعنا طويل الأمد هذا.

في هذا البحث لم نتناول شخصية معاوية من منظور بانورامي أو كرونولوجي؛ مع إضافات موثقة حول معاوية كشخص، ودور عبد الله بن جعفر الطيار في حياة هذا الخليفة-الملك على وجه التخصيص. قد تبدو النصوص متناقضة أحياناً، لكن ذلك التناقض هو جزء من الصراع السياسي الذي أشرنا إليه في ذلك الحين.

